

طوفان الأقصى

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

السنة الثانية | ديسمبر ٢٠٢٣
العدد ١٩ | جمادى الأولى ١٤٤٥

رئيس الهيئة | د. محمد الصغير
رئيس التحرير | محمد إلهامي

مجلة أنصار النبي ﷺ

تصدر عن

الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ
International Organization Of Sopporters Of The Prophet

أهداف الهيئة

تضع الهيئة هدفها الرئيسي على هذا النحو:

«أن يكون جناب النبي ﷺ مصوناً محترماً، وأن تكون الإساءة إليه مجرمة قانوناً في سائر أنحاء العالم» وهو الهدف الكبير الذي يحتاج إلى عمل ضخم ودؤوب على كافة المستويات.

وقبل الوصول إليه لا بد من إنجاز مراحل مهمة في التعريف بالنبي ﷺ، كذلك لا بد من إنجاز مراحل مهمة في حشد الجهود مع المسلمين والعقلاء من غير المسلمين لتجريم الإساءة إلى النبي ﷺ قانونياً في البلدان المختلفة، وهو الأمر الذي يتطلب خبرات متنوعة عالية المستوى.

السياسة العامة لعمل الهيئة

إن قضية نصرة النبي ﷺ قضية كبيرة لا يمكن أن تنهض بها جهة واحدة مهما بلغت من القدرات والإمكانيات، وكذلك فإن «الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ» اختطّت لنفسها سياسة عامة تقوم على تفعيل الطاقات الإسلامية واستثمارها والتنسيق بينها، بحيث تبلغ المجهودات المبذولة في نصرة النبي ﷺ أقصى نتائج ممكنة.

تضع الهيئة نفسها في موضع التنسيق والتنظيم بين المؤسسات الإسلامية المختلفة لتأدية واجب نصرة النبي ﷺ، فهي تعمل -على سبيل المثال- على استثمار طاقة الجاليات الإسلامية المقيمة في البلاد المختلفة لحصر أهم الشبهات والقضايا المثارة عن النبي ﷺ والتي تحتاج مجهودا علميا وفكريا لتفنيدها، ثم تعمل على حث طاقة المؤسسات العلمية من الجامعات الإسلامية والمعاهد والأكاديميات والروابط العلمائية على معالجة هذه الشبهات، ثم تعمل على تحويل هذا المجهود الفكري والعلمي إلى معالجات فنية متنوعة: مقروءة ومسموعة ومرئية قريبة إلى لغة العصر والمزاج العام السائد لدى الرأي العام المعاصر، وذلك عبر حث الطاقات القائمة في مجال الإعلام والإنتاج الفني لدى المؤسسات الإسلامية على معالجة هذه الأفكار. تستثمر هذه الأطراف جميعها طاقاتها الموجودة فعلاً في تسويق المنتجات النهائية.

وبهذا تتوجه المجهودات والطاقات القائمة نحو هدف نصرة النبي ﷺ بطريقة فعالة ومنسقة، حيث تؤدي كل جهة دورها الذي تحسنه.

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

محتويات العدد

رئيس الهيئة
د. محمد الصغير

رئيس التحرير
محمد إلهامي

@ ansarunaby@gmail.com

أئمة الهدى

«من تراث علمائنا الراحلين»

الصادعون بالحق

«من تراث العلماء والدعاة الأسرى»

ترحب مجلة « أنصار النبي ﷺ » بمشاركات السادة القراء الكرام على هذا النحو:

١ كتابة المقال، وأن يكون مقالاً لا تنقصه الرصانة العلمية ولا العاطفة الدعوية، على ألا يتجاوز في أقصى الأحوال ١٥٠٠ كلمة، مذيلاً بالاسم الحقيقي لصاحبه.. ويتعلق بموضوع المجلة عن التعريف بالنبي ﷺ وشمائله وفضائله وأخلاقه ورحمته بأمته والتذكير بحقه وواجبات الأمة نحوه، والدفاع عن سنته ومحبة آل بيته وصحابته، ورد الشبهات عنه.

٢ ترشيح مادة كتبها عالم من العلماء الراحلين، أو من المؤسسات الإسلامية العريقة كالأزهر في مصر وهيئة كبار العلماء في الجزيرة وندوة العلماء في الهند تتعلق بموضوعات المجلة.. مع التوثيق الدقيق لهذه المادة: في أي كتاب أو مجلة نشرت بالصفحة وتاريخ الطبعة، أو رابط المادة على الانترنت.

٣ أو ترشيح مادة كتبها أحد العلماء والدعاة الأسرى فيما يتعلق بموضوع المجلة، مع التوثيق الدقيق لمصدرها.

- تفريغ مادة صوتية لأحد العلماء -الراحلين أو الأسرى- مع توثيق مصدرها.

- ولا نستغني أبداً عن مجهود القراء ومساعدتهم في نشر المجلة أو في ترجمتها إلى لغات أخرى أو في طباعتها وتوزيعها في بلدانهم، فحقوق الطبع والتوزيع محفوظة لكل مسلم.

ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني التالي : ansarunaby@gmail.com

أكاديمية أنصار النبي

SUPPORTERS OF PROPHET ACADEMY

أكاديمية أنصار النبي

أكاديمية علمية ودعوية عالمية، منبثقة عن الهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام، تعتمد التقنيات والأساليب الحديثة في التعليم، تنظم وتقدم برامج ودورات علمية، ودبلومات شرعية وفنية ومهارية في مختلف مجالات النصرة النبوية، وتقوم على تخريج وتأهيل متخصصين في فقه نصرة النبي صلى الله عليه وسلم علميا وعمليا، وتعمل على تمكين الشباب المسلم من المشاركة الواعية الفعالة في مجالات النصرة المتعددة.

الشيخ د. محمد الصغير
الأمين العام للهيئة العالمية لنصرة نبي الإسلام

+90 536 491 13 74
@ansaracademy_

الشيخ د. عبد الحي يوسف
عميد أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم





الافتتاحية

المسكوت عنه في حرب غزة



د. محمد الصغير

رئيس الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

بعد مرور أكثر من خمسين يوماً على انتصار السابع من أكتوبر، ودخول جيش الاحتلال في حالة هياج ورغبة في الانتقام، وعجزه عن تحقيق أهدافه المعلنة من الحرب التي شنها على المرضى والجرحى، واشتباكه المباشر مع المشافي والطواقم الطبية، ثم إذعانه لهدنة مؤقتة وتبادل أسرى بين طرفين هما: حماس مرفوعة الراس، والعالم الداعم والمساند لجيش الاحتلال!

في أجواء الحروب وأتون المعارك، تلح قضايا جوهرية وتظهر أسئلة مفصلية، تحتاج إلى بيان أو كشف اللثام عما التبس فهمه على كثير من المهتمين والمعنيين، لا سيما بعدما تأكدَ للعيان أن غزة تقود مشروع تحرير فلسطين، وتطهير المسجد الأقصى الأسير، وهي في ذلك خط الدفاع الأول، وخط الهجوم المتقدم نيابة عن الأمة، التي عجزت عن مساندتها كما فعل الغرب مع أوكرانيا، وكما فعلت أمريكا ودول القارة العجوز مع جيش الاحتلال، ومردّ ذلك إلى حكام لا يمثلون شعوبهم وهمْ إلى المحتل أقرب، وظهر أنهم وكلاء لا أصلاء، ولا يملكون الحركة إلا في المساحة التي يحددها الكفيل، أو يسمح بها السيد الأبيض، وبعضهم وقف علانية في صف العدو كما حدث قبل ذلك في حرب حلفاء أمريكا على أفغانستان، وحرب فرنسا على مالي، وفي الوقت الذي اتخذت فيه دول في أفريقيا وأمريكا اللاتينية قرارات حاسمة ضد الكيان المحتل وفضحاً لجرائمه، ظل سدنة التطبيع يحرسون معبد الخيانة، ويتعبدون في محرابه، وهذا يؤكد أهمية توسيع دائرة طوفان الأقصى، وأن تخرج العواصم العربية والإسلامية نجدة لإخوانهم المحاصرين، وهذه أجوبتي على أسئلة تكررت وشبه أثيرت، بشأن معركة طوفان الأقصى، وواجبنا جميعاً تجاهها:



- **أولاً: إغلاق المعابر والحدود، ومنع إغاثة المسلمين في غزة،** إن كان موالاة للصهاينة وسعياً في مرضاتهم، فهو مروق من الدين ووقوع في الردة بيقين، وإن كان نكايةً في حماس والمجاهدين فهو خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين، والسعي لفتح المعابر والحدود والاعتصام عندها، واجب على المصريين وجيران فلسطين، وعلى كل من يملك إلى ذلك سبيلاً.

- **ثانياً: كسر الحصار عن غزة واجب على دول الجوار في مصر وسوريا والأردن ولبنان،** ومن قتل دون ذلك فهو شهيد، ويتأكد الوجوب على أهل فلسطين في الضفة الغربية، والأرض المحتلة سنة ٤٨، ولابد من توسيع دائرة المعركة وفتح جبهات تشغل العدو عن قطاع غزة.

- **ثالثاً: من يملك سلاحاً في الضفة الغربية، لا يجوز له ترك أهله يبادون في غزة دون أن يتحرك لنصرتهم،** وأهل الضفة أقرب الناس للإثخان في عدوهم وإشغاله عنهم، ومَن عجز عن ذلك فأضعف الإيمان أن يدفع ما بيده لمن يقوم بالواجب، ولا يحتفظ بسلاح لا يعمل إلا في إطار خيانات التنسيق الأمني.



- **رابعاً: إبرام المعاهدات والتطبيع مع المحتل خيانةٌ لمسرى النبي ﷺ** -الذي يسعى الاحتلال لهدمه- وخذلانٌ لإخواننا الذين لا يجدون ما يحميهم، وتقصف المشافي على رؤوس مرضاهم، وبقاء هذه العلاقات هو دعم لجرائم المحتل، ولا ينبغي أن ينعم الصهاينة بالأمان في بلادنا، وغزة تُباد أمام أعيننا.

- **خامساً: مقاطعة الكيان المحتل من البديهيات، والتطبيع معه من أكبر الخيانات،** ومقاطعة منتجات الدول الداعمة له من آكد الواجبات، لاسيما الدول التي توفر الإمداد، وذهب زعماؤها لدعم المحتل على الأرض، وتولت كِبر ذلك أمريكا، ثم فرنسا صاحبة الإساءات.

- **سادساً: الجهاد يكون بالنفس والمال،** وقد رفع أهل غزة راية الجهاد والاستشهاد، ورفعوا عن الأمة الذل والهوان، ودعمهم بالمال من فرائض الأعيان، ومَن غلبته نفسه فليعجل زكاة ماله عن السنة

القادمة ويدفعها لهم، فقد طلب رسول ﷺ من عمه العباس تعجيل زكاته للحاجة، فلابد من دعم الطوفان حتى يبلغ منتهاه، وما النصر إلا من عند الله.

- **سابعاً: جيش الاحتلال يستهدف المشافي والأطفال،** وتدعمه الدول الراعية للنازية الصهيونية، ولا شك أن التجارة مع المحاربين والاستثمار مع المحتلين عونٌ لهم على جرائمهم، والواجب قطع كل علاقة معهم، واستمرار إمدادهم بالنفط والطاقة إسهام في الحرب على غزة، ومشاركة في قتل أهلها.

- **ثامناً: بريطانيا ومن ورائها الغرب غرسوا الاحتلال الصهيوني في فلسطين،** وأمريكا الآن ومعها القوم يقاتلون من أجل بقاء السرطان في جسد الأمة، وبلغت بنا الهزيمة أننا لا نجرؤ على القول بأن أمريكا تقود الحرب في غزة، وأن قصف المشافي واستهداف المرضى تم برضاها.. لعن الله مَن والاها.

- **تاسعاً: ست دول كبرى في مقدمتها أمريكا تقود العدوان السداسي على غزة،** ويشكل مجموع هذه الدول ٨٠% من قوة العالم، حيث استنفرهم الصهاينة بعد نصر السابع من أكتوبر لحماية الكيان من الانهيار، فاصطفوا منذ أكثر من ٤٠ يوماً لحرب غزة التي لا تزيد مساحتها على ٣٦٥ كم٢، وما زالت صامدة.. بقوة الله الغالبة، بل ونزلوا على شروطها في الهدنة المؤقتة.

- **عاشراً: النصر المباغت في السابع من أكتوبر جعل العالم كله أمام واقع جديد،** وفرض على الجميع تغيير الخطط والسياسات، وهو يوم من أيام الله وله ما بعده، لكن الطوفان يحتاج إلى استمرارية، وإن تكفلت الهيئات الخيرية بالمدنيين، فلا بد من فتح الأعين على المرابطين، والتذكير بحقهم على الأمة، للاستمرار في أداء دورهم وإتمام واجبهم، وعلى كل واحد منا النظر في الواجب عليه، فإذا كان الغني واجبه البذل والإنفاق، فإن دور الفقير في الحض والتذكير.

تلك عشرة كاملة، والله مِن وراء القصد والهادي سواء السبيل.



أين الطريق إلى نصرة غزة؟



محمد إلهامي (رئيس التحرير)

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

أنهيت قبل فترة قراءة مذكرات موشيه ساسون، السفير الإسرائيلي الثاني في مصر، والتي ترجمت ونشرت بعنوان «٧ سنوات في بلاد المصريين»، وهي تلك السنوات التي تلت اتفاقية السلام لتبدأ فيها عملية التطبيع (١٩٨١ - ١٩٨٨م)، والواقع أنها مذكرات مفيدة للغاية، يحكي فيها السفير، بأقصى ما أوتي من مهارات سياسية وقدرات بلاغية قصة محاولة اختراق المجتمع المصري وإشرابه السلام مع إسرائيل.

وفي هذه المذكرات كثير من الأمور التي ينبغي التوقف عندها، إلا أنني أتوقف في هذا المقال مع ثلاثة أمور فحسب، هي الأخطر والأعظم فائدة في سياق حديثنا الآن عن كيفية نصرة غزة.

وها هنا أمر يجب بيانه: إن الحديث في نصرة غزة لا يختلف كثيراً عن الحديث في نصرة النبي ﷺ، وذلك من أربعة أوجه:



١ نصرة غزة وبقية المسلمين هي من صميم نصرة النبي ﷺ، فإن نصرة المسلمين هى تنفيذ لتعاليمه ووصاياه ﷺ، وهو دفاع عن أمته ﷺ.

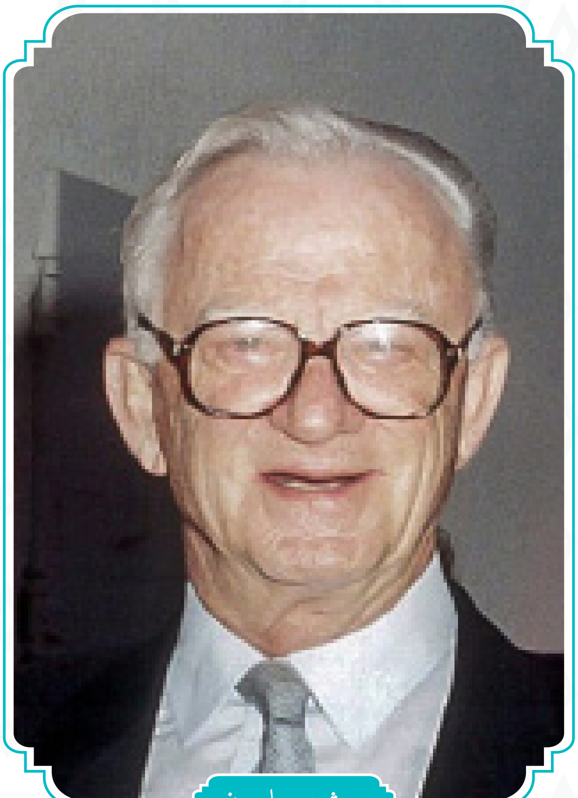
٢ نصرة غزة هي جزء من نصرة قضية المسرى، الأرض المباركة التي أسري به ﷺ إليها وعُرج به منها، ثم نزل ﷺ من السماء إليها كرَّة أخرى ليؤم الأنبياء والمرسلين! فهي أخصّ في النصرة مما سواها من القضايا!

٣ غزة ذاتها إنما انتفضت لأجل اقتحام مسرى النبي ﷺ ولأجل ما كان اليهود يتفوهون به من سب النبي ﷺ والإساءة إليه، وهو الأمر الذي شاهده المسلمون جميعاً وعجزوا أن يفعلوا شيئاً. فنصرة غزة إنما هي نصرة لأنصار النبي ﷺ، ودعمٌ وإسنادٌ لهم.

٤ لا تختلف الحركة في نصرة النبي ﷺ ضد الإساءات الموجهة إليه في فرنسا أو السويد أو الهند أو إسرائيل عن نصرة المسلمين في غزة، فإننا نجد أنفسنا في كل مرة مضطرين إلى إطلاق حملات إعلامية، وتدشين دعوات لمقاطعة اقتصادية، وإصدار البيانات والفتاوى، ثم نعجز عما فوق ذلك. وكثيراً ما نرى

أنظمة الحكم قد عصفت بكل هذا وضربت به عرض الحائط وهرولت لعقد صفقة مليارية أو معاهدات اقتصادية جديدة، هذا إن لم تسلط إعلامها على تسفيه هذه الحملات والطعن فيها، وإن لم تسلط أجهزة أمنها على اعتقال هؤلاء الذين حاولوا نصرة النبي ﷺ!

وبهذا نجد أننا، أعني الشعوب العربية المسلمة، في وضع لا يختلف كثيراً حين ننصر النبي ﷺ ضد الإساءات أو حين ننصر غزة ضد المذابح. إننا في عصر الدولة الحديثة التي تؤسس نظامها على أن تتحكم السلطة في كل شيء، فليس للإنسان أي قدر من الحرية خارج باب منزله، اللهم إلا أن يلهو ويأكل ويشرب ويطرب، فكل نشاط خارج المنزل هو نشاط يجب أن تأذن به السلطة. وما دام أن الوضع لا يختلف كثيراً، فإن البحث عن طريق الحل لن يختلف كثيراً.



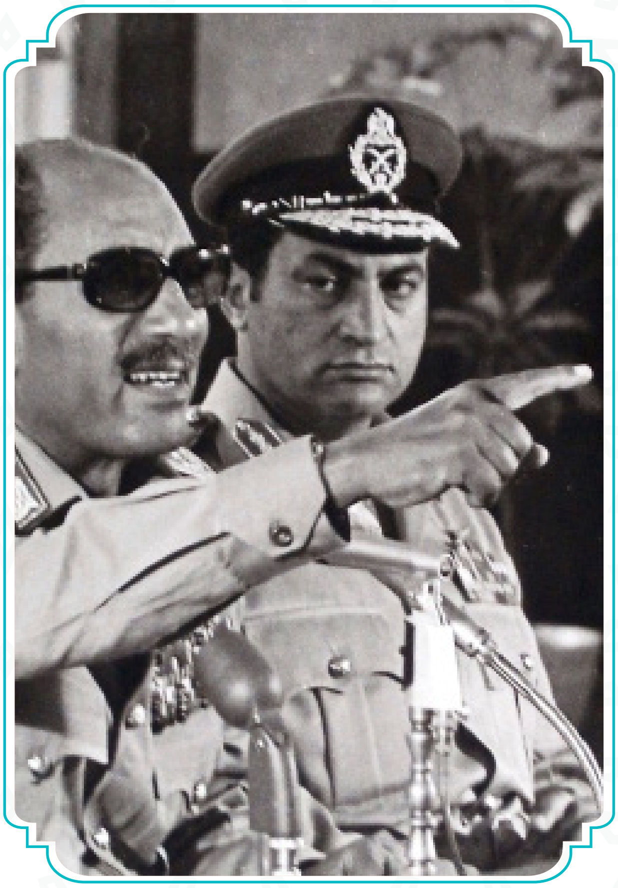
موشيه ساسون

أولا: سرُّ التغيير عند الحاكم وحده!

عرف موشيه ساسون أن مهمته في مصر ليست سهلة، ولما حضر إلى مصر قدَّر أن ثلاثة تخوفات تعترض طريقه، أهمها وأولها هو: ما مصير السلام إذا مات السادات؟

يقول ساسون: «كما هو الحال في كل الدول العربية في الشرق الأوسط: كل شيء يتم بواسطة الرئيس. كل القرارات الهامة، بما في ذلك قرارات عن الحرب أو السلام هي قرارات شخص واحد. «الزعيم»، وكثيراً ما يحدث أن الرئيس لا يكشف ما بداخل قلبه لأي شخص كان». ومن هنا فقد كان قرار السلام متعلقاً

ببقاء شخص السادات في سُدة الحكم، وكان القلق سائداً ومسيطراً بشأن الوضع إذا ما اختفى هذا الشخص.



ولم تتأخر إجابة هذا السؤال، فبعد أشهر من قدوم ساسون إلى السفارة جرى اغتيال السادات أمامه في المنصة، وسارع الجميع إلى طمأنته وطمأنة إسرائيل بأن حسني مبارك هو ربيب السادات، وأن السادات قد أعدَّه لاستكمال هذه المهمة، وخرجت التصريحات الرسمية من المسؤولين، ومن أصدقاء السفير في الوزارات وأروقة السياسة، وحتى من جيهان السادات، وكلها يقول: لا تقلق! مبارك على خطى السادات.

وقد رأى السفير من مبارك ما جعله يستنتج في نهاية حصاد رحلته السياسية أن السلام قد استمر «بفضل شخص واحد: محمد حسني مبارك، لأنه لو أراد الرئيس مبارك، لكان في مقدوره -بعد اغتيال السادات مباشرة- أن يلغي بكلمة واحدة اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل، وذلك دون الكثير من المعترضين في الداخل ووسط هتافات العالم العربي كله... طالما لن يحدث في المنطقة شيء خطير جداً سيكون عمر اتفاقية السلام على الأقل مثل عمر الفترة التي سيظل فيها الرئيس مبارك جالساً على مقعد الرئاسة».

وبقية القصة معروفة، فلقد طال عهد مبارك لثلاثين سنة، وأنشأ جيلاً من العسكريين ليس لهم من العسكرية إلا اسمها وزيُّها، بينما أحسنهم تاجر طامع، وأسوأهم عميل خائن، يشارك الآن بكل جهده في الحرب على غزة.



إننا نضيع الوقت والجهد والمال إذا لم نقصد إلى تغيير الحاكم، سواء أكان ذلك سلماً أم حرباً، بانتخابات أو بانقلاب أو بثورة أو بأي شيء آخر. والأمة المحبوسة كالسجين في زنزانته، إن لم يحتلْ لأخذ المفتاح فلا بد أن يكسر الباب أو يحفر النفق أو يقتل السجان.. وإلا ظل بقي في الأسر إلى أن يموت!

ثانيا: مصير الخيانة والتطبيع المرتعش!

أما التخوف الثاني الذي طارد موشيه ساسون فهو:

هل سيبقى السلام قائماً بعد إعادة كامل سيناء إلى المصريين؟

لمن لا يعرف فإن إسرائيل لم تستكمل انسحابها من سيناء إلا بعد ثلاث سنوات من توقيع اتفاقية السلام، أي أن السفير الإسرائيلي قد جاء وصار يسرح ويمرح في مصر ولا تزال سيناء محتلة!

ومصدر هذا التخوف لدى ساسون نابع من حقيقة أن الشعب المصري لم يكن مؤيداً للسلام مع إسرائيل، وأنه أجبر على هذا "السلام" بقوة السلطة وقهرها، وبينما كان السادات مندفعاً في مسار التطبيع بلا حد إذ جاء اغتياله على المنصة فوضع حدًّا لهذا الاندفاع، وجعل مبارك يسير في مسار التطبيع بيد مرتعشة وإجراءات مترددة ومحاولات يوازن فيها بين التمسك باتفاقية السلام وترك مساحة للشعب لينفس عن نفسه.

وقد زادته السياسة الإسرائيلية حرجاً وارتعاشاً، فقد تصرفت إسرائيل في المنطقة بعربدة لم تبالي معها بأي إحراجات قد تسببها لمصر. لقد كان النظام المصري يسعى جاهداً لإقناع بقية الأنظمة العربية بفائدة السلام مع إسرائيل وضرورته، وبأن مصر لم تخلع من مكانها ومكانتها العربية بهذا السلام المنفرد وإنما صنعت السلام لتستطيع حماية الدول العربية. وبينما هو كذلك إذ ضربت إسرائيل المفاعل النووي العراقي بعد ثلاثة أيام من لقاء السادات وبيجين في شرم الشيخ. ولما جاء مبارك غزت إسرائيل لبنان حتى اجتاحت بيروت ونُفِّذ تحت إشرافها مذبحة هائلة في الفلسطينيين (مذبحة صابرا وشاتيلا)، ثم اغتالت أبا جهاد في تونس، وغيرها من الأحداث. وبهذا وجد النظام المصري نفسه عرياناً! وعايش الحقيقة الفاضحة! لقد اختطفت إسرائيل منه السلام، وجمَّدته واقفاً في الزاوية لتستكمل هي عربدتها في المنطقة! ورأى العالم العربي الشقيقة الكبرى وقد استسلمت ووقفت تتفرج دون أن تجرؤ على فعل شيء!

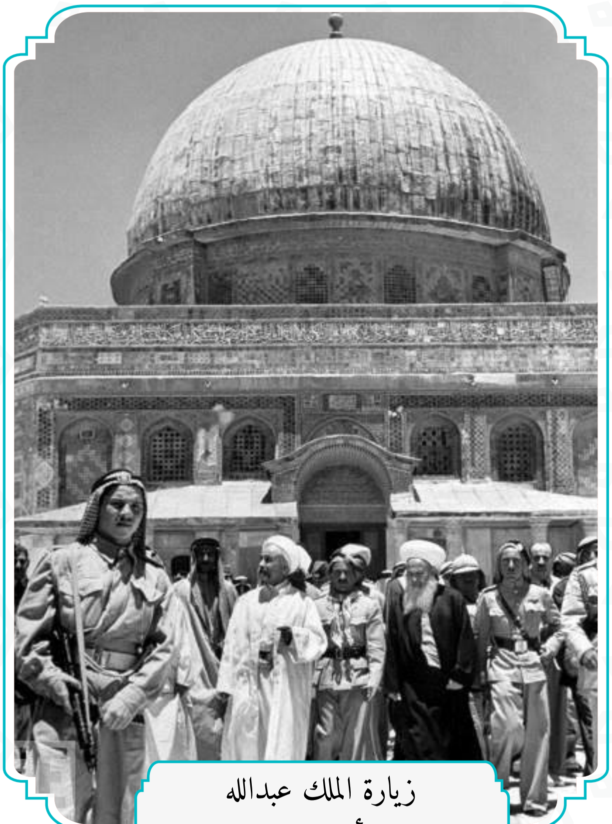


مشاهد من مذبحة صابرا وشاتيلا

وهذا هو التخوف الثالث الذي ضاق به صدر ساسون: ماذا سيكون مصير السلام مع مصر إذا دخلت إسرائيل حرباً مع دولة عربية أخرى؟

في نهاية خدمته عاد ساسون وهو مرتاح لأسئلته الثلاثة؛ لقد بقي السلام بعد اغتيال السادات، وبقي بعد تسليم سيناء كاملة، وبقي رغم الحروب التي دخلتها إسرائيل مع العالم العربي. ولكنه مع ذلك عاد وفي صدره غصة: لأن التطبيع كان مرتعشاً وبطيئاً ومتردداً، بل كان «ضحلاً» كما يقول، وظل يتشكّى من هذا الوضع حتى جلسته الوداعية الأخيرة مع مبارك.

وفي الواقع، لقد كان هذا البطء والارتعاش والتردد بفضل المقاومة، المقاومة التي كانت ذروتها اغتيال السادات نفسه. ومثلما كان اغتيال الملك عبد الله الأول ملك شرق الأردن قد عَطَّل قطار التطبيع العلني أربعين سنة، فقد عَطَّل اغتيال السادات التطبيع العلني أربعين سنة أخرى! وهذا ما صرَّحت به جولدا مائير رئيسة الحكومة الإسرائيلية في مذكراتها، حيث قالت: «قبل ستة أشهر من تأسيس الدولة (إسرائيل) تقابلت مرتين مع الملك عبد الله ملك شرق الأردن وجدّ الملك حسين. ومع أن كلا اللقاءيْن بقيا سراً... فلا أحد يعلم حتى اليوم مدى مسؤولية الشائعات التي انتشرت عنها عن اغتياله. والاغتيال مرض مستوطن في العالم العربي، وأحد الدروس الهامة التي يجب أن يتعلمها القادة العرب، وهي الصلة بين السرّية وطول الحياة. وقد أحدث اغتيال الملك عبد الله تأثيراً ظل قائماً على كل القادة العرب الذين تلوه. وأذكر أن عبد الناصر قال لأحد الوسطاء الذين أرسلناهم إليه: لو أن بن جوريون جاء إلى القاهرة للتحدث معي فسوف يعود بطلاً، أما إذا ذهبت إليه فسوف أُقْتَل عند عودتي. والواضح أن هذا الموقف ما زال قائماً».



زيارة الملك عبدالله
المسجد الأقصى قبيل اغتياله

لكن السفير ساسون، ولأنه مكلَّف بمهمة تثبيت السلام وترويج التطبيع، بذل جهداً مضنياً لكي ينفي أي ارتباط لهذين الاغتياليْن بالعلاقة مع إسرائيل. ولكن مجهوده لم يغير من الواقع شيئاً، لقد اضطر مبارك طوال عهده أن يسمح للشعب ونقاباته وجماهيريه بالإساءة إلى إسرائيل، ومنع

السياحة إلى إسرائيل، وحظر التبادل التجاري، وأوقف العلاقات الثقافية، وسمح بمواد إعلامية تهاجم إسرائيل، ولم تجرؤ صحيفة على نشر بيانات السفير الإسرائيلي. كانت هذه طريقته لكي يحمي نفسه من الناس، ويمد يده إلى بقية الدول العربية، وليوصل إلى إسرائيل أنه ساخط على سياستها التي لا تأبه له!

يؤكد هذا أن هذا المسار الذي انتهجه مبارك كان يحذر ناحية القرب من إسرائيل وتمكين التطبيع كلما شعر بأنه في أمان، وأنه قد قبض على زمام الحكم، حتى انهار تماماً وصار مجرد شرطي في السنوات العشر الأخيرة من حكمه، لا سيما وقد أراد أن يضع ابنه جمال مبارك بعده!

لقد كانت المقاومة الشعبية لهذا السلام هي التي أجبرت الحاكم على أن يتزن ويداري خيانته ولا يتوغل فيها. وقد تعرض السفير نفسه إلى محاولتي اغتيال أثناء هذه السنوات السبع!



ثالثا: الناس على دين ملوكهم!

سرعان ما أفرزت سياسة السلطة نتائجها العفنة! في كل شعب أناس يطمحون ويطمعون وتحركهم مصالحهم، حتى لو أبدوا استعدادهم للخيانة! لقد استيقظت الخلايا التي أرادت الاستفادة من الوضع الجديد.

في الحفل الأول الذي حضره السفير في مصر، فوجئ برجل عجوز يقبل عليه ويسأله ثم يأخذه الحنين الشديد، ما كان هذا الرجل سوى كمال رياض مسؤول التواصل مع الإسرائيليين في عهد الملك فاروق، وأول من سعى للسلام معها قديماً ولكن تعنت الإسرائيليين أفشل الأمر، فمن بعد ما اختفى طوال ثلث

القرن استيقظ ليجدد الوصل مرة أخرى. وقد سار على هذا الدرب آخرون، ولقد كانت مهمة السفير أن يستكثر من هؤلاء وأن يبحث عنهم، فوجد بغيته في أسماء كثيرة، وروى مواقف عديدة له مع نجيب محفوظ وعمر الشريف وغيرهم من النخبة المصرية، فضلاً عن أصدقائه الأعزاء من الطبقة السياسية والوزراء مثل: كمال حسن علي ويوسف والي وجيهان السادات وعبد الهادي قنديل الذي كان وزير البترول وغيرهم.

ولكن، جاء من وراء ذلك آخرون من عامة الشعب أرادوا أيضاً أن يستفيدوا من الوضع الجديد، وأن تكون لهم علاقة طيبة بالسفير الإسرائيلي، أو أنهم سرعان ما استجابوا لأي بادرة بدأ بها السفير نفسه.

ومع ذلك فلم يصفُ للسفير ولم يطِب له مقامه بالقاهرة، والسر في ذلك هو حصيلة الأمرَيْن اللذيْن ذكرناهما، لقد كانت حصيلة هذين الأمرين: انفراد الحاكم بالقدرة على التغيير، وكون الحاكم الذي جاء قد اتعظ من مصير الرئيس المغتال، أن سار حسني مبارك سيرة بطيئة مترددة مرتعشة، وعلى مثل مسيرته هذه سار كثير من الناس خلفه!

يقول ساسون: «علاقة الطبقة المثقفة في مصر بي كانت تتغير طبقاً للأوامر، كل شيء حسب البارومتر السياسي»، بل ذكر السفير أن مجرد التلميح والإشارة من الرئيس كانت تترجم فوراً إلى صلة أو قطيعة. فإذا كان مبارك راضياً فإنه يذكر السفير بقوله «السيد ساسون»، فكأنها كلمة سحرية تفتح له الأبواب، وأما إن كان ساخطاً على إسرائيل فهو يقول: الخواجة ساسون أو المستر ساسون، فعندئذ تنغلق الأبواب المفتوحة!

وإذا أقام السفير حفلاً في بيته جاء إليه أولئك المتسلقون، فإن وجدوا حضوراً رسمياً في الحفل رضوا وأكلوا وشربوا وطربوا، فإذا لاحظوا غياب التمثيل الرسمي انسلوا خارجين وما كادوا يجلسون!



يقول ساسون: «في دولة مثل مصر وحتى أيامنا هذه، كل شيء فيها طبقاً لما يقوله الرئيس «الريس»، فإن تصريحات الرئيس أو تصرفاته تجاه إسرائيل لها آثارها المباشرة على تصرفات الطبقة الحاكمة في مصر».

إن الحكام يستطيعون إفساد الشعوب بأشد مما تستطيع الشعوب إصلاح الحكام، ويبلغ الأمر معهم حدًّا خطيرًا، فإن بعض الذين استأنسوا بالسفير وبادلوه وداً بود، كانوا أقارب لشهداء سقطوا على يد الإسرائيليين، وأحياناً كانوا عسكريين قد أصيبوا بالفعل في حروبهم مع الإسرائيليين! ومنهم ذلك العقيد الذي صار مديراً للمتحف الحربي وقد أصيب بالشلل لفترة أثناء عبوره القناة!

إن أشد ما في هذه المذكرات من الآلام قصة المرأة التي كانت تعمل خادمة في بيت السفير الإسرائيلي، لقد كانت أرملة شهيد أخذ إلى الحرب وقتل فيها، ثم لم يكفها المعاش الذي تصرفه الحكومة لها، فاضطرت أن تعمل خادمة، ثم ساقتها المقادير إلى أن تخدم سفير الذين قتلوا زوجها! والأشد مرارة من هذا أن المرأة لا تعرف شيئاً عن إسرائيل ولا عن الحرب.. لقد سلبت السلطة منها زوجها، ثم سلبت حقها في الحياة الكريمة، ثم سلبت وعيها حتى لم تعد تعرف عدواً من صديق!

ومثلها ذلك الفلاح الذي قُتِل أخوه في الحرب ثم فوجئ أنه سيعمل تحت إشراف خبير إسرائيلي، ولكنه لشدة الفقر وضيق الحال اضطر أن يكمل عمله وهو كاره، حتى إذا أَلِف اليهودي لم

يعد يشعر معه بغضاضة! وأشد من ذلك أن من الفلاحين من لم يكن يعرف شيئاً عن إسرائيل ولا أين تقع، لقد مسخت السلطة -بما نشرته من الفقر والحاجة- طبيعة الناس، حتى صاروا كما قال ميخال سيلع (مشرف مشروع التعاون الزراعي) إن من الفلاحين من «لم يعرف حتى ما هي إسرائيل وأين تقع. يهتم المزارع المصري بشيئين: إعالة أسرته وإقامة منزل له»».

الخلاصة:



إذا نحن لم نتخلص من الحكام الخونة فستكون النتيجة كالآتي:

١ انكسار غزة وابتداء مسار آخره تدمير الأقصى.

٢ توغل الإسرائيليين في بلادنا فوق ما توغلوا، وهيمنتهم عليها فوق ما هيمنوا.

٣ انتشار الفقر والقهر سيجعل أبناءنا وبناتنا وزوجاتنا وأخواتنا خادمات عندهن! لا يعرفن عدواً من صديق، ولا يعرفن لم وفيم حاربنا وحوربنا، وقاتلنا وقوتلنا!

وتلك هي المأساة العظمى..



التطبيع مع الصهاينة

مظاهر وأحكام



د. عبدالحي يوسف

عميد أكاديمية أنصار النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فإن التوصيف الشرعي لما هو حاصل على أرض فلسطين أن ثمة قتالاً يدور بين أمة خيّرة من المجاهدين المرابطين في بيت المقدس وأكنافه، وبين الأمة الغضبية الذين غضب الله عليهم ولعنهم، والذين ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الأعراف: ٦٧].

وهذا القتال قد ظهرت فيه أخلاق المسلمين المتقين من استهداف الحربيين المقاتلين، وتجنب النساء والأطفال والإفساد في الأرض، وإظهار ضروب فائقة من البطولة والشجاعة والبسالة والرضا بالقدر، في مقابل أخلاق اليهود الذين لعنهم الله وغضب عليهم وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت؛ حيث فضح الله سوء أخلاقهم حين عمدوا إلى ستر سوأتهم وموارة هزيمتهم باستهداف المساجد والكنائس والمشافي والمدارس، وإفناء الأطفال والنساء والشيوخ؛ فكانوا كما وصفهم ربنا ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

وافتضح مع اليهود أولياؤهم من الصليبيين ممن سُمُّوا زوراً بـ(المجتمع الدولي) حيث أعانوهم على إجرامهم وأمدوهم بالسلاح الفتاك والدعم المعنوي والرجال المقاتلين، مع ترويج الأكاذيب وبث الأراجيف، وأظهروا ذلك ولم يضمروه، ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ﴾ [آل عمران: ١١٨] امتداداً لسعيهم السابق الحثيث في تدمير أمة الإسلام أخلاقاً واقتصاداً وأمناً، من أجل أن يأتي عليها يوم تستسلم فيه بالكلية لليهود وأعوانهم؛ رضا بالواقع المر.



وكانت هذه المعركة -ولا تزال- مزلزلة مدمدمة على أنظمة القهر والاستبداد، من الحكام المنافقين الخونة الذين حادّوا الله ورسوله، وكانوا -ولا يزالون- سوط عذاب على الشعوب المغلوبة على أمرها؛ حيث والوا أعداء الله وسارعوا فيهم قائلين «نَخشى أن تُصيبنا دائرة»، وأظهروا التعاطف الكبير مع يهود، وفي الوقت نفسه أبدوا علانية -

حيناً- وفي لحن القول أحياناً غضبهم مما قام به المجاهدون، لأن ذلك النصر المبين كشف سوآتهم وأظهر سوء نياتهم؛ حيث كان بعضهم مطبعاً والآخر مستعداً للتطبيع. وها هنا أذكر جملة من الحقائق الشرعية:

● **أولها:** إن موالاة أعداء الإسلام، وبخاصة اليهود المحاربين محرَّمة شرعاً؛ لأنهم قد اغتصبوا الأرض المقدسة وساموا أهلها سوء العذب؛ بل خططوا لإقامة دولتهم الكبرى من الفرات إلى النيل، وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢] وقال: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ﴾ [النساء: ٨٩] وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

● **ثانيها:** أن ما ظهر من بعض حكام المسلمين من التعاطف مع أولئك اليهود الغاصبين، والحط على المجاهدين من حماس والفصائل ووصف فعلهم بالعدوان، بل تمادى الحال ببعضهم إلى إعانة اليهود ومدّهم بالمعلومات، والتصويت ضد القرارات التي تدين أفعالهم، كل ذلك إنما هو من موالاة أولئك اليهود؛ **وهو من الكفر المحض.** ففي



ريم الهاشمي وزيرة إماراتية وصفت عمليات المقاومة بالبربرية



تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «يعَني تعالى ذِكرُه بقولِه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ ومَن يتولَّ اليهودَ والنصارى دون المؤمنين فإنَّه منهم؛ يقول: فإنَّ مَن تولّاهم ونصَرَهم على المؤمنين، فهو من أهلِ دِينهم ومِلَّتهم؛ فإنَّه لا يتولى متولّ أحدًا إلا وهو به وبدِينه وما هو عليه راضٍ، وإذا رَضِيَه ورضِيَ دِينَه فقد عادَى ما خالفَه وسَخِطه، وصار حُكمُه حُكمَه»[١].

وقال ابنُ حزم رحمه الله تعالى: «وصحَّ أنَّ قولَ الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ إنَّما هو على ظاهرِه بأنه كافرٌ من جملة الكفَّار فقط، وهذا حقٌّ لا يَختلِفُ فيه اثنانِ من المسلمين»[٢].

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله تعالى: «... أنَّه سبحانه قد حكَم -ولا أحسنَ مِن حُكمِه- أنَّه مَن تولَّى اليهودَ والنصارى فهو مِنهم، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، فإذا كان أولياؤُهم منهم بنصِّ القرآنِ، كان لهم حُكمُهم»[٣].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى: «ذكَر في هذه الآية الكريمة، أنَّ مَن تولى اليهود والنصارى من المسلمين، فإنَّه يكون منهم بتولِّيه إيَّاهم... وبيَّن في موضعٍ آخَرَ أنَّ محلَّ ذلك فيما إذا لم تكُن الموالاةُ بسببِ خوفٍ وتقيَّة، وإنْ كانت بسبب ذلك فصاحبُها معذورٌ، وهو قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ

١ جامع البيان، ٥٠٨/٨.
٢ المحلى، ٣٨٦/١.
٣ أحكام أهل الذمة، ١٩٥/١.

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، فهذه الآيةُ الكريمةُ فيها بيانٌ لكلِّ الآياتِ القاضية بمنْع موالاةِ الكفَّار مطلقًا، وإيضاح لأنَّ محلَّ ذلك في حالة الاختيارِ، وأمَّا عند الخوفِ والتقيَّة، فيُرخَّص في موالاتهم، بقدْر المداراةِ التي يكتفي بها شرَّهم، ويُشترَط في ذلك سلامةُ الباطن من تلك الموالاة... ويُفهم من ظواهرِ هذه الآيات أنَّ مَن تولَّى الكفَّارَ عمدًا اختيارًا، رغبةً فيهم: **أنَّه كافرٌ مثلهم**»[٤].

وقال الشيخ ابنُ باز رحمه الله تعالى: «وقد أجمعَ عُلماءُ الإسلامِ على أنَّ مَن ظاهَرَ الكفَّارَ على المسلمين، وساعدَهم عليهم بأيِّ نوعٍ مِن المساعدةِ، **فهو كافرٌ مثلهُم**، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]»[٥].

- **ثالثها:** أن التعامل مع هؤلاء اليهود المحاربين بيعاً أو شراء أو تبادلاً تجارياً أو استثماراً أو تمليكاً للأراضي كل ذلك محرَّم ممنوع، وذلك ظاهر من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]. ومعنى الآية كما قال أهل التفسير: إنَّما يَنهاكم اللهُ -أيُّها المؤمنونَ- عن الكافِرينَ المحارِبينَ الَّذين ناصَبوكم العَداوةَ، فقاتَلوكم بسبَبِ إيمانِكم بربِّكم، وأخرَجوكم مِن بلادِكم، وعاوَنوا غَيرَهم على إخراجِكم أن تتولَّوهم، فتكونوا لهم محِبِّينَ مُناصِرينَ، ومَن يتَّخِذِ الكافِرينَ أولياءَ يُحِبُّهم ويُناصِرُهم، فأولئك هم الظَّالِمونَ الَّذين وَضَعوا المُوالاةَ في غيرِ مَوضِعِها، وعرَّضوا أنفُسَهم لعذابِ اللهِ تعالى.

---

٤ أضواء البيان، (١/ ٤١٢-٤١٣).

٥ مجموع فتاوى ابن باز، ٢٦٩/١.



● **رابعها:** إذا استبان القارئ فحوى ما سبق يدرك جُرم أولئك الحكام الساعين في التطبيع مع يهود المسارعين في إرضائهم حماية لعروشهم وكراسيهم؛ وحرصاً على لعاعة الدنيا؛ لأن التطبيع -وهو مصطلح خادع- أعظم من مجرد بيع أو شراء أو استثمار مع اليهود؛ بل هو تطبيع سياسي يشمل إقامة علاقات دبلوماسية كاملة ولقاءات قمة متبادلة، وتطبيع اقتصادي يحصل به إزالة جميع الحواجز حتى تصبح دولة يهود هي الدولة الأولى بالرعاية، وأخطر من ذلك التطبيع الثقافي بأن يُنزع من العقل المسلم العداء لليهود ويُكسر الحاجز النفسي بينهم وبين المسلمين؛ بما يتبع ذلك من هجرة اليهود إلى أرض المسلمين -كما حصل في الإمارات مثلاً- مما يقرِّب اليهود من تحقيق حلمهم في إقامة (إسرائيل الكبرى).

● **خامسها:** أن ما يقوم به بعض المعمَّمين من رجال الدين ممن احترفوا التزوير ولبس الحق بالباطل وتحريف الكلم عن مواضعه، من تصوير تلك الموالاة وذلك التطبيع على أنه إحياء لسنة رسول الله ﷺ في صلحه مع قريش، وأكله من طعام يهودية ووضوئه من مزادة مشركة؛ إنما هو خيانة لله ورسوله؛ وهؤلاء الفاسدون المعمَّمون قد شابهوا اليهود من حيث كونهم يكتمون الحق وهم يعلمون؛ ذلك أنهم يعلمون يقيناً أن ذلك التطبيع المرجو سيترتب عليه منع بث السور التي تتحدث عن اليهود، وحذف الآيات التي تفضح سوء مسلكهم من المناهج الدراسية؛ بل وحذف المعارك العسكرية التي كانت بينهم وبين النبي ﷺ، ومنع البرامج الدينية التي تتناول قصص يهود، وهذا كله قد حصل في البلاد التي سلكت هذا السبيل. حيث سارعت حكومات تلك البلاد المطبِّعة في مراجعة المناهج التعليمية وتعديلها لتلائم المرحلة الجديدة، وبالمقابل لم يحصل شيء من ذلك في الجانب اليهودي بل ما زالت أفكارهم ومناهجهم هي هي لم يمسها

شيء من تغيير. فمنذ الأيام الأولى لتأسيس (إسرائيل) صرح (بن غوريون) في كلمة موجهة إلى الطلاب اليهود بقوله: «إن هذه الخارطة ليست خارطة شعبنا، إن لنا خارطة أخرى عليكم -أنتم طلاب المدارس اليهودية وشبابها- أن تحولوها إلى واقع... يجب أن يتسع شعب (إسرائيل) من النيل إلى الفرات»!



● **سادسها:** حصار غزة ومنع الغذاء والدواء فضلاً عن السلاح والعتاد عن أهلها؛ قد احتج له البعض بمعاهدات الصلح التي أبرمت في (كامب ديفيد) و(أوسلو) و(وادي عربة)؛ ومن بعد ذلك الاتفاقيات التي سميت زوراً (الإبراهيمية) مستدلين بقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه؛ فإن تلك المعاهدات -من حيث الأصل- باطلة لا قيمة لها شرعاً، والمعدوم شرعاً كالمعدوم حساً، والمقرر في قواعد السياسة الشرعية أن تصرّف الإمام في الرعية منوط بالمصلحة؛ فما لم يكن فيه مصلحة بل مفسدة فهو تصرف باطل؛ لأن الشرع لا يأمر بالفساد، **قال الشافعي** -رحمه الله تعالى-: **«وإذا سأل قوم من المشركين مهادنةً، فللإمام مهادنتهم على النظر للمسلمين، رجاء أن يسلموا أو يعطوا الجزية بلا مؤونة، وليس له مهادنتهم إذا لم يكن في ذلك نظر»، وقال: «وإن صالحهم الإمام على ما لا يجوز فالطاعة نقضه»**. ا.هـ

ولإسقاط هذا الكلام على الواقع أقول: إن الصلح مع العدو -في الجملة- يضبطه أمران لا بد من تحققهما من أجل أن يكون مشروعاً:

- **الأول:** أن يكون الصلح مما يوافق أحكام الشريعة في أصله وتفصيلاته، فلا يشتمل في أصله أو تفاصيله على ما يضاد أو يناقض الأحكام الشرعية.

- **الثاني:** أن يكون مبناه على ارتياد ما هو في مصلحة الإسلام والمسلمين؛ فالصلح الذي يجلب على المسلمين الضرر، سواء في دينهم أو دنياهم، وكذلك الصلح الذي لا يجلب نفعاً، هو صلح لم يقُم على قاعدة ارتياد الأصلح، وكل عهد أو صلح بين المسلمين وبين الكفار لم يحقق هذين الأمرين، أو أحدهما فهو صلح لا يُعتد به شرعاً، وهو صلح باطل؛ لأنه أسس على غير التقوى.



ومعلوم أن هذه المعاهدات المبرمة مع الصهاينة تقوم على أصل باطل وهو إلغاء شريعة الجهاد؛ بادعاء أن هذه المعاهدات مؤبَّدة ترسي مبدأ (السلام الدائم والشامل) مما يناقض نصوص القرآن التي تبين أن العداوة بيننا وبينهم أبدية باقية ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وقد اتفق أهل العلم على أنه لا يجوز أن تكون المعاهدة أبدية، وهم بعد اتفاقهم على عدم التأبيد على قولين في توقيت المعاهدة:

- **القول الأول:** فالجمهور على أن المعاهدة ينبغي أن توقت بوقت، وأطول وقت يمكن اعتباره للمعاهدة هو عشر سنوات، وهي المدة التي صالح عليها رسول الله ﷺ المشركين في مكة، وإن كان هناك من أهل العلم من يجعل المدة مرتبطة بالمصلحة؛ فقد تزيد عن ذلك، وقد تنقص بشرط ألا تكون أبدية.

- **والقول الثاني:** بجواز أن تكون المعاهدة مطلقة؛ أي من غير تحديد فترة زمنية تنتهي عندها المعاهدة، بل تكون مطلقة عن قيْد الزمن، وأن من أراد نبذها فله ذلك بعد إعلام الطرف الثاني حتى لا يكون هناك غدر. وبعض أهل العلم يرفضون هذه الصورة من أجل خشيتهم أن يؤدي إطلاق المدة إلى تأبيد المعاهدة.

ثم إن البلاد التي صالحت العدو الصهيوني الغاصب وطبّعت معه لم ينَل أهلها خيراً، بل ازدادوا فقراً على فقر، وتحققت من خلال ذلك مصالح اليهود، من رواج تجارتهم وتصدير سلعهم، ومنتجاتهم الصناعية، وغيرها إلى بلاد المسلمين، وحصولهم على المواد الخام من بلاد المسلمين بأسعار رخيصة، مع تدخلهم في ثقافة الشعوب الإسلامية، والتأثير في مناهج التعليم ووسائل الإعلام. ثم إن تلك المعاهدات -على فرض صحتها- قد انتقضت بما صنعه اليهود بإخواننا في غزة؛ حين استباحوا ديارهم وقتلوا رجالهم ونساءهم وأطفالهم، وهدموا البيوت على رؤوس ساكنيها، وقد قال النبي ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم». فأي دين ذاك الذي يبيح لك مهادنة عدوك وإعانته وهو يقتل إخوانك ويستبيح ديارهم؟

وبعد: فإن بعض الناس يحتج بما عليه المسلمون من ضعف وخور؛ يحتجون بذلك من أجل تجريم المجاهدين في غزة والتبرير لأنفسهم ولحكام السوء في القعود عن نصرتهم؛ ولا شك أن هؤلاء ممن قال الله فيهم: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]، فإنه إن كان بالمسلمين ضعف فليس الحل في مخالفة أمر بالله بالركون إلى الظالمين، والتودد للكافرين، والمسارعة فيهم؛ فذلك كله لا يزيد المسلمين إلا رهَقاً، وإنما الحل -كما صنع مجاهدو غزة- في الاعتصام بحبل الله المتين، وإعداد المستطاع من القوة، والتوكل على الله بعد شحذ الهمم وتقوية العزائم وتربية الناس على معاني الجهاد وحب الاستشهاد.



الشمال السوري المحرر
والمقاومة الباسلة في غزة



د. أحمد موفق زيدان

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

أُقيمُ هذه الأيام في الشمال السوري المحرر، وأحتكُّ بشرائحه المختلفة، ولا حديث للناس هنا سوى المقاومة الفلسطينية في غزة العزة، غزة الصمود والإباء، وكيفية دعم أهلنا الصامدين المقاومين، فقد طغى جُرح غزة على جرح سوريا المفتوح علناً منذ ١٢ عاماً، وفي الحقيقة مفتوح منذ تسلط العصابة الطائفية على سوريا عام ١٩٦٣م، وربما من قبل حين مكّن الاحتلال الفرنسي الأقليات من حكم بلاد الشام في عشرينيات القرن الماضي، وهو ما ندفع ثمنه في سوريا وحتى فلسطين والمنطقة.

في شوارع إدلب والمناطق المجاورة لها، وحتى على الطرقات الرئيسية المؤدية إلى معبر (باب الهوى) حيث الحدود السورية - التركية تجد اللوحات العادية والإلكترونية المنتشرة على جانبي الطريق وهي تشيد بغزة ومقاومتها الباسلة ومنددة بالاحتلال الصهيوني وجرائمه التي تجري على مدار الساعة، وفي داخل مدينة إدلب عاصمة الثورة السورية اليوم، قلما تمرّ في طريق أو في شارع أو زقاق دون أن تلمح لوحة تشيد بغزة، أو بعلم فِلَسطين يزين المحلات التجارية وشوارعها.


طالبات مدرسة (القلوب الصغيرة)

ما شدّني جداً هو طالبات الصف الأول في مدرسة (القلوب الصغيرة) للأيتام في إدلب، والتي تضم أكثر من ٦٠٠ يتيم ويتيمة للمرحلتين الابتدائية والإعدادية، وحين طلبتُ منهم من خلال زيارتي للمدرسة أن ينشدوا لنا أي نشيد يريدونه، فكانت المفاجأة بالنسبة لي أنهم لم ينشدوا لسوريا ولا أناشيد إسلامية كنت قد توقعتها، وإنما أنشدوا أنشودة فلسطينية: «شدوا بعضكم يا أهل فلسطين شدوا بعضكم، ما ودعتكم يا أهل فلسطين ما ودعتكم».

على الصعيد الحكومي وتفاعل حكومة الإنقاذ في الشمال المحرر، قلّما تدخل مكتباً حكومياً إلاّ وتجد شاشات قناة الجزيرة التي يتابع أصحاب المكاتب الحكومية أخبار غزة وفلسطين من خلالها، وحديث غزة اليوم في مثل هذه المكاتب هو الطاغي، بعد أن تراجع حتى الحديث عن قصف عصابات أسد وروسيا وإيران للشمال المحرر يومياً تقريباً، لصالح المعاناة الأكبر وهي فلسطين وغزة، وقد سبق هذا كله ندوات عمدت إليها وزارة الإعلام في حكومة الإنقاذ والتي استضافت فيها شخصيات إسلامية وفلسطينية لفضح

ممارسات الصهاينة وتعزيز التضامن العربي والإسلامي، وقد لعب راديو الثورة السوري على مدار الساعة دوراً مهماً في الحشد والمناصرة، عبر نقله أخبار المقاومة والاحتلال الصهيوني في غزة، أو من خلال استضافته لشخصيات فلسطينية على الهواء مباشرة لوضع أهلنا في الشمال المحرر بصورة الواقع ساعة بساعة، وقد كان له دور مشهود في ذلك.

لقد غدت الكوفية الفلسطينية رمزاً من رموز الصمود والتصدي، ومقاومة البلطجة العالمية ممثلة ومجسدة اليوم في الجيش الصهيوني، وممارساته القمعية، وبدعم غربي (بنقطة وبلا نقطة)، وعلى الهواء مباشرة، دون خجل أو مواربة، وقد توّج الشمال السوري المحرر دعمه لأهلنا في غزة بحملة تبرعات رعاها مكتب التنسيق الإنساني وحكومة الإنقاذ في الشمال المحرر برعاية وزير الأوقاف، وقد استحثت الوزارة كل شرائح الشعب للدعم، الذي تبرع وجاد بكل ما يملك، حتى وصل الأمر بطفل سوري يجمع في حصّالة نقوده ثمناً لدراجته منذ سنتين، ومع هذا فقد تبرع بها لأطفال غزة، كما تبرع البعض بدراجاته النارية التي كانت ربما رأسماله كله، وتبرعت الأخوات الماجدات في الشمال المحرر بحُليّهن، وجاد الرجال حتى بساعات اليد، فقد كان مشهداً مؤثراً، عزز رابطة الأخوّة الإيمانية، وربط الشام الشمالية مع الشام الجنوبية من جديد بعد أن فرقهما الاحتلالان الصهيوني والأسدي.



خطباء المساجد في الشمال المحرر كان لفلسطين وغزة النصيب الأكبر من الحديث وتحريض المؤمنين

على دعم إخوانهم في غزة، ومساندتهم والدعاء لهم، وقلّما تخلو خطبة دون الدعاء لأهلنا المصابرين في غزة، بينما لجأ بعض أئمة المساجد إلى القنوت في كثير من الصلاة للدعاء على المجرمين الصهاينة، والدعاء لنصر غزة ومقاومتها.

كان مشهداً مؤثراً حين قامت وزارة الأوقاف في حكومة الإنقاذ بتسليم التبرعات لمندوبين من هيئة علماء فلسطين، حيث بدأ الحفل بكلمة لرئيسها الدكتور الفاضل نواف هايل التكروري والذي أشاد بتحرك أهلنا في الشمال السوري المحرر، ومشاركته بالجهاد المالي لصالح أهلنا المتضررين المدنيين من جراء القصف والهمجية الصهيونية في غزة.



د. نواف هايل التكروري

أما على صعيد المَعارض فقد أقام الشمال السوري المحرر أكثر من معرض خلال الأيام الماضية؛ حيث عرضت لوحات فلسطينية جميلة من الفسيفساء الشامي الأصيل وبيعت اللوحات في المزاد العلني دعماً لأهلنا في غزة، ولا أنسى حين دخلت معرضاً للأشغال اليدوية في متحف إدلب حيث كان جناح أطفال الشمال المحرر وهم يجهدون أنفسهم بالتعريف بقضية فلسطين، وتأكيدهم على أن ريع لوحاتهم ستذهب كاملة لأطفال غزة، ولم تغب المرأة السورية عن المعرض، حيث كان عدد من الأخوات في المعرض وهن يقمن بواجبهن، إن كان بالتعريف بالقضية، أو ببيع اللوحات ليذهب رصيدها للصامدين في غزة.

اللافت هو دخول غزة والمقاومة الفلسطينية اليوم على مناهج التعليم، حيث وُجه لطلبة الصف الخامس سؤالاً في الرياضيات كان على الشكل التالي: دمر المجاهدون في غزة للعدو ٣٢ دبابة و في كل دبابة ٦ عناصر، فكم عدد قتلى العدو؟ هذه الإضافة القيمية للمنهاج في الشمال السوري المحرر يعطي أبعاداً عدة إن كانت أبعاداً في التكامل الإسلامي المعرفي، أو أبعاداً مقاوِمة لدى الجيل الجديد، فضلاً عن ربط الطلبة بقضاياهم وهمومهم الواحدة، وتوظيف حتى العلوم البحتة لصالح المقاومة. ولعل الوجود الفلسطيني المتنامي في الشمال السوري المحرر بعد انحياز كثير منه من المدن السورية المحتلة إلى إدلب والشمال المحرر، قد لعب دوراً مهماً في تعزيز الروابط وفضح جرائم العصابة الأسدية والمحتلين الداعمين لها وسط أهلنا في غزة وفلسطين وحتى في العالم العربي والإسلامي، وأسهم أيضاً في تعزيز الحضور الفلسطيني في الشمال المحرر.

ستبقى الشام التي خرّجت عز الدين القسام، وإبراهيم هنانو ومصطفى السباعي وفوزي القاوقجي وغيرهم ممن نفروا للقتال في فلسطين الحبيبة بداية الاحتلال الصهيوني هي نفسها الشام على العهد الأول، إن غزة هي إدلب، والقدس هي الشام، والمدن الفلسطينية توأم لمدن الشام وبلداتها، وستظل هذه الأمة هي نفسها وذاتها كما أرادها محررها الأول عمر بن الخطاب ثم صلاح الدين رضوان الله عليهم أجمعين.



عز الدين القسام ومصطفى السباعي وفوزي القاوقجي



كيف نساعد غزة؟



د. الحسن بن علي الكتاني

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. أما بعد، فإن مما يحز في نفس المسلم ما يراه من هجوم شرس همجي على إخواننا في غزة، مع عدم التمكن من فعل شيء لهم. وأقصد بذلك أننا نكتب ونتحدث ونخطب، ولكننا لا نستطيع تقديم شيء عملي يمنع العدو من التمادي في جرائمه. والسبب في ذلك هو أننا مكبلون، نعمل من خلال أنظمة منها المطبّع مع الكيان الغاصب المحتل، بل هي أنظمة توالي الكيان وداعميه، وتتبرم من المجاهدين، وتتمنى أن لو لم يكونوا، خاصة وهي نفسها تحارب إخوانهم في بلدها، وتضييق عليهم، وتملأ سجونها منهم. ومنها أنظمة غير مطبعة، ولكنها ضعيفة، خائرة العزم، ليس لديها همة لفعل شيء، بل هي غير مستعدة للتضحية أصلا. قد غلب حب الدنيا عليها، وفضلت العاجلة على الآجلة.

قال تعالى في الذين تخلفوا عن الجهاد في سبيل العزيز الغفار: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال كما في حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قِلةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء[1] كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهْن». فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[2].



فكل من أراد مساعدة فعالة لإخواننا في غزة فعليه الضغط على الأنظمة لتضغط في المحافل الدولية على العدو وداعميه، وذلك يكون بقوة ضغط تقوم بها الدول الإسلامية، وهو الأمر الذي لا تريد تلك الدول فعله لكونها تعيش تحت رحمة دول الاستكبار العالمي وتواليها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

---

١ الغثاء: ما يحمله السيل.
٢ رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٨).

أما الشعوب الإسلامية فهي شعوب مدجنة، عملت الأنظمة الوظيفية على تدمير روابط الولاء والبراء فيها، ومسخ هويتها، وهي وإن شاركت في مظاهرات كبرى تعبيراً عن دعم أهل غزة وفلسطين، فالقليل منها مَن هو مستعد للتضحية الحقيقية وتقديم النفس والنفيس في سبيل ذلك. والحقيقة نحن أحوج لأن نأخذ التربية والدروس من أهل غزة، الذين خرجوا من تيه بني إسرائيل في سيناء، وما زلنا نحن نتخبط فيه.

صحيح أن الأمة قد قامت فيها صحوة إسلامية عارمة، وتبعتها صحوة جهادية قوية، كان من نتائجها ما نراه في غزة، وتحرير أفغانستان وبعض المناطق في سوريا وغيرها، ولكن إحباط الربيع العربي وما نتج عنه من تغول الأنظمة الاستبدادية أثّر كثيراً على الشارع الإسلامي والعربي تأثيراً أدى لتراجع الصحوة وكبتها، بل ولانتكاسات كثيرة. ونحن نأمل من أحداث غزة وصمود المجاهدين فيها أن تحيي الأمة من جديد وترجع لها روحها الإسلامية، وصحوتها الجهادية فتتغير المعادلة للأحسن.

أما حكام المسلمين، فإنهم سبب بلاء الأمة منذ فجر استقلالها إلى اليوم، لأنهم في وادٍ والأمة واهتماماتها في واد آخر، ولأنهم عملوا على تطبيق مقررات أعداء الأمة وتغيير مناهجها وموالاة أعدائها، بما مسخ هوية الجيل الجديد، وأخرج لنا شباب لا هم له سوى البحث على لقمة العيش والاهتمام بسفاسف الأمور دون معاليها، فلا تتعجب إن رأيت أهل غزة يبادون وجمهور الشباب يتابعون بشغف مباراة كرة قدم تأخذ الكثير من أوقاتهم، ويوالون ويعادون عليها، فيما إخوانهم يسطرون الأمجاد في الأرض المباركة.



إن حكامنا قد عطلوا شرع الله تعالى، وقربوا كل علماني وزنديق، وأبعدوا المخلصين وضيقوا عليهم، بل منهم من سجنهم وعذبهم، بل وقتلهم ليتخلص منهم؛ فأنى لهم بأن يدافعوا عن غزة وإسرائيل أقرب وأحب إليهم منها؟! على أن هناك حكاماً آخرين فيهم إخلاص ودين، ويتأسفون فعلاً لما يحدث، وليسوا عملاء لأعداء الله تعالى، لكنهم مكبلون باتفاقيات، أو مستضعفون لا يستطيعون أن يتحركوا تحركاً فعالاً، ولكنهم يبذلون ما يمكنهم، ويفسحون المجال لمن أراد العمل، ويناصرون القضية بوسائلهم المتاحة. فهؤلاء جديرون بأن نتعاون معهم ونقويهم ونرفع من هممهم ليفعلوا شيئاً يرفع البلاء عن إخواننا في غزة وفلسطين كلها.

وقد كتب العديد من علماء المسلمين، وقادة الحركة الإسلامية المعاصرة، كتابات كثيرة في حكم تعطيل شرع الله تعالى وموالاة أعداء الأمة، ولو جمع ذلك لخرج في مجلدات عديدة، وهو جدير بأن يجمع في مؤلف واحد ليكون قريباً من الناس، وتسهل مراجعته. وجدير بالحركة الإسلامية إحياء هذه المعاني ونشرها من جديد ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

عموما، فالأمة غير معنية بأي اتفاق عقد عن غير إرادتها، ولا هو في مصلحتها، كما أنها غير معنية بأي اتفاق يعارض الشريعة ويجلب الذل والعار للأمة. لكنها في أي تحرك يجب عليها أن تضبط عملها بما لا يرجع عليها بالخسران والضياع، وكم من عمل شجاع متهور كان سبباً في ضياع جهود سنين.

الرأي قبل شجاعة الشجعان •• هو أول وهي المحل الثاني



حُب الدنيا وكراهية الموت



الشيخ برهان بن سعيد

الأمين العام لرابطة علماء إرتريا

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، وبعد: فإن الناظر لحال الأمة اليوم يدرك تمامًا مستوى الضعف الإيماني الذي وصلت إليه، وهي ترى وتشاهد وتتابع حال إخوانها وأخواتها في غزة وفلسطين يُمارَس بحقهم أبشع صور الإبادة والتنكيل، ولا تحرك ساكنًا. إلا من رحم الله، وقليلٌ ما هم. والأمّة بهذا الحال تكون، مخالفة لأوامر ربها عز وجل مخالفة صريحة لا لبس فيها ولا خلاف؛ قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]. مخالفة أيضاً لقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]. عاصية غير مطيعة لقول

رسول الله ﷺ: «ما مِنَ امرئٍ يخذلُ امرأً مسلمًا في موضعٍ تُنتَهَكُ فيه حرمتُهُ ويُنتَقَصُ فيه من عِرضِهِ إلَّا خذلَهُ اللَّهُ في موطنٍ يحبُّ فيه نصرتَهُ وما من امرئٍ ينصُرُ مسلمًا في موضعٍ يُنتَقَصُ فيه من عرضِهِ ويُنتَهَكُ فيه من حرمتِهِ إلَّا نصرَهُ اللَّهُ في موطنٍ يحبُّ نصرتَهُ»[١]، وقال ﷺ: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ»[٢].



والأدلة في وصف حال الأمة، وبيان ضعفها وعصيانها، لا يخفى على أحد. وقد بلغ عدد الشهداء في غزة من الأطفال والنساء والشيوخ إلى وقت كتابة هذا المقال المتواضع خمسة عشر ألف شهيد، ناهيك عن قطع الكهرباء والماء والغاز وكل مقومات الحياة، ولا يشك أحد في كونهم مسلمين موحدين، يجب لهم ما يجب لكل مسلم.

ويزداد الألم شدة عندما يكون عدد إخوانهم وأمتهم الإسلامية يقترب من ملياريّ نسمة في (٥٧) دولة تمتلك جيوشًا واسلحة ومالاً، فأين دور هذه الشعوب؟ ما الذي دهاها؟ أين علماؤها؟ ما الذي أصابهم؟ كيف عجز أولئك القوم أن يفتحوا معبر رفح؟!! أين دور دول الطوق (لبنان والأردن وسوريا ومصر)؟

---

١ خرجه أبو داود (٤٨٨٤).

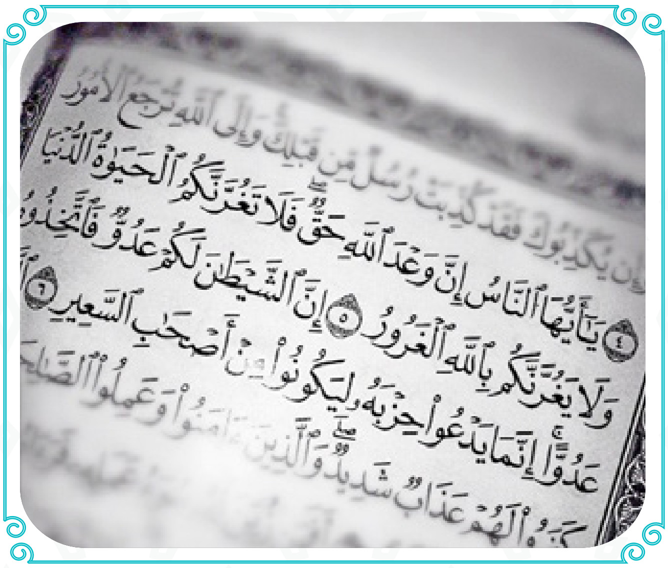
٢ أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) مطولاً.

الإجابة على هذه التساؤلاتِ جليَّة واضحة في وصف الرسول ﷺ لحال أمتنا وصفًا دقيقًا حين قال: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا». فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[٣]. في هذا الحديث العظيم أشار الرسول ﷺ إلى ثلاثة أسباب لضعف الأمة الإسلامية: أولاً: حب الدنيا. ثانيًا: كراهية الموت. ثالثًا: نزع المهابة من قلب العدو. ومن لطائف الحديث أنَّ الرسول الكريم ﷺ لم يُشِر إلى هذه الأمور إلا من أجل أن نحذر منها، ونوجِد لها حلاً شرعيًّا وعلاجًا نافعًا، فتأمَّل!

وثمَّةَ وصف آخر يتضمَّنُ توضيحًا أكثر، وهو من دلائل آخر الزمان، وفيه يقول ﷺ: «إذا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[٤]. ففي هذا الحديث ذكر ﷺ توضيحًا أعمق، وخلاصته انشغال الأمة بأمور:

١. المبايعة بالعينة المحرمة، وهي مثال ظاهر، بيْدَ أن الإشارة إليها، تلميحٌ إلى جميع التعاملات الربوية. ٢. الانشغال بزراعة الأرض، ويندرج تحته الصفقات التجارية والمشاريع وغيرها.

٣. ترك الجهاد. والأمران الأولان يمثلان (حب الدنيا) المشار إليهما في الحديث السابق. والسبب الأخير يشير إلى (كراهية الموت).

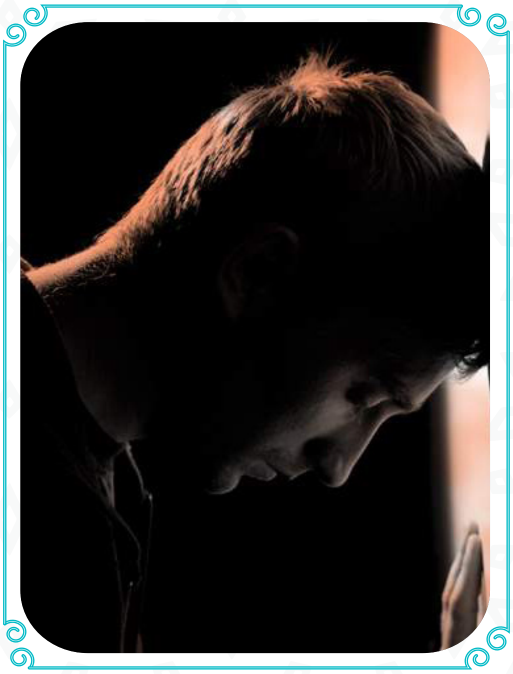


---

٣ أخرجه أبو داود في السنن برقم ٤٢٧٩ وسكت عنه.

٤ أخرجه أبو داود برقم (٣٤٦٢).

وإليك حديثًا ثالثًا أضاف أمرين مهمين يمثلان سببًا رئيسيًّا في ضعف الأمة، وهو قوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[٥]. ففي الحديث تنبيه على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقوبة تركهما يتمثَّلُ في أمرين: تسليط شرار الخلق من الحكام وغيرهم (ورد في آثار أخرى)، ومنع استجابة الدعاء.



ومن تتبع واستقرأ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجد أسبابًا كثيرة في توالي العقوبات تلو العقوبات على هذه الأمة؛ بسبب حبها للدنيا، وبُعدها عن دينها، وارتكابها للمخالفات الشرعية. وقد أخبرنا ربنا أنه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان أبدًا، قال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزمر: ٧] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، وفي غزوة أحد استُشهد سبعون صحابيًّا، وكاد الرسول الكريم ﷺ أن يُقتل بمخالفة واحدة فقط! والسبب حب الدنيا أيضاً، وفي التنزيل الحكيم: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وهذا يعطيك مؤشرًا قويًّا إلى خطورة المعصية التي سببها حب الدنيا، فكيف إذا انتشر في الأمَّة الشرك والربا والزنا وموالاة الكفار... إلخ؟ وحسبكَ أن تتأمَّلَ هاتين الآتين من سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

٥ هو عند أبي داود ٣/١٣٨.

مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩]. فهنا وعيد شديد بعذاب أليم، ثم الاستبدال بالغير -عياذاً بالله - والسبب حب الدنيا وكراهية الموت، ولذلك تتابعت العقوبات والابتلاءات مؤخرًا في أمتنا، بالزلازل والفيضانات والحروب وغيرها لأسبابٍ كثيرة، في صدارتها: ركون الأمة إلى الدنيا، ونسيانها الآخرة.

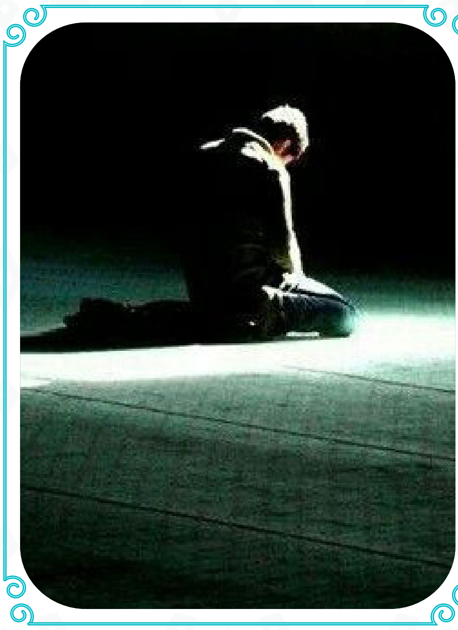


من خلال ما سبق: تبين أن حب الدنيا وكراهية الموت هما السبب الرئيس في غفلة الأمة، وعدم مبالاتها بما حدث ويحدث لغزة وفلسطين، بل في كل مكان يُستضعف فيه المسلمون، إلا من رحم الله.

والمحزن المؤلم أن هذا المرض قد أصاب معظم علماء الأمة الإسلامية -ويؤسفني أن أقول ذلك- حيث إن الأمة الإسلامية تنعم بجامعات عريقة في دولها، وفي كل جامعة الآلاف من العلماء وطلبة العلم الشرعيين الذين درسوا الكتاب والسنة، ويعلمون حكم النصرة، وحكم الجهاد، ومتى يكون فرض عين، ومتى لا يكون، وغيرها من المسائل الجهادية الدقيقة. فأين دورهم؟ أين حراكهم الشعبي والسياسي والشرعي؟! وهم يقرأون ويُقرؤن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

فالعلماء والدعاة يدركون جيِّدًا خطورة السكوت والكتمان. ويعلمون شنيعة المجاملة والمداهنة في الدين. فلِمَ لم تتحرك قلوبهم لهذه الأدلة؟ لقد عاش علماء الأمة -ولا أعمم- في العقود الماضية في ترف لافت من خلال: استلام أعلى الرواتب واقتناء أعلى المناصب، والعيش في أرقى المساكن، وربما حصل بعضهم على المكافآت المجزية، وارتبط بعضهم بوظائفهم ارتباطاً لا يمكنهم الخلاص منه. ولهذا أو ذاك تحقق في بعضهم المثل: (أطعم الفم تخجل العين)، وهذا الترف قد حذر منه القرآن الكريم وكان سبباً لهلاك الأمم السابقة، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤٥]. وكفى واعظًا بقول رسولنا الكريم ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[٦]. فإذا كان هذا حال العلماء، فمن باب أولى غيرهم من الشعوب، والعامة، والعسكر، والشرط، والأطباء، والتجار، والمهندسين، وغيرهم. فإلى الله المشتكى..

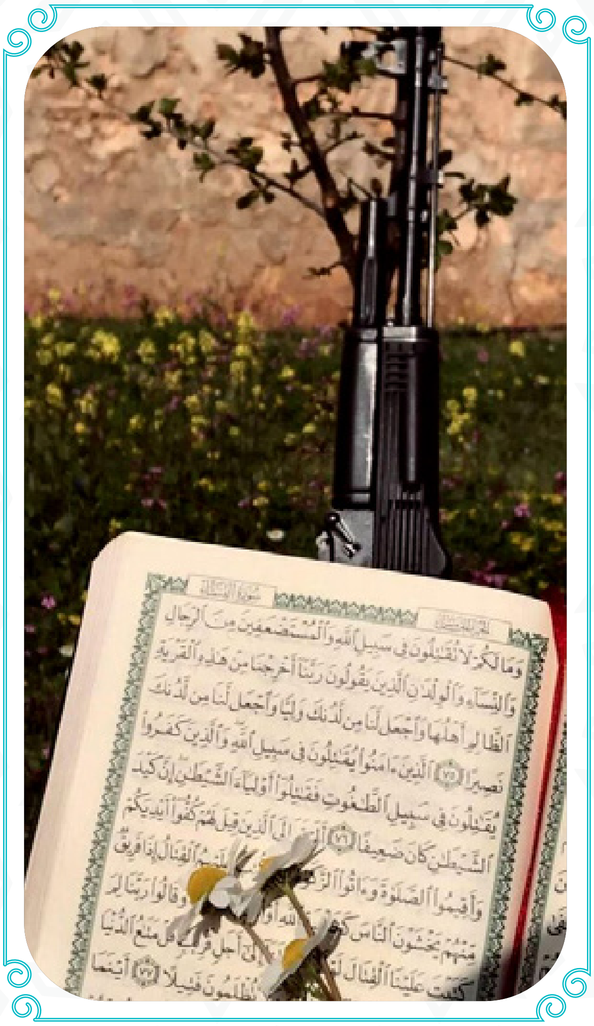
والحديث عن العلاج وإيجاد الحلول سهل بحمد الله ويسير، خلاصته مذكور في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وألخصه هنا في نقاط موجزة تذكيرًا لعلماء الأمة وشعوبها :



١. التوبة إلى الله تبارك وتعالى من حب الدنيا وكراهية الموت.
٢. الحذر الشديد من تعلق القلب بحب الدنيا.
٣. وجوب مجاهدة النفس حتى يكون ما عند الله أحب إلينا من الماء البارد.
٤. على العلماء أن يدركوا أنهم من أولي الأمر هذه الأمة.

---

٦ أخرجه الترمذي (٢٣٧٦) وقال: «حسن صحيح».



٥ أن يستعدوا لقيادة الجهاد في سبيل الله قبل أن تبتلى الأمة بشباب قليلي العلم والحكمة، فيغرقون في التكفير الذي ينتهي إلى التفجير.

٦ عليهم الاستعداد للشهادة في سبيل الله وتحديث النفس بذلك مراراً.

٧ عليهم توحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم والتخفيف من الخلاف قدر الإمكان.

٨ من واجبهم القيام بنصح الحكام وتحذيرهم من غضب الله.

٩ تحريض الشعوب للجهاد في سبيل الله.

١٠ تقديم حلول ومبادرات لمعركة الطوفان، وإنقاذ المسلمين من ويلات القصف.

اللهم رد علماءنا إليك ردًا جميلاً.. اللهم انصر إخواننا المجاهدين في غزة وفلسطين.. اللهم عليك بالصهاينة الغاصبين.. آمين. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.



كيف حققت المقاومة عنصر المفاجأة في معركة طوفان الأقصى؟



د. سميح عبد الرحمن
مدير أكاديمية أنصار النبي ﷺ

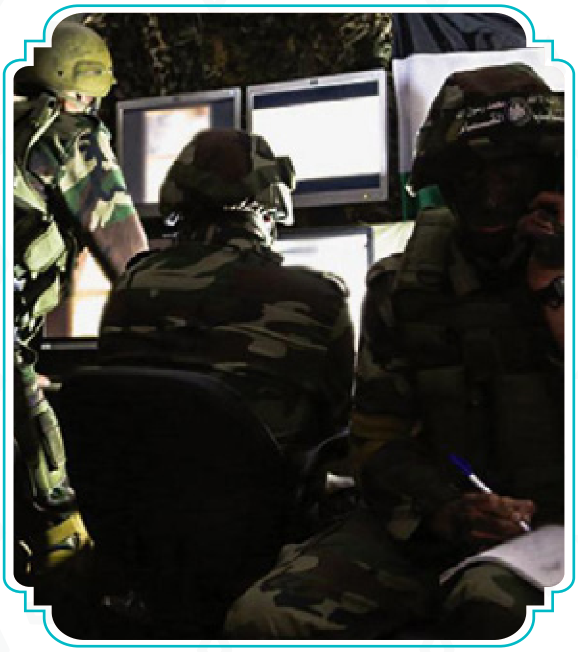
بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: ففي الحروب يُعد النجاح في تحقيق عنصر المفاجأة نصف النصر، وقد رأينا في معركة طوفان الأقصى المباركة كيف استطاعت المقاومة تنفيذ عملية خداع استراتيجي لكافة أجهزة العدو الأمنية والاستخبارية، حتى حققت وبكفاءة عالية عنصر المفاجأة بجدارة، فشنت هجوماً برياً وبحرياً وجوياً متزامناً، على ١٥ موقعاً عسكرياً تابعين لفرقة غزة، رأس حربة العدو في معاركه ضد المقاومة، وقضت على مَن فيها بين قتيل وأسير وجريح، إضافة

إلى الهجوم على ٢٢ مستوطنة في غلاف غزة، كل ذلك في غفلة تامة من العدو، فلم يستفق العدو من غفلته إلا وقد حققت المقاومة أهدافها الاستراتيجية من المعركة، حتى عدّ كثيرٌ من المحللين المعركة قد انتهت بالفعل يوم السابع من أكتوبر بنصر ساحق للمقاومة، وبهزيمة مذلة للكيان المحتل.

السؤال الآن.. كيف نجحت المقاومة في تحقيق عامل المفاجأة على هذا النحو؟

ولكن قبل الإجابة على هذا السؤال، دعونا نأخذ جولة سريعة في سيرة رسول الله ﷺ، لنرى موقع عنصر المفاجأة والمباغتة في غزواته المباركة. يعتمد تحقيق عنصر المفاجأة والمباغتة على عدة عوامل، من أهمها السِّرية والكتمان، وهذا العامل واضح وبارز في سيرة رسول الله ﷺ منذ بداية الدعوة، بدءاً من الاجتماع بالمسلمين في سرية تامة في دار الأرقم بن أبي الأرقم، والحفاظ على سرية هذه الدار طوال عشر سنوات، فلم تحدث لها مداهمة واحدة من المشركين طوال هذه الفترة، مروراً بكتمان خبر هجرته، وتفاصيل خطته عن كل مَن لم يشترك فيها، إلا أن هذا العامل برز بوضوح في سير غزواته وبعوثه وسراياه ﷺ.

سرية نخلة والسبق العسكري



في رجب من العام الثاني للهجرة، أرسل رسول الله ﷺ سرية استطلاع بقيادة عبد الله بن جحش، في اثني عشر رجلاً من الصحابة، والعجيب في هذه المهمة أن رسول الله ﷺ لم يحدد له هدفها ولا منتهى مسيره فيها، بل أعطاه رسالة (مكتومة)، وأمره ألا يفتحها إلا بعد يومين من مسيره في الاتجاه

الذي حدده له مسبقاً، فإذا فتحها وفهم ما فيها، مضى في تنفيذ المهمة المكلف بها غير مستكره أحداً من أفراد سريته على المضي معه. وبعد يومين من مسيره من المدينة المنورة فتح عبد الله الرسالة فإذا فيها: «إذا نظرت في كتابي هذا، فامضِ حتى تنزل «نخلة» بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم». فأطلع عبد الله رجاله على كتاب النبي ﷺ، وأخبرهم بأن النبي ﷺ نهاه أن يستكره أحداً على مرافقته، فبادروا جميعاً بالموافقة على تنفيذ المهمة، ولم يتخلف منهم أحد. ولم تكن العسكرية العربية تعرف هذا الأسلوب في التكليفات العسكرية، فكان لرسول الله ﷺ قصب السبق في ابتكار هذا الأسلوب الذي يعتمد درجة عالية من الكتمان والسرية، لمنع تسرب الأخبار إلى العدو، ولتحقيق المفاجأة والمباغتة الحاسمة.



قواعد في الحركة والسير

جاء في تفاصيل كثير من غزوات رسول الله ﷺ، وكذلك بعوثه وسراياه التي كان يرسل فيها أصحابه، أنه كان يأمرهم بالسير ليلاً والكمون نهاراً، وأن يسلكوا الطرق غير المطروقة، لئلا يطلع على مسيرهم أحد، فتُنقل أخبار تحركاتهم للعدو، ويضيع عنهم عنصر المباغتة والمفاجأة. وأمر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد حين ولاه إمارة الجيش قائلاً: "أسرع السير تسبق الأخبار"، حتى يصل بجيشه إلى ديار عدوه قبل وصول خبره إليهم فيأخذهم بالمفاجأة.

التورية



عن كعب بن مالك قال: «كَانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ قَلَّما يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إلَّا ورَّى بغَيْرِهَا». يعني أنه ﷺ كان إذا أراد غزو منطقة أو قبيلة معينة، فإنه يسأل عن غيرها وكيف الطريق إليها، والمؤن اللازمة للوصول إليها، ونحو ذلك مما يصرف أنظار العيون والجواسيس عن مقصده الحقيقي، حتى يتمكن من مباغتتهم، وفوق ذلك كان أحياناً يسير بجيشه عكس الاتجاه المقصود، كما فعل في غزوه لبني لحيان، حيث أعلن أنه متجه إلى الشام، وتحرك بالجيش شمالاً، حتى إذا أمنت بنو لحيان، كر راجعاً بجيشه إلى الجنوب، فباغتهم في ديارهم وشتت شملهم.

وذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ خرج يوم بدر مع أبي بكر الصديق يستطلع أخبار قريش، حتى وقف رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه على شيخ من العرب فسأله عن قريش، وعن محمَّد وأصحابه -لئلا يعرف الرجل من أي الفريقين هم- وما بلغه عنهم. فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم. فلما أخبرهم الشيخ بما لديه من معلومات، قال: ممّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء -لقول الله عز وجل: «أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ» ونحوها من الآيات- ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما مِن ماء، أمِنْ ماء العراق؟. فكتم رسول الله ﷺ المعلومة عن الرجل حفاظاً على جيشه وخطته واستعداداته.

غزوة الفتح

لعل من أبرز أحداث السيرة التي ظهر فيها بوضوح حرص رسول الله ﷺ الشديد على تحقيق عنصر المفاجأة في المعركة، وأخذه بكافة الأسباب لتحقيق ذلك، كان في غزوة فتح مكة. لما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة -بعدما نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ- أمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أي بنيّة، أمركم رسول الله ﷺ بأن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: ما أدري! إلى هذه الدرجة كان حرص رسول الله ﷺ على كتمان نواياه وخططه العسكرية المتعلقة بفتح مكة، لدرجة عدم إخبار صاحبه الصديق، وزوجته عائشة رضي الله عنهما، ولا شك أن الأمر ليس له علاقة بالثقة في أمانتهما، ولكنه ﷺ يضع لنا قواعد العمل العسكري الناجح، ويربي كل مسؤول عن معلومة على ضرورة حفظها، وأن المعلومة على قدر الحاجة، وفي الزمان والمكان المناسبين، وللأشخاص المناسبين المنوط بهما عمل يتطلب معرفتهم على قدر مهمتهم، حسب ما تقتضيه المصلحة، والسياقات العملية.

وبعد أن اكتمل تجهز جيش رسول الله، وصار متأهباً للحركة، أعلن رسول الله ﷺ أنه يريد مكة، ثم نشر العيون والمفارز والكتائب على مداخل ومخارج المدينة لمنع تسرب الخبر، ودعا الله عز وجل أن يأخذ العيون الأخبار عن أهل مكة، حتى يبغتهم في ديارهم، وقد كان. ومحاولة التسرب الوحيدة للخبر عن طريق رسالة حاطب رضي الله عنه أدركها رسول الله ﷺ وأرسل في إثرها مفرزة من أصحابه فعادوا بالرسالة، وحُبِس الخبر عن قريش.

تخيل.. هذا الجيش العرمرم، قوامه عشرة آلاف رجل، يقطع قرابة ٥٠٠ كم حتى يصل إلى تخوم مكة، دون أن يتسرب خبره إلى قريش، وشاهد معي هذا المشهد الطريف لتدرك الجهل التام لقادة قريش بقدوم جيش رسول الله إليهم، وحجم المفاجأة التي وقعت بهم حين عرفوا حقيقة ما ينتظرهم. قال العباس بن عبد المطلب: خرجت وإني -والله- لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، وقد خرجوا يتحسسون الخبر، فسمعت أبا سفيان يقول: والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا -يعني نيران عسكر المسلمين- وقال بديل: هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان: خزاعة ألأم من ذلك وأذل، قال العباس: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: يا أبا الفضل، فقلت: نعم، فقال: مالك فداك أبي وأمي؟ قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قِبل لكم به، بعشرة آلاف من المسلمين.. إلى آخر القصة المشهورة، والشاهد منها أن قادة قريش حين رأوا نار معسكر المسلمين بالليل وقفوا يتبادلون الرأي: تُرى أي عسكر هذا؟! وما كان لهذه المفاجأة أن تقع لولا الأسباب والاحتياطات الأمنية الشديدة التي أخذها رسول الله ﷺ، والتي أثمرت استسلام قريش، ودخول رسول الله ﷺ وجيشه إلى مكة بدون قتال يُذكر.



والشاهد من هذه القطوف الندية من السيرة النبوية أن نشير إلى حرص رسول الله الدائم في غزواته على تحقيق عنصر المفاجأة، واتخاذه كافة الأسباب والتدابير التي من شأنها أن تُسهم في تحقيق هذا. ويظهر

لنا من ذلك أن الأمر فوق أنه حاجة تتطلبها الكفاءة العسكرية ويحرص عليها القادة الناجحون، فإنها في حس المسلمين فريضة دينية ومسؤولية شرعية، يحرص عليها كافة أفراد الجيش المسلم طاعةً وقربة، وأن التقصير فيها إثمٌ وخطيئة، قد تصل بالمسلم حد الوصف بالخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين.

نعود الآن إلى السؤال الذي بدأنا به الجزء الأول من هذا المقال: كيف نجحت المقاومة في تحقيق عنصر المفاجأة في معركة طوفان الأقصى؟

ونحن لا نتحدث هنا عن مهمة يسيرة، بل نتحدث عن نجاح مجموعة مقاومة محاصرة منذ سنين، بإمكانات محدودة، في مفاجأة «دولة» لديها أجهزة أمن واستخبارات متقدمة للغاية، وتستعين بها بعض دول المنطقة في هذا المجال، وهي تراقب قطاع غزة على مدار الساعة بطائرات الاستطلاع والمناطيد العسكرية، وتحيط غزة بسياج كامل مزود بأبراج حراسة وكاميرات مراقبة وأجهزة استشعار ومدافع رشاشة ذاتية الإطلاق على أي كائن يتحرك في مدى رؤيتها، فضلاً عن شبكة العملاء الداخلية، وغيرها من القدرات المعلومة وغير المعلومة، لذلك فإن نجاح المقاومة في تحقيق عنصر المفاجأة أمام هذه القدرات يُعد انتصاراً أمنياً واستخبارياً غير مسبوق، فضلاً عما أنتجه من نجاح عسكري على مستوى الميدان.



وقد نجحت المقاومة في تحقيق ذلك من خلال مسارين:

الأول: خارجي، يتعلق بتنفيذ خطة خداع استراتيجي مُحكمة، أخفت بها المقاومة نواياها الحقيقية، وأظهرت للعدو عكسها تماماً، ونجحت في إقناعه بها، وهذا لو تعلمون عظيم!

الثاني: داخلي، يتعلق بنجاح قادة المقاومة في الحفاظ على سرية كافة التجهيزات والاستعدادات للمعركة على مدار سنتين، دون أن يلحظها أو ينتبه لها الصديق، فضلاً عن العدو، وهذا لو تعلمون أعظم!

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

المسار الأول: خطة الخداع الاستراتيجي لإخفاء نوايا المقاومة، وإقناع العدو بعكسها

والمقصود بذلك مجموعة الاستراتيجيات والإجراءات التي اتبعتها المقاومة للتعمية على نواياها الحقيقية تجاه العدو، وإظهار نفسها أمام كافة وسائل المراقبة والتحليل وكأنها رُدعتْ، وتميل إلى عقد هدنة طويلة، وترغب في تسخير إمكاناتها نحو إعادة إعمار غزة وتطوير الخدمات المحلية فيها، ومن ذلك:



- صبر المقاومة على كثير من استفزازات العدو وتعدياته المستمرة على الأقصى والمرابطات والمرابطين فيه، وابتلاع المقاومة ذلك تجهيزاً للمعركة.
- عدم انجرار المقاومة للرد على بعض الاستهدافات المتكررة من العدو لضرب مقدرات المقاومة، والعض على الأصابع انتظاراً لاكتمال التجهيزات للمعركة.
- عدم اشتباك حركة (حماس) مع المعارك الجزئية التي دخلتها بعض فصائل المقاومة -على الرغم من المطالبات والضغوط-، وإن أظهر هذا السلوك (حماس) وكأنها تقف على الحياد، وهو ما قد يضر بصورتها وسمعتها، إلا أنها تجرعت الغصص، وسكتت عن تبرير موقفها، انتظاراً ليوم العبور الكبير.



- إرسال رسائل تطمينية للعدو عبر قنوات مختلفة تشير إلى رغبة المقاومة في التهدئة، وقبولها بهدنة طويلة، واستعدادها للتفاوض في ملفات مختلفة.

- استخدام الاتصالات اللاسلكية المكشوفة للعدو في بعض التواصلات، وإدارة الحوارات عليها بتلقائية تُظهر رغبة الحركة وأفرادها في هدنة طويلة لإعادة الإعمار، وتوفير مساحة من الأمان والاستقرار لشعب غزة.

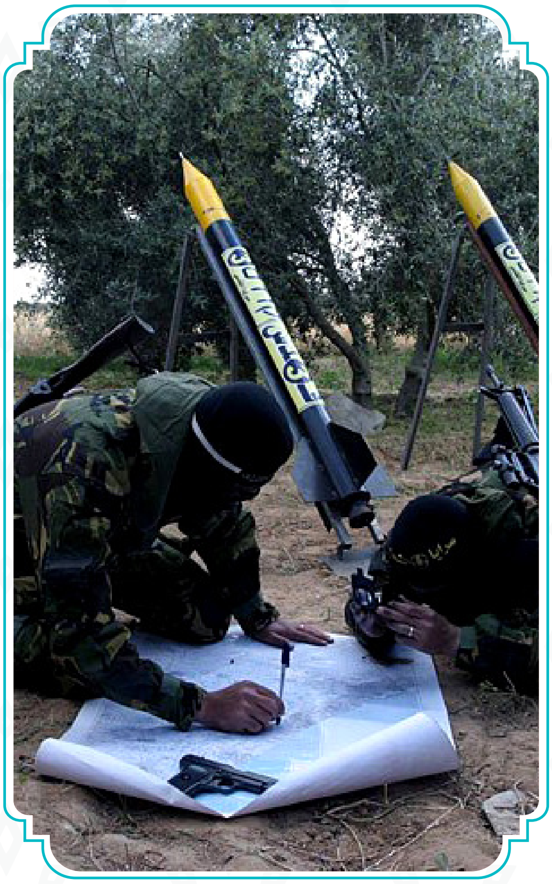
وقد نُفّذت كافة هذه الأمور -وغيرها مما لم تُفصح عنه المقاومة- بحرفية عالية، مع الحرص على وجود دلائل ميدانية تخدم هذا التوجه، حتى نجحت المقاومة في إقناع كافة أجهزة العدو بذلك، وهو ما أشار إليه رئيس وزراء الكيان (بنيامين نتنياهو) في خطاب تنصله من المسؤولية عن الهزيمة المذلة التي وقعت بهم، فبحسب القناة ١٢ العبرية قالت: أوضح رئيس الوزراء نتنياهو ما أسماه «الادعاءات الكاذبة» حول تقصير حكومته على حد قوله، وزعم: «لم أتلق في أي حال وفي أي مرحلة تحذيراً عن نوايا الحرب من جانب (حماس)، بل على العكس من ذلك، قدر جميع قادة المنظومة الأمنية بما في ذلك رئيس شعبة الاستخبارات ورئيس الشاباك أن حماس تم ردعها، وتهتم بالتسوية»، وشدد نتنياهو أيضًا على أن هذا التقييم قد قُدّم «مرة تلو الأخرى» إليه وإلى الحكومة من قِبل جميع قادة منظومة الأمن وأجهزة الاستخبارات، حتى اندلاع الحرب». وهذه شهادة من قادة العدو أنفسهم على نجاح المقاومة الباهر في خطة الخداع الاستراتيجي للعدو.

المسار الثاني: التكتم الداخلي الشديد على كافة تفاصيل المعركة

والمقصود بذلك مجموعة التدابير والاحتياطات الداخلية التي التزمت بها المقاومة لتأمين كافة المعلومات المتعلقة بالمعركة، والحرص الشديد على الحفاظ على سريتها القصوى، بدءاً من النوايا واختيار الأهداف، مروراً بالخطط والإعداد والتجهيزات، وصولاً إلى ساعة الصفر وبدء التنفيذ، ومن ذلك:

- استخدام المقاومة دائرة اتصالات سلكية مغلقة ومؤمّنة بشكل كامل، وقد حاول العدو وضع أجهزة تنصت عليها عدة مرات، إلا أنه تم اكتشاف هذه المحاولات وإفشالها مرة تلو الأخرى.

- التتبع الشديد والحثيث لشبكة العملاء الداخلية التي تقدم معلومات للعدو من داخل القطاع عن تحركات المقاومة ومقدراتها وأفرادها وغير ذلك من المهام التجسسية، وتعمل الحركة على القضاء عليهم باستمرار للقضاء على هذه الظاهرة الخبيثة.



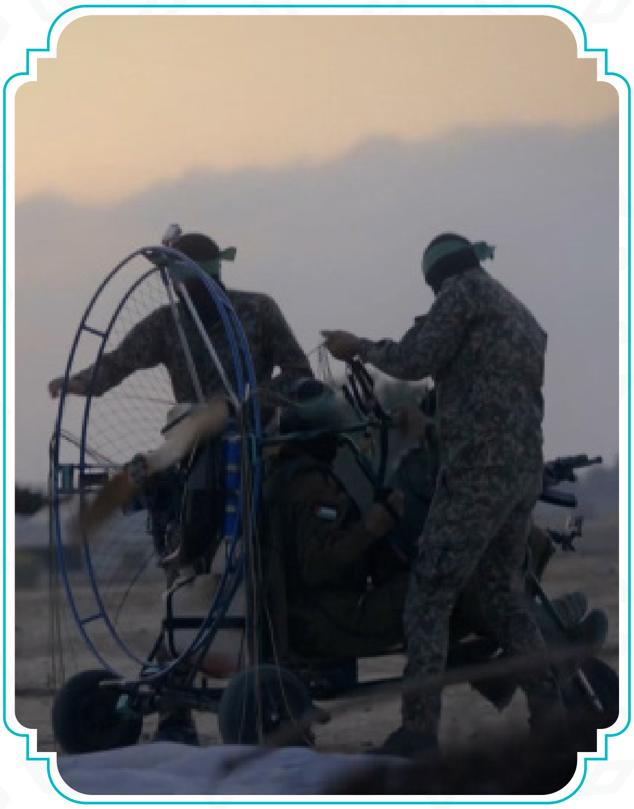
- تربية أفراد المقاومة -في كافة مستوياتهم- على السرية والكتمان الشديد، كعامل أساسي وجزء أصيل في أي عمل مقاوم، وعدم التهاون في أي تقصير في هذا الجانب.

- نجحت المقاومة في جعل خطط الإعداد والتدريب تأتي في سياقها الطبيعي، وفي نفس الوقت تخدم خطة المعركة ميدانيا.

- حصر الاحتياجات والموارد اللازمة ووضع خطة توريد وإنتاج لا تلفت الأنظار ولا تظهر نوايا القيادة.

- الحفاظ على مبدأ تداول المعلومات على قدر الحاجة والضرورة، دون أن يؤدي تجميعها إلى تخمين نوايا المقاومة، بحيث بقيت الصورة الكاملة لدى أفراد معدودين على أصابع اليد الواحدة.

- تم إخبار المجموعات المشاركة في العبور ليلة العملية مباشرة، قبل التحرك بساعات محدودة، مع توضيح هدف كل مجموعة، دون الصورة الكاملة لحجم العملية.



- حصر تفاصيل العملية وموعد ساعة الصفر على أفراد معدودين في القيادة العسكرية، دون بقية قيادات الصف الأول، داخلياً وخارجياً، ولا علاقة لهذا بالثقة، إنما هي قواعد السرية والكتمان في العمل العسكري الناجح.

- إجراء مناورات عسكرية موسعة في سبتمبر ٢٠٢٣ -قبل الطوفان بشهر تقريباً- وأُعلن عنها، ونُشر بعض المقاطع الخاصة بها، وذلك تحسباً لاكتشاف العدو تحركات المقاومة عند ساعة الصفر، وهو ما حدث بالفعل، حيث وصلت تقارير لقيادات الأجهزة الأمنية للعدو تشير إلى تحركات مريبة في قطاع غزة ليلة الهجوم، إلا أن القيادة الأمنية رجحوا أن تكون هذه التحركات مناورات عسكرية كالتي جرت قبل شهر، وهذا الخطأ في التقدير مبني على ما لديهم من تحليل مسبق يؤكد ردع حماس، ورغبة قادتها في التهدئة، وعلى ذلك لم تتخذ قيادات العدو إجراءات احترازية كافية بناء على هذه المعلومات.

إضافة إلى ما أوردناه أعلاه، فثمة عامل حاسم أسهم بشدة في تحقيق عنصر المفاجأة عشية إطلاق الهجوم، وهو نجاح المقاومة في اختراق المنظومة السيبرانية للعدو، والسيطرة على مراكز الاستشعار والمراقبة المتقدمة وتعطيلها، واستهداف مراكز الرادار والكشف المتقدم بطائرات الدرونز المحملة بالقنابل، كما عطلت عمل مناطيد المراقبة، والرشاشات الآلية على الأسوار على التوازي، وهو ما أعمى العدو تماماً عن رؤية موجة الهجوم التي انطلقت مع أضواء فجر يوم السابع من أكتوبر المبارك.

وأخيراً، فقد كانت كل هذه الأسباب في عالم الشهادة، أما عالم الغيب فقد كان حاضراً بقوة، وآثاره مشاهدةً بوضوح، وكانت معادلات الغيب تعمل وفق سنن الله عز وجل؛ نصراً لأوليائه وخذلاناً لأعدائه، فقد كانت كل هذه الاحتياطات والتدابير محفوفة بتوفيق الله عز وجل ومعونته، فيدُ الله كانت تعمل في الخفاء، توفيقاً لعباده وأوليائه وجنده، وجبر خطئهم وستر عورتهم وسد حاجتهم وتعويض نقص إمكاناتهم، وعلى الجانب الآخر طمساً على قلوب عدوهم، وغشاوة على أبصارهم، وملأً لنفوسهم بثقة زائفة، وعنجهية وكبر واستعلاء، تحطم مع طلوع فجر السابع من أكتوبر. طلع علينا هذا الفجر المبارك محملاً بأمل كبير، ملأ قلوبنا يقينا بقرب طلوع فجر الأمة، وزوال الظلمة القاتمة، واقتراب موعد النصر المحتوم لأمة الإسلام، فاحجز مكانك في الصفوف الأولى، وعلى الثغور الأمامية، حيث شرف المقاومة والجهاد، وعز التضحية والبذل لدين الله، ولمقدسات المسلمين، ولأسرى المسلمين في كل سجون الظالمين.



غزة وطوفان الأقصى
في خواطر مؤرخ (١/٣)

محمد شعبان صوان

مؤرخ فلسطيني

تقع غزة على أبرز الطرق التجارية في العالم القديم، وهو الطريق البادئ من جنوب الجزيرة العربية حيث تجتمع تجارة اليمن والهند وتسير نحو مكة والمدينة والبتراء ثم تتفرع نحو غزة، ودمشق وتدمر، وانطلق منها أيضاً طريق الفرما نحو مصر وطريق الشرق نحو العراق، كما كان للمدينة أهمية عسكرية لأنها تصل بين مصر والشام، فإذا أراد ملوك مصر غزو الشام تطلعوا أولاً إلى فتحها، وإذا أراد ملوك آشور أو بابل غزو مصر من الشمال حشدوا قواتهم فيها قبل الغزو، ولما جاء الفتح من

أوروبا في زمن شعوب البحر ثم الإسكندر، مرت جيوشهم بغزة في طريقها إلى آسيا وإفريقيا، كما كانت ساحة لحسم الصراع بين الهلنستيين بعد الإسكندر: البطالمة في مصر والسلوقيين في سوريا، فكان الاستيلاء على غزة يعني السيطرة على طرق الحرب والتجارة بين آسيا وإفريقيا وأوروبا.

غزة.. مسرح المقاومة



وبسبب أهمية هذا الموقع كانت غزة ومحيطها مسرحاً لغزوات ومعارك وأحداث جسيمة في تاريخ المنطقة، وكانت جزءاً من دول عظمى قامت في هذه البلاد، ويلاحظ المؤرخ أهمية الدور الذي أدته هذه المدينة على مدار تاريخها، فقد كانت بداية قاعدة للحكم المصري في أرض كنعان، إذ أدرك حكام مصر منذ وقت مبكر أهمية الشام في الدفاع عن دولتهم، لاسيما بعد غزوات الهكسوس، ومنذ عهد الدولة الحديثة، كانت فلسطين ولاية مصرية مركزها غزة، واستمرت هذه العلاقة بعد ذلك في كل الدول القوية التي ظهرت في مصر وجعلت تأمين حدودها يتطلب ضم الشام، أو الجنوب الشامي على الأقل، وإن التخلي عن هذه الفكرة الاستراتيجية في الدفاع عن مصر لم تظهر إلا في زمن التجزئة العربية بعد سقوط الخلافة العثمانية وحلول زمن التراجع والهزيمة.

ولما هاجرت شعوب البحر إلى شرق المتوسط في القرن الثاني عشر قبل الميلاد تصدى لها فراعنة الأسرة العشرين وسمحوا لهذه الشعوب بالاستيطان في الشريط الساحلي الشامي التالي لمصر وكانت غزة



من أهم مدنهم، فمنحوا اسمهم لهذا القطر وصار يعرف بأرض فلسطيا أو فلسطين، وبدأ في هذه الفترة ازدهار مدنهم حيث أدخلوا الحديد وعصره إلى المنطقة، واندلعت معاركهم الكثيرة والشديدة مع بني إسرائيل، **ولهذا تزخر التوراة الحالية بالأدعية على غزة وأهلها والنبوءات بتمني زوالها ودمارها، وقد لفتت هذه الحقيقة نظر كثير من كتّاب التاريخ فطابقوا بين قطاع غزة وأرض فلسطيا القديمة حيث نشأت دائماً المتاعب لليهود من نفس المكان.**

وتجدر الإشارة هنا إلى محاولة خبيثة من الصهاينة لتطبيع عدوانهم بالطريقة التالية: دخل الفلسطينيون وبنو إسرائيل الأرض في نفس الوقت، ولا مجال لتقديم حقوق أحدهما على حقوق الآخر، فاقبلوا باستيطاننا اليوم كما كنتم أنتم مستوطنين في الماضي، فالهجرات والاستيطان والحروب ظواهر بشرية ولا حل إلا بقبول الأمر الواقع، هذا قولهم بأفواههم، ولكنه يتخطى حقيقة مركزية، وهي أنه كما أن الهجرات والاستيطان والتهجير والحروب ظواهر بشرية، فكذلك المقاومة ظاهرة بشرية بل من ظواهر الكائنات الحية عموماً، فلا تتوقعوا أن تجدوا استيطاناً بلا مقاومة، ولا فعلاً دون رد فعل، هذه هي قوانين الطبيعة التي يتعلقون بها في كل مناسبة، وإن كيان شعوب البحر التي استوطنت بلادنا كان مآله إلى الذوبان في أهل المنطقة حتى صاروا جزءاً منها، وهو نفس الحل الذي يراه العقلاء للغزوة الصهيونية في مواجهة إصرار الصهاينة على العزلة والتميز، وهو ما لم تستطع تحقيقه الكيانات الفرنجية الغربية رغم أنها كانت أضخم من الكيان الصهيوني، واضطرت في النهاية إلى الذوبان في بلادنا أيضاً.

ذابت شعوب البحر في الساحل الشامي في نفس المدة الزمنية التي استغرقتها الكيانات الفرنجية فيما بعد، وكانوا في علاقات ودية مع مصر الفرعونية، ثم انتقلت فلسطين إلى الإمبراطورية الآشورية في القرن الثامن قبل الميلاد، ولما طغى حكمها قامت غزة بدور قيادي عالمي في الثورة عليها، ثم أصبحت مدينة كبيرة في طرف الإمبراطورية البابلية بسبب دورها التجاري الهام في القرن السابع قبل الميلاد.

ثم اندمجت في الإمبراطورية الفارسية وتمتعت بحرية واسعة دفعتها لمساندة الفرس لما غزاها الإسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد فكانت محطة مقاومة شديدة لجيوشه ولكنها ما لبثت أن اندمجت في عالمه اليوناني الجديد بازدهار اقتصادي بارز، وصارت مركزاً ثقافياً يقصده الوافدون من أثينا لدراسة الفلسفة.

ونلاحظ هنا شذوذ الاستعمار الأوروبي الحديث وذيله الصهيوني عن مجرى الحضارات السابقة التي كانت تدمج سكانها بمستوطنيها وتسعى لازدهار الجميع، أما الغزو الأوروبي الحديث فسمته البارزة هي العزلة والاحتكار دون حلحلة عقده حتى بعد مرور قرون من الزمن.



وبعد زمن الإسكندر تم تقسيم إمبراطوريته الواسعة بين قواده، ودارت رحى الكثير من المعارك في التنافس على فلسطين على أرض غزة وجوارها حيث كانت تنتقل بين الإمبراطورية البطلمية في مصر والسلوقية في سوريا، ثم كانت غزة مصدر إزعاج لثورة اليهود المكابيين على التقاليد اليونانية في القرن الثاني قبل الميلاد.

ولما احتل الرومان فلسطين في القرن الأول صارت طبرية مركزاً لليهودية، وقيسارية مركزاً للمسيحية، وغزة مركزاً للوثنية، وقاومت انتشار المسيحية بقوة، ولما صارت ضمن الإمبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية تمتعت بازدهار كبير ومن ضمنه كونها من المحطات النهائية للقوافل التجارية العربية، وفيها دفن السيد هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أثناء بعض رحلات الإيلاف التي ذكرها القرآن الكريم، ولا بد أن نذكر هنا أن انتصار بدر الكبرى بدأ بمحاولة المسلمين مهاجمة قافلة لقريش قادمة من غزة.

غزة.. وتاريخ المقاومة الإسلامية


مسجد الإمام الشافعي بغزة

كان تمسك بلادنا بمذهب الطبيعة الواحدة خلافاً للمذهب البيزنطي الرسمي ذي الطبيعتين يعد من مظاهر المقاومة للسيطرة الرومية، ومن مقدمات الفتح الإسلامي، وبين الفتح الإسلامي والغزو الفرنجي برزت غزة بصفتها مهد الإمام الشافعي مؤسس المذهب المعروف والذي لخص الروابط الإسلامية في حياته، فالإمام قرشي مطلبي من مكة، وأمه يمانية من الأزد، نزل والده غزة واستقر فيها ثم عادت به والدته إلى مكة حيث حفظ القرآن وتلقى العلم وتنقل بين الأقطار الإسلامية طلباً للشعر والأدب ثم الفقه والحديث، فسافر إلى المدينة المنورة واليمن وفارس والكوفة وبغداد وساح في البادية ثم حط رحاله في مصر إلى نهاية حياته (٢٠٤ هجرية، ٨٢٠ م)، وقد عبر عن شوقه إلى غزة في بيتين شهيرين من الشعر:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة •• وإن خانني بعد التفرق كتماني
سقى الله أرضاً لو ظفرت بتربها •• كحلت به من شدة الشوق أجفاني



ولما تعرضت بلادنا للغزوات الأجنبية من جديد برز دور غزة وجوارها الاستراتيجي ثانية، وبعد احتلال الفرنجة إياها سنة ١١٠٠، انتقل مركز المقاومة الفاطمية إلى عسقلان لمدة عشرات السنين رغم احتلال كل المنطقة المحيطة بالمدينة، وبعد حطين الأولى سنة ١١٨٧ التي حررت غزة ضمن الأراضي المحررة، وصلت حملة فرنسية سنة ١٢٣٩م إلى عكا ثم توجهت إلى عسقلان فبادر سلطان مصر الأيوبي إلى إرسال قوة إلى غزة للوقوف في وجه الحملة التي لم تكن محكمة القيادة فانفصلت عنها مجموعة طمعت بالاستئثار بالغنائم وأسرعت للقاء المسلمين عند قرية بيت حانون شمال غزة، وهناك انكسر الصليبيون وهُزموا هزيمة نكراء دفعت بقية الحملة التي كانت ما تزال في عسقلان إلى الرجوع إلى عكا.

وفي سنة ١٢٤٠ م نشب خلاف بين ملك دمشق وسلطان مصر، والاثنان من الأيوبيين، ولجأ ملك دمشق «الصالح» إسماعيل إلى الفرنجة يطلب عونهم ضد ابن أخيه سلطان مصر، وفي مقابل ذلك سلمهم القدس وعسقلان وطبريا وغيرها، «وضجت البلاد بالاستنكار والرفض، وأكثر العلماء حتى في دمشق كالشيخ عز الدين بن عبد السلام وجمال الدين ابن الحاجب، من التشنيع على الصالح إسماعيل والغضب على عمله، وقطعا الدعاء له على المنبر، فلاحقهما فهربا إلى مصر وإلى الكرك»، واجتمعت الجيوش الصليبية والشامية لمواجهة الجيش المصري قرب غزة ولكن الشاميين انحازوا إلى إخوانهم المصريين رافضين القتال إلى جانب الصليبيين الذين دارت الدائرة عليهم ومنوا بهزيمة منكرة وخسائر فادحة حملت الفرنسيين على مغادرة الشرق بعد عقد الصلح مع سلطان مصر الصالح أيوب، وهذا المشهد السياسي يتكرر اليوم دون أن نرى نفس رد الفعل من الجندي المنتسب للإسلام.

ثم تجدد الخلاف بين أيوبيي الشام ومصر سنة ١٢٤٤م، فتحالف حكام الشام مع الفرنجة ووعدوهم بنصيب من مصر والشام فاستنجد الصالح أيوب في مصر بالخوارزميين الذين اندفعوا فيما يشبه انهيار سد يأجوج ومأجوج بعد سقوط دولتهم في إيران، ونأى صاحب الكرك الأيوبي بنفسه وجيشه عن التحالف الفرنجي-الشامي الذي تورط فيه صاحب حمص، والتقت الجيوش الفرنجية وحلفاؤها بجيش مصر المتحالف مع الخوارزميين عند قرية الحربية في الشمال الشرقي من غزة وأنزل جيش الصالح بالمتحالفين «هزيمة سحقتهم سحقاً»، وعادت القدس إلى ملك المسلمين، وحملت هذه الهزيمة المؤرخين الأوروبيين على إطلاق اسم «حطين الثانية» على هذه المعركة، وفي ذلك يقول المؤرخ إرنست باركر: «أما الانهيار النهائي لمملكة بيت المقدس، فإنه تحدد فعلاً في معركة غزة سنة ١٢٤٤، وما قام به المماليك من إقصاء الأسرة الأيوبية عن الحكم»، وكان قائد المسلمين في هذه المعركة هو بيبرس الذي سيصبح سلطاناً فيما بعد، وعلى أرض غزة تم حسم الخلاف الأيوبي المملوكي بتوسط الخلافة العباسية سنة ١٢٥٣ على أن تكون فلسطين ومصر للمماليك وبقية الشام للأيوبيين، بعد أن تسابق الطرفان للتحالف مع الفرنجة والاستقواء بهم ضد بعضهم البعض.



هجم المغول على العالم الإسلامي سقطت بغداد سنة ١٢٥٨، ولكن المماليك صدوا هجومهم عند عين جالوت في فلسطين، والجميل أن هزيمة المغول الأولى وقعت عند غزة بقيادة بيبرس بعد سنتين من سقوط بغداد، ثم نعمت غزة قروناً في ظل «السلام العثماني» ولما برز الخطر الأجنبي مرة جديدة كانت رحى الصمود العثماني الأخير حيث خاض الإنجليز وأذنابهم ثلاث معارك حامية للسيطرة على غزة، سقط فيها آلاف الشهداء من العثمانيين، ولولا الخيانة لما سقطت.

غزة في وجه الموجة الاستعمارية الغربية



ولما حل زمن النكبة ١٩٤٨، نجت غزة من الاحتلال الأول، وتصدت لمشاريع التوطين الأولى التي لم تحظ بموقف عربي حاسم، فكانت ثورتها هي التي دفعت القيادة المصرية لرفض المشروع، كما كانت مركزاً للعمل الفدائي الذي قام به اللاجئون ضد محتلي أراضيهم، مما دفع الكيان الصهيوني للغارة على غزة سنة ١٩٥٥، وهي الغارة التي أيقظت وبدلت آراء قيادة ثورة يوليو فيما يخص الكيان الصهيوني، ودفعتها لدعم العمل الفدائي ضد الصهاينة، وكانت الخسائر الصهيونية من العمل الفدائي بين النكبة والعدوان الثلاثي ١٩٥٦، ستة أضعاف هذه الخسائر في العدوان نفسه، وضعف خسائرها في حرب رمضان ١٩٧٣.

وبعد اجتياح القوات الصهيونية في العدوان الثلاثي لقطاع غزة برز دور خانيونس في مقاومة المعتدين وظلت صامدة قبل أن يتمكن منها الصهاينة بعد قصف بالطيران بثمانين ألف قذيفة، وبعد جلاء المعتدين تمسك أهل غزة بالإدارة المصرية ورفضوا التدويل، إلى أن وقعت النكسة سنة ١٩٦٧، وبعد مقاومة عنيفة سقطت المدينة وانطلقت عمليات المقاومة الشديدة للاحتلال حتى أن موشيه دايان اعترف سنة ١٩٦٩ بأن غزة يحكمها الفدائيون في الليل، وظل قطاع غزة المنطقة الوحيدة خارج نطاق الاستيطان اليهودي لمدة ثلاث سنوات بعد النكسة، واقترف آرييل شارون الكثير من الجرائم في سبيل إخضاع الفلسطينيين وهدم أحياء كاملة وشرد سكانها.

افتتحت انتفاضة الحجارة سنة ١٩٨٧ فصلاً جديداً من مقاومة غزة وفلسطين عموماً ضد الاحتلال الصهيوني، فقد سبقها في السنتين الماضيتين ١٩٨٥ و١٩٨٦ تصاعد في عمليات المقاومة، ثم انطلقت الشرارة في نهاية ١٩٨٧ بانتفاضة عمت الأراضي الفلسطينية، ولما لم يجد الالتفاف عليها باتفاق أوسلو، قام الجيل الذي ظنوا أنهم ربوه على ثقافة الاستسلام، بانتفاضة الأقصى سنة ٢٠٠٠، حيث أن جرائم الصهاينة كفيلة بتذكير كل من ينسى أنهم أعداء، وكفيلة بمحو أثر مناهج التربية التي تستمر سنوات طويلة.

ثم انسحب الصهاينة من غزة من جانب واحد سنة ٢٠٠٥، والطريف أن هذا الانسحاب حدث في عهد ممثل اليمين المتطرف رئيس الوزراء آريل شارون مجرم صبرا وشاتيلا، ومنذ الانتخابات التي شهد بنزاهتها شخصيات غربية شهيرة تعرضت غزة للحصار والحروب المتتالية في سنوات ٢٠٠٨ (حرب الفرقان) وسنة ٢٠١٢ (حجارة السجيل) وسنة ٢٠١٤ (البنيان المرصوص)، ثم معركة طوفان الأقصى اليوم.


آريل شارون

لا مكانة لغزة إلا وسط محيطها العربي والمسلم

لست من دعاة التجزئة ولا أهتم بفلسفتها البائسة عن كون هذا القطر أو ذاك هو «أولاً»، ولا كونه أهله خير من طلعت عليه الشمس، وأنه أفضل من إخوته وجيرانه، فقد علمتنا تجارب الحياة ومثل الحكماء وحكم القدماء والأهم أحكام الإسلام أن القوة في الوحدة وأن المرء قوي بإخوته وأن الذئاب تأكل الغنم القاصية وغير ذلك، وقد لاحظنا من مسيرة غزة التاريخية أن مكانتها لم تكن تبرز إلا باستنادها إلى محيطها

وجيرانها وإخوتها، في السراء والضراء، قبل الإسلام وبعده، وأن هذا الاندماج هو الذي صنع مكانتها وازدهارها على مر العصور، وإذا كان الدكتور جمال حمدان رحمه الله قد استنتج هذه النتيجة بعد دراسة موسوعية مستفيضة عن قطر كبير هو مصر، وأنه لا مكان له ولا دور إلا وسط كيان كبير جامع، فمن باب أولى انطباق ذلك على قطر صغير هو فلسطين ومدينة منه هي غزة.

ويبدو هذا بكل وضوح في عرفان المقاومة في غزة بجميل جميع الإخوة العرب والمسلمين الذين رفدوا إمكاناتها العسكرية والمالية والتموينية بهذا القدر أو ذاك من العون، فالمهم في موضوعنا أن هذا الصمود بل الهجوم الغزي المبهر مقارنة بحجم القطاع الصغير جداً، لم يتأت إلا بدعم من المحيط العربي والإسلامي على ندرة الداعمين وخذلان القاسطين والمارقين والمنافقين.

وإذا كان هذا الدعم ليس كافياً أو ليس خالصاً لوجه الله في نظر البعض أو مشوباً بقيود الحدود الاستعمارية، فإن نقطتي الرئيسية هي أنه إذا كان هذا الصمود الأسطوري قد تحقق ببعض مظاهر التكافل البسيطة وغير الكافية في نظركم، فكيف سيكون حالنا لو كان هذا الدعم متحققاً في ظل الاندماج والوحدة التي تجعل مصلحة من هو في القاهرة أو دمشق أو بغداد أو إسلام أباد أو كابول أو طهران أو أية عاصمة عربية أو إسلامية بعيدة أو قريبة هي صد العدوان عن غزة وأمثال غزة لأنها تقع ضمن مسئولياته المباشرة كما كانت القدس مسئولية مباشرة للخليفة العثماني في اسطنبول البعيدة ففضل التنازل عن العرش على التنازل عنها، وقدم خلفاؤه عشرات الآلاف من الشهداء قبل أن تهزمهم جموع الكفر والنفاق لتسيطر بريطانيا على فلسطين وتنقلها إلى ملكية الصهاينة.

أما اليوم فيكفي أن نرى حجم الأضرار الناجمة عن مجرد إغلاق معبر رفح في المعركة الحالية وفي سنين الحصار لندرك أهمية التكافل فضلاً عن الوحدة في مواجهة العدوان، بحيث أن انشغال كل طرف بنفسه

يؤدي إلى استفراد العدو بهم واحداً بعد آخر، بل إن المسئول الفلسطيني المباشر عن القدس لم يعد مستعداً لمثل هذه التضحيات الكبرى التي أقدم عليها السلطان العثماني في سبيلها ويتمسك بمنصبه في ظل محتل ما انفك يزحف بتسارع في التمدد الذي يغير الحقائق على أراضيها دون اعتراض يوقفه عند حده بل بموافقة ضمنية تتبرأ من كل الأسلحة الرادعة بل تحارب حملتها وتعلن ألا سبيل أمامها سوى التفاوض، وتقمع المقاوم بسلاحها الفعال ثم تطلب الحماية بكل مذلة من «المجتمع الدولي» الذي تسبب نكبتنا، وتشبه شعبها بالحيوانات لأجل الاستعطاف الرخيص، مما يجعل الزمن في صالح من يقوم بدور عملي على الأرض وهم الصهاينة وليس في صالح من يكتفي بالاستجداء السلبي الضعيف الخالي من وسائل المقاومة ومن ثم فإنه يمنح الفرصة الذهبية للص القوي لإكمال مهمته.



ولهذا أقول إن دولة الاستقلال الوهمي والتجزئة المجهرية وصلت إلى شكلها النموذجي من الخيانة والتراجع والهزيمة والتبعية بعد زمن من أقنعة الشجب والاستنكار والإدانة وشغل خطوط الهواتف بين الزعماء عند كل كارثة، انتهى كل هذا اليوم وظهر أن الخيانة جزء بنيوي من التجزئة وليست مجرد هوى حاكم منحرف، وأي حاكم لا ينسجم مع هذه البنية تطرده منها فوراً، وانتقلنا من الصمت إلى تأييد العدو تحت الطاولة ثم مشاركته العدوان على الأخ والجار علناً كي يرضى الغرب عن هذه العروش ويثبتها مع أنه لم يستطع تثبيت عرش واحد جاء أجله في الماضي، وأقول دائماً إن دولة التجزئة هي الآلية التي تركها الاستعمار في مكانه لتقوم مقامه بعد رحيل جيوشه واشترى ولاءها بمنحها الاستقلال الوهمي، فزايدت على مصالحه وأنجزت له أكثر مما طلبه منها بل أكثر مما أنجزه هو لنفسه.



سُبل النصر
في ظلال طوفان الأقصى



د. بسام محمد

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

أقضّت ضربة السابع من أكتوبر المباركة مضاجع الغرب كله، فهرع الرئيس العجوز (بايدن) من فوره، كمن أخذ لطمة على وجهه فجأة فحمل جسده المتهالك مسرعاً بخطى متعثرة إلى ربيبته (إسرائيل)، ليعرض جميع أشكال الدعم، مخبرا ومعلنا أن حربهم حربه وعدوهم عدوه. وما ذلك إلا بفعل بضعة مقاتلين محاصرين أفقدوا أعظم قوة في العالم صوابها، وجاءت بخيلها ورَجِلها، وتركت معركتها مع روسيا -أشد

منافس لها- في أوكرانيا، وآثرت (إسرائيل) بالسلاح والمال والجنود والخبرة العسكرية، مع زيارات ولقاءات واستنفارات غير مسبوقة، واستجلاب الحلفاء من بقية الدول الغربية، وإعطاء الضوء الأخضر لارتكاب المجازر المهولة ضد النساء والأطفال والشيوخ، وقصف المشافي والمساجد والمدارس والمرافق العامة عمداً، وفرض الحصار والتجويع، وتدمير المنازل على ساكنيها في أكبر مجزرة في العصر الحديث.

إلا أنه رغم شدّة الألم لما يحدث في غزة من قتل وإجرام للعُزل من الأطفال والنساء والشيوخ، فإنه لم يمرّ على المسلمين في العصر الحالي حدث يدعو إلى التفاؤل على مستوى الأمة الإسلامية كلها مثل «طوفان الأقصى». وسوف تُكتب المجلدات في عظيم بركة طوفان الأقصى على الأمة من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها عبر أجيال وأجيال حتى تكون الملحمة الكبرى وقتل الدجال في فلسطين.



ممهدات النصر

أهم مكسب لعامة الأمة من طوفان الأقصى هو إسقاط مشروعية الأنظمة الحامية لليهود: بلاد الطوق في الدرجة الأولى، وبقية البلاد التي وقف حكامها مع الصهاينة. وهذا يعني تبعات عملية بعدم جواز طاعة هذه الأنظمة أو معونتهم بأي نوع من أنواع العون، أو الدخول في جيوشهم وعسكرهم وأجهزة أمنهم، بل الواجب هو العمل على إسقاطهم بكل السبل المتاحة؛ لأنهم حائط الصد الأول عن اليهود، وهذا ما شاهده كل أحرار العالم، من منع طاغية مصر دخول الأغذية والمواد الطبية، أو خروج المرضى إلا بما سمحت به (إسرائيل) حصراً.

كما أثبت طوفان الأقصى بدون ريب أن هؤلاء عملاء للنظام العالمي ولا يكون التحرر الحقيقي إلا بالتحرر من سلطة هذا النظام الجائر المجرم، مدّعي الحرية وكرامة الإنسان، وكسر جميع الحدود التي اصطنعها وإزاحة الخونة الذين زرعهم ونصّبهم ككلاب حراسة وأدوات قمع للشعوب المسلمة. ولعل طوفان الأقصى هو الإسفين الأقوى في تاريخنا المعاصر الذي سوف يُسهم بإزالة هذه المنظومة الفرعونية وأتباعها وكهنتها. فالخروج على اتفاقات ومؤتمرات الخيانة التي كبلت الشعب الفلسطيني هو من السمات البارزة لطوفان الأقصى.

كما اكتسح طوفان الأقصى أيضا أحزاب الإسلام السياسي الناعم، والتغيير الديمقراطي السلمي واللا العنف وجماعة طاعة ولاة الأمر، وأحلام تطبيع المطبعين من رؤساء وملوك ومن لفّ لفيفهم، وجماعة الممانعة والمقاومة الإعلامية، والمطبلين والمنبطحين والحكام الخونة وحاشيتهم وأبواقهم الإعلامية، ومشايخ السلطان، والحبل على الجرار.



سبل النصر

بعد هذه المهدات السريعة المختصرة هناك سبل متعددة للنصر، علينا أن نسلكها ونتربى عليها، ونربي أبناءنا عليها ونعمل بها كل حسب موقعه واستطاعته، نجملها فيما يأتي:

- **التربية الإيمانية العميقة بالدرجة الأولى؛** فهي وقود النصر الحقيقي، والرغبة بما عند الله

من الجنان والدرجات العليا، مع الإيمان بالقضية إيماناً عميقاً، والوعي الجمعي بطبيعة الصراع، والقرب من الحاضنة وتآلفها، وشيوع روح التضحية ببذل الأنفس والأموال، وعدم القناعة بمكاسب محدودة وأمان متوهم، فالطريق طويل والهدف نبيل أسمى من حطام الدنيا ولعاعتها، فلا مساومة على الدين ولا القضية، ولا تراجع حتى النصر أو الشهادة.



- **الدعاء والالتجاء إلى الله مع أخذ الأسباب،** فهو من أنجح الوسائل؛ لأنه دعاء من بيده النصر، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

- **إعداد العُدة بكافة أشكالها وصنوفها، البدنية والعسكرية والتكنولوجية والإعلامية والاقتصادية... إلخ** ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

- **الإنفاق في سبيل الله والحض عليه؛ فهو عصب الجهاد وبه دوامه،** قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥] ففي ترك الإنفاق في سبيل الله الإلقاء إلى التهلكة.

- **نشر الوعي بين أبناء الأمة في ضراوة المعركة بين الإسلام والكفر وحقيقة الصراع وجذوره،** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٥]، وما علمنا القرآن إياه خاصة المعركة مع

اليهود ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، وهذا يحتاج إلى مدارسة قرآنية والإلمام بقدر كافٍ من العلوم المتنوعة، فلا بد من خوض غمار معركة العلم أيضاً.

- **تفكيك النظام العالمي الجديد بقيادة أمريكا هو أول طريق التحرير؛** فما دامت هذه المنظومة تحكم سيطرتها على العالم فلن تهنأ الشعوب المستضعفة بطعم الحرية حتى تزول هذه الطغمة الفاسدة التي تساند الظالم الإسرائيلي جهاراً نهاراً.



- **استنفار المسلمين في جميع أنحاء العالم الإسلامي لنصرة قضية قد أجمعت عليها الأمة،** قضية تحرير الأقصى وأرض الأقصى مسرى الرسول ﷺ، فكل من استطاع نصرة إخواننا في غزة فلم يفعل إهمالاً وتقصيراً أو عدم مبالاة، سوف يخذله الله ويذله في الحياة الدنيا وسوف يذوق من العذابات بحسب تقصيره وخذلانه، وقد يكون من السبل المتاحة المنتشرة التي تسهم في النصر:

أ. تفعيل المظاهرات المناهضة للصهاينة ومَن يعينهم.

ب. مقاطعة منتجاتهم وتجاراتهم، فقد أثبتت الحرب الاقتصادية جدواها وأثرها في العدو.

ج. واستخدام جميع وسائل الإعلام في الدفاع والنصرة، فالجهاد باللسان نوع من أنواع الجهاد، فقد قال رسول الله ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[١]. فعلى المسلمين أن يكونوا يدًا

---

١ أخرجه أبو داود.

واحدة على الكفار كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويجب جهاد الكفار واستنقاذ ما بأيديهم من بلاد المسلمين وأسراهم، ويجب على المسلمين أن يكونوا يدًا واحدة على الكفار، وأن يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله، ويدعوا المسلمين إلى ما كان عليه السلف من الصدق وحسن الأخلاق، فإن هذا من أعظم أصول الإسلام وقواعد الإيمان التي بعث الله بها رسله وأنزل كتبه»[٢].

فواجب الوقت الآن هو إعداد العدة وعدم تضييع الوقت، فشهية العدو مفتوحة للقتل، فكل يوم يعربد ويقتل ويدمر ويشرد وتعينه كل دول الشر على جرائمه وتعدياته.

وقد تعلمنا سابقاً من ثورة الشام أن العدو لا أمان له، وزادنا يقيناً فوق يقيننا ما يجري الآن في حرب غزة، أنه لا تنفع مواثيق حقوق الإنسان ولا قواعد الحرب والاشتباك، ولا الضامنون، ولا الأصدقاء ولا المجتمع الدولي.. وأن أعداءنا لا يرقبون فينا إلّاً ولا ذمة، ولا يعرفون كبيراً ولا صغيراً ولا مشفى ولا مسجداً ولا مدرسة ولا جامعة.

وفي النهاية نُلخّص ما ذكرناه في بداية المقال: ما حصل في غلاف غزة في أيام معدودة قلَب كل الموازين لصالح أهل فلسطين على وجه الخصوص والأمة الإسلامية على وجه العموم، وباختصار علينا أن لا نستعجل النتيجة فقد لا تظهر في أسابيع ولا أشهر، والمهم هو انتهاز الفرصة والعمل كلٌّ في موضعه على سلوك كل السبل فيما يعزز هذا النصر ويردفه، فإنها فرصة قد لا تتكرر والغانم من شمر واغتنم.

---

٢ المستدرك على الفتاوي.



أزمات الدولة القُطرية في حرب غزة



د. حسن سلمان

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ناصر الحق بالحق والهادي إلى الصراط المستقيم، الذي جاهد في الله حق جهاده فأقام دولة الحق والعدل، فصدق فيه وفي أصحابه قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

فالإسلام منذ بداية رسالته حدد غايته الكلية المتمثلة في إقامة القسط في التصورات والعقائد والمفاهيم والتشريعات والمناهج وكافة الجوانب العملية في الحياة، كما حدد الرسالة وبيناتها الموصلة للغاية بالميزان القويم، ثم وضح حاجة الرسالة ودعوتها وولايتها العامة والخاصة إلى القوة في إقامتها وجوداً، وحمايتها من العدم والتلاشي، فالإسلام دعوة الحق المحمية بحق القوة، وشواهد ذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

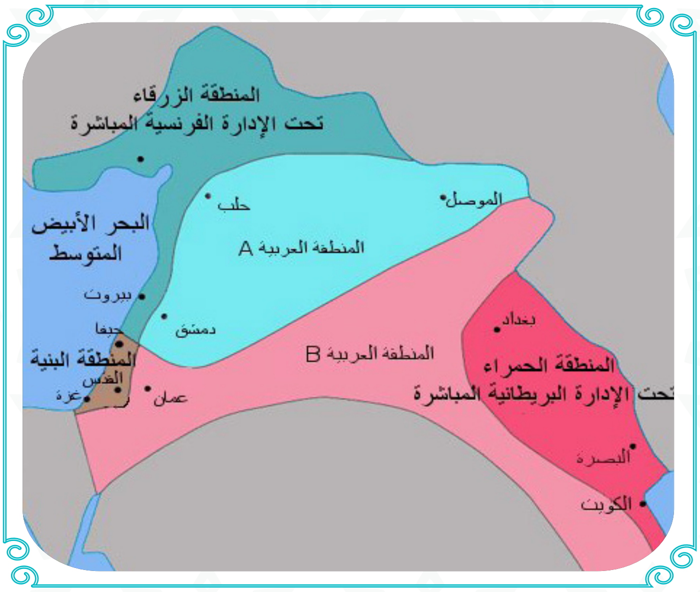


وكذلك كافة نصوص الوحي الآمرة بالجهاد والقتال، ومجابهة الطغيان والعدوان، ومحاربة الفساد بأدوات تناسب طبيعته، وليس بالخطب الجوفاء والبيانات المنمقة بلا سند من القوة المادية، التي تفرضه واقعاً ملموساً، فالإسلام يجمع بين المثالية في تصوراته والواقعية في أدواته.

ومنذ قرن من الزمان والأمة المسلمة تعاني من ضياع وتشتت في الهوية وفقدان للسيادة، وتمزق في الكيان الجامع لها، وغياب للاستقرار والتنمية، وسيطرة للأعداء على كثير من البلدان بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وكل ذلك تحت ما يسمى بالدولة القُطرية الحديثة، وفي حقيقتها هي كيان ضعيف تابع لا قدرة له على حماية شعبه ومصالحه إلا بالاستناد إلى القوى الخارجية المتنفذة في العالم، ونتناول باختصار في مقالنا هذا نشأة الدولة القطرية وأزماتها وتجلياتها في واقعنا العربي والإسلامي، وكيف أنها السبب الرئيسي -إن لم

يكن الأول- في العجز العام للأمة أمام أحداث غزة الدموية، وبأنه من الأخطاء القاتلة الرهان على دول بلا هوية ولا رؤية ولا مشروع سياسي، ولا انتماء للأمة ولا مؤسسات قادرة على مواجهة التحديات.

نشأة الدول القُطرية



تجربة إنهاء الاستعمار ونهايات الحربين العالميتين أحدثت تحولاً في بنية النظام الدولي، حيث حدث انتقال من عالم الإمبراطوريات إلى عالم القوميات القطرية وظهور الدولة الحديثة بحدودها الجغرافية، ونظامها السياسي ودستورها، ولذا فنشأة الدول بعد التحرر لم تكن طبيعية غالباً، حيث كانت تعبيراً عن واقع الاحتلال وسيطرته دون مراعاة لطبيعة التباينات المجتمعية لكل قطر، خلافاً لطبيعة النشأة في الدولة الأوروبية، وبالتالي فقد صاحب نشأة الدولة القطرية الحديثة جملة من التحديات والأزمات نذكرها فيما يلي:

١. أزمة السيادة:

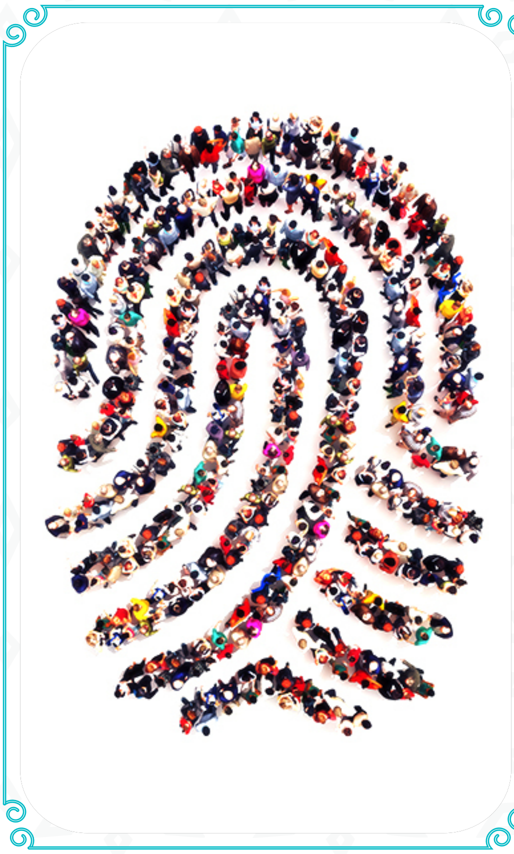
السيادة هي (الحق الكامل للهيئة الحاكمة وسلطتها على نفسها دون أي تدخل من جهات أو هيئات خارجية) وتشكل السيادة أحد الأركان الجوهرية التي تبنى عليها نظرية الدولة في الفكر السياسي والقانوني، كما أنها تعد من المحددات السياسية والقانونية المركزية لمفهوم الدولة الوطنية، ومن خلالها يتجسد واقعياً الوجود القانوني والسياسي للدولة كعضو يتمتع بالواجبات والحقوق الدولية، كما يتجسد أيضاً بموجبها الاستقلال الوطني للدولة، وكذا مساواتها مع الوحدات والكيانات السياسية الأخرى المشكّلة للنظام الدولي.

ونعني بأزمة السيادة في كثير من الأقطار تلك السيادة المنقوصة من خلال التدخلات الخارجية وتحكمها بأدوات مختلفة في السلطات القائمة، وقدرتها على خلخلة تلك البلدان، وصناعة النخبة الحاكمة والتحكم فيها، ونلاحظ ذلك جلياً في اجتماعات مؤسساتنا العربية والإسلامية وعجزها التام عن الاتفاق على شيء يخدم الأمة وقضاياها، بل نجدها مقسمة بحسب الولاءات، وقرارها تابع لغيرها، بل نرى أن كثيراً من بلداننا معقل للقواعد العسكرية التي تنطلق لتدمير الشعوب والبلدان المسلمة. ولا شك أن هذه القواعد جاهزة كذلك لتدمير الشعب الذي يثور على حكومته بقصد التغيير والإصلاح، إذن فنحن عملياً شعوب تحت الاحتلال والضبط والسيطرة الخارجية، وبأدوات تبدو في ظاهرها قانونية ومحمية بالنظام الدولي ومؤسساته القمعية، فأنظمتنا تستمد سلطتها من الخارج، فتملك بذلك أدوات القمع والقهر ولكنها لا تملك السيادة.



الوجود الأمريكي في الشرق الأوسط

وتتفرع عن أزمة السيادة مسألة العجز عن الدفاع عن أي شعب مسلم يتعرض لعدوان خارجي، حيث يكون قدر هذا الشعب مواجهة العالم المهيمن وحده، والتزام بقية أطرف الأمة الحياد أو التواطؤ كما حصل مع العراق عند العدوان والاحتلال الأمريكي عليه، وكذلك الشعب السوري وهو يواجه النظام الطائفي المتساند مع الصفوية الطائفية والقيصرية الروسية، وتشريده عن أرضه ووطنه وقتله وملأ السجون بأحراره، ثم كذلك الشعب الفلسطيني في حروبه الطويلة والمدمرة ومنها حرب غزة الأخيرة، حيث يواجه وحده البوارج الصليبية والعدوان الصهيوني في حالة صمت وعجز تام في الدفاع عنه من قبل مكونات الأمة المختلفة.



٢. أزمة الهوية

الهوية مصطلح يستخدم لوصف الشخص أو الكيان وتعبيره عن شخصيته وعلاقته مع الآخرين مثل (الهوية الدينية أو الوطنية أو العرقية...) والمقصود هنا الهوية الوطنية للشعوب بعد الاستقلال، ما هي طبيعتها؟ وهل المحدد لها هو الجغرافيا التي قامت عليها الدولة الحديثة دون أي مراعاة لطبيعة التجانس الديني والقومي واللغوي؟ أم أن الهوية هي هوية المحتل الذي ترك موروثاً من الثقافة والفكر والمنظومات الإدارية والتعليمية والسياسية تحت مسمى الحداثة؟

لقد نشأ نوع من الصراعات التي نسميها بصراع الهوية، سواء بين المكونات التقليدية وتعددها الديني والقومي، أو بينها وبين النخب الحديثة التي تعبر عن ثقافة المحتل وهويته، وبالتالي نشأت صراعات هوياتية أعاقت وتعيق التقدم والنهضة وأنهكت الدول الحديثة، وبددت مواردها في حروب كثيرة، وقد كانت الأمة المسلمة قبل نشأة الدولة القطرية الحديثة من خلال المحتل الغربي وما عرف باتفاقيات سايكس/بيكو في غالبها تعيش ضمن إطار وحدوي جامع باسم الخلافة، يحدد هويتها الواحدة وهي الإسلام، فكان الإسلام يحمي مصالحها الكبرى ويدافع عنها وعن مقدساتها، ولم تكن الأمة تعاني أزمة هوية في تشريعها وتعليمها وولائها للدين والأمة، بل كان المسلم يتجول في بلاد الإسلام شرقاً وغرباً دون حواجز مصطنعة وكانت الكفاءات تجوب الأقطار باعتبار الأمة هوية واحدة، وكياناً سياسياً وثقافة جامعة.

فمنذ نشأة الدولة القطرية وهي تعاني أزمة هوية كبيرة في دولها وبين شعوبها، كما تعاني تمزقاً هائلاً في طبيعة ولائها ووجهتها التي كان الولاء فيها لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمؤمنين حيثما كانوا، دونما عصبية قطرية ضيقة، فكانت تقوم على الولاء والبراء والنصرة والتراحم، وما كان خارج هذه الدائرة القطرية فلا شأن للأنظمة وشعوبها إلا في نطاق توظيفه وتسييسه لخدمة الداخل القطري.

وخلاصة القول فإنه من الصعب الحديث عن تحقيق سيادة الأمة المسلمة واستخلافها وعمرانها وعبوديتها لله رب العالمين حتى يكون لحياتها معنى، ولوجودها مغزى، بعيداً عن وحدتها الجامعة، وتطوير آليات التنسيق والتكامل بينها، وبناء مؤسسات الأمة القادرة على تحقيق مصالحها والدفاع عن مهدداتها الوجودية، وإعلان صك الوفاة لدويلات الطوائف القومية والوطنية، والإعلان الرسمي عن انتهاء عصرها ونهاية صلاحيتها، وكذا حاجة الأمة إلى استعادة مشروع الخلافة الإسلامية لمواجهة تداعي الحملات الصليبية التي اجتاحت المنطقة مهما كانت الصعوبات والتحديات.



أما التوجس والخوف من النظام العالمي ورفضه لفكرة وحدة الأمة وخلافتها فليس مسوغاً للهروب عما يعالج مشكلاتنا الراهنة، وخاصة في ظل تهاوي وتفكك المنظمات الدولية والإقليمية بسبب الحروب الجارية في العديد من المناطق والبلدان، بما فيها قطاع غزة، والذي كشف للعالم كم كانت مأساته عندما أدرك أن ما يُسمى بالنظام الدولي ما هو إلا هيمنة للأقوياء على الضعفاء، وممارسة الخداع الاستراتيجي لعقود من الزمان، فظهرت لحظة الحقيقة المُرة بفشل العالم كله في مواجهة

الغطرسة الصهيوصليبية، وفي فرض القانون الدولي المزعوم لوقف الحرب ونزيفها الجاري من أشلاء أطفال ونساء غزة، بل وغياب الإرادة والعجز حتى عن فتح المعبر الذي يقع تحت السيادة المصرية نظرياً!

٣. أزمة الاستقرار السياسي:

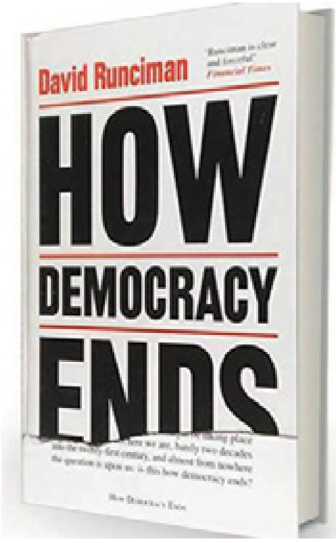


يُعد الاستقرار السياسي من أهم العوامل لتحقيق النهضة والتنمية، ولن يكون ذلك إلا بالمشاركة السياسية التي تحقق العدالة في السلطة والثروة، وقد بذلت حركات التحرر بعد الاستقلال جهوداً كبيرة لصنع الاستقرار السياسي، وقد تحقق ذلك في بعض الدول ولكن بقيت الكثير من الدول الأخرى تعاني من عدم الاستقرار بسبب الصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية، وبالتالي فأزمة الاستقرار السياسي من الأزمات التي صاحبت نشأة الدولة القطرية، التي قامت على خدمة القوى الأجنبية التي تعمل على سرقة ونهب الموارد في ظل حكومات عاجزة عن تحقيق الاستقرار لشعوبها وبلدانها، وفاقدة للشرعية في بقائها.

فغالب تلك الحكومات جاء بالانقلابات العسكرية المدعومة من الخارج أو اكتسب سلطته ابتداء من المحتل، كما أن القوى الخارجية تعمل جاهدة على صناعة التناقضات والحرص على عدم الاستقرار لتكون الأنظمة دوماً في حاجة الخارج لتثبيت أركان سلطانها، وإذا لم تستجب لمطالب الخارج فإن البديل يكون معداً وجاهزاً وحريصاً على أن يتسلم السلطة كذلك من الخارج، وهكذا تستمر حالة غياب الاستقرار ودوامة فقدان السيادة وضياع الهوية.

وبطبيعة الحال فالاستقرار السياسي مرهون بالتحرر من الاستبداد الداخلي والنفوذ الخارجي والتعبير عن هوية الأمة الثقافية والدينية، وبناء نظامها السياسي المعبر عنها، بعيداً عن استيراد الأنظمة الوافدة

مهما كانت صلاحيتها لموطن النشأة وجمال مظهرها الخادع أحياناً، كما هو الحال مع النظام الديموقراطي الذي غالباً ما يكون أداة للتحكم في ظل غياب سيادة الأمة وفاعليتها العالمية، فحكم الشعب فرع عن سيادته، والتحرر من الاستبداد يسبقه ويتقدم عليه التحرر من الاحتلال، وهنا نطرح سؤالاً طرحه المفكر السياسي ديفيد رانسمان في كتابه (كيف تنتهي الديمقراطية) مفاده: «إذا كان كل ما يحمي الديمقراطية ويحافظ عليها في الدول التي صارت راسخة فيها، هو أن البدائل عنها أسوأ منها، فماذا يحدث عندما يصل قطاع معتبر من المواطنين في هذا البلد الديمقراطي أو ذاك إلى اقتناع بأن من هذه البدائل ما قد يكون أفضل منها؟»



وهو السؤال الحري بأن تطرحه دولنا وشعوبنا الإسلامية: فهل هناك بالفعل بدائل أفضل من الديمقراطية؟ والإجابة: بالطبع هناك ما هو أفضل من الديموقراطية عندما تثق الأمة فيما لديها من كتاب مُنزل وتجربة حكمت لقرون من الزمان، فيوم أن كان العالم يعيش قرونه المظلمة كان الإسلام مشعاً وفي أوج حضارته، وكما يقال: فالحدوث دليل الإمكان، إذن يمكن للأمة استعادة مجدها ونظامها السياسي المعبر عن هويتها وقيمها ونظامها التشريعي، ويمكن أن تجعل من هذه النكبات والنكسات نقطة انطلاق نحو الفجر المرتقب والمنشود بإذن الله تعالى، وفقاً لما ذكره المؤرخ أرنولد توينبي حول التحدي والاستجابة.

٤. أزمة التنمية

التنمية هي عملية تطور مستمر وتتخذ أشكالاً مختلفة تهدف إلى الرقي بالوضع الإنساني إلى الاستقرار والرفاه، بما يتوافق مع احتياجاته وإمكانياته، وتعتبر وسيلة الإنسان لتحقيق غاياته، وهي عملية معقدة تضم جوانب الحياة المختلفة.

وفي ظل غياب السيادة والاستقرار، وكذا تجلي أزمات الهوية وصراعاتها، ظهرت أزمات التنمية، وانعكست في تبني نماذج تنموية لا تناسب البيئة المحلية، ومنقولة حرفياً من نماذج التنمية الغربية، وبالتالي تحولت الكثير من البلدان لمصدر للمواد الخام للدول المتطورة، وغالبها دول الاحتلال السابق ثم الاستيراد بعائداتها ما تحتاجه من ضرورات الحياة.

هذه بعض أزمات دولنا في المنطقة العربية والإسلامية، ومع كل هذه الأزمات فإن هذه الدول تحكمت في المجال العام والخاص، مما أضعف حركة الشعوب وقلل من فاعليتها، فلا أحزاب سياسية ولا قوى علمائية، ولا منظمات مجتمع أهلية أو مدنية قادرة على التأثير في مجريات الأحداث داخلياً وخارجياً، مع أن الأصل في التصور الإسلامي أن السلطة والولاية العامة فرع الأمة وليست بديلاً عنها ولا تحل محلها بالمطلق، فعبر التاريخ الإسلامي لم يكن سقوط الدول يعني سقوط الأمة ومؤسساتها بل كانت تنهض بواجباتها عند عجز الحكام وضعفهم، ولعل ما ذكرناه يجيب عن سؤال العجز الذي نراه في الأحداث الأخيرة في غزة، حيث تجتمع دولنا بعد مرور شهر كامل على القتل والتدمير للإنسان وخاصة الأطفال والنساء والعجزة والمرضى والمشافي والمساجد والمعابد، وما يعيش عليه من شجر وحجر، ومع ذلك لا تملك الحكومات فتح معبر للإغاثة ومساعدة الجرحى والمرضى، دعك من تحرير مقدس من المقدسات.

فهذا هو الواقع المؤلم، الذي يثير العديد من التساؤلات حول مستقبل الأمة وشعوبها، ومستقبل أنظمتها السياسية العاجزة، وكذا مستقبلها العام بين الأمم. والله الهادي إلى سواء السبيل.



جهاد ضروري

قبل جهاد السيف والبندقية



د. أحمد شتيوي

أخصائي طب الأسنان

مرت فترة الثلاثة أشهر وجاء موعد تركيب التاج فوق غرسة الأسنان الألمانية جيدة السمعة، بادرتني المريضة التي تجاوزت الخمسين قائلةً: «يا دكتور لا تكمل لي بالألماني.. أكمل لي بالتركي». بدأت أقلب الأمر في رأسي: هل تتوفر خامة التاج بالتركي أم أني سأُجبر على الصيني؟ نعم، هناك صيني عالي الجودة.. أم أجرب السويسري؟ ماذا عن سويسرا؟ لا بد أن أراجع مواقفها أولاً.. هل يا ترى سألجأ إلى هذا الصيني الجيد؟ لا حرج في استعمال الأجهزة الصينية أما الخامات التي توضع في الفم وتُستعمل داخل الجسم فضروري أن تكون عالية الجودة طيبة السمعة!

دارت هذه المعاني في رأسي في ثوانٍ قليلة ودار غيرها، مثل: هل المعمل «المخبري» سيتجاوب معي فيما بعد في بقية الحالات القادمة، سأقنعه، وإن اشترى لي خامات خاصة بي، هل سأستطيع إقناع المرضى بجودة المقاطعة في مثل هذه الأمور؟ ربما صلحت بعض البدائل واضطررت إلى بعضها الآخر. رجعت إلى خالتنا الكريمة وقلت لها: «إن شاء الله لن نستخدم الألماني» فقالت لي: يا بُني.. هذا جهاد لا تتركوه .

أكملت خطوات العمل والأمر يدور في رأسي دوران هواء الأعاصير.. كأني في قلب إعصار والخامات والمواد تتقلب أمامي، هذا ربما أجد له بديل.. هذا سأبحث.. ماذا عن كذا وكذا.. ثم كذا.. التركي في خامة كذا جيد ويتطور.. الحمد لله.. ولكننا في بحر كبير.. الخامات لا تعد ولا تحصى! ماذا عن الكوري؟ ماذا عن البرازيلي؟ سمعت عن تطور بعض الخامات التايوانية.. سأراجع مع تاجر المستلزمات مرة أخرى فربما هناك ما لم أسمع به.. وعندها سنضع لكل خامة خيارات!



هدأتْ نفسي شيئاً ما عندما قررت أن أراجع مع التاجر.. ثم ثارت مرة أخرى.. ماذا إن لم نجد البديل؟

إحساس مؤذٍ أن أطهّر يدي منهم في أمر واضطر إلى تدنيسها في آخر !إحساس قريب من هذا الغضب الذي يتلو الإحساس بالعجز الذي يتملكني كلما اشتد الحصار الفاجر واشتد معه الذبح والنسف والهدم والردم والتكالب.. ثم الظهور علينا في شاشات الإعلام بتبجح وشماتة !لماذا لا توجد بدائل كافية في أمتي الضخمة !أليس هذا جهاداً كما قالت المرأة؟ هل أحاربهم في الصباح وأدفع لهم مالي بالمساء؟ إنهم يقطعون من

لحم أمتي صباح مساء.. هل يعطشونني في الصباح

ويسقونني الخمر مجبراً في المساء؟! إنه لكأس ذل!



كل هذا البحر الهائل من الخامات والمستلزمات والأجهزة لا نجد من أمتنا فيه كفاية؟ هذا وأنا طبيب أسنان ومتخصص.. فما بالكم بتخصصات الأسنان الأخرى؟ ثم ما بالكم بتخصصات الطب الأخرى التي لا نشكل نحن فيها إلا القليل! ثم ما بالكم بتخصصات الحياة الأخرى؟! أين الباحثون عن الجهاد؟ هل الجهاد في أعينكم هو حمل البنادق فقط! أليست هذه ساحة جهاد واسعة مترامية الأطراف !أين المستثمرون؟ أين المصنّعون؟ أين المهندسون ليكفونا كل هذا !هل تنتظرون لحظة أن يبتدركم العدو بجنوده ويحاصركم مثل غزة حتى تمثلوا معنى الجهاد؟ والله لإن فعلها ليفعلنها وهو يملك ماءنا وكهرباءنا ودواءنا وغذاءنا، وكيف لا وهو يعد لنا كل هذا؟!

أم أنكم تنتظرون أن يرشد الخونة فجأة ويسلموا رقابهم لتمروا عليها مجاهدين! ألم يمتص هؤلاء الأعداء كنوز الأرض ليسبقونا في ميدان المال.. بماذا غزونا؟ ألَمْ يتقووا علينا بالمال؟ أليست أموالاً وبنين ونفيراً كثيراً؟ ألم نترك لهم الأرض فعاثوا فيها فساداً وأسموا مشارقها ومغاربها بأسمائهم؟ هل سيقسم لي من يريد الجهاد إنه إن طُلب لَيَخرجن؟ ربما.. ولكن لا يقنعني من لا يستطيع حمل القلم أن يحمل بندقية بحقها يوماً ما! مَن يثقله حمل القلم لن يصبر على البندقية. لسنا في زمان السيف وقوة شكيمة حامله! نحن في زمان طائرات الشبح.. عصارة العلم والعمل وحرقة القلم.. ليحل معادلة!

ألا يستطيع ابن أمتي أن ينتج لي منتجاً أحفظ به عزي؟! يا رب هذا نتاج أمتي أضعه في جسد عبد من عبادك أُسهم به في حياة قدستها سبحانك.. أم أضع منتجاً من منتجات أعداء ربي يشعرني بالأسر والقهر وشيء من الخيانة؟!

يا أبناء أمتي ابدأوا .. ابدأوا بالقليل يكبر يوماً بعد يوم.. أنتج منتجاً ومع الأيام طوِّره.. لا مشكلة.. تعثَّر وانكسِر حتى تمتلك فنه ومهارته وتكفيه المسلمين، فوالله ما كان الجهاد يوماً ما قطف الثمرة! ولا كان معركة عابرة تبدأ بخيالات البطولة وتنتهي بالنصر المؤزر في سويعات !بل هو الألم والهم ونحت الأثر على الصخر.. ابدأ أخي ولا يقعدنّك الشيطان ويفتنك بضيق فكر وسذاجة حلم.. ابدأ فهذه ساحة الجهاد قد أتتك.. لا يحصرنّك الشيطان في زاوية ضيقة.. ستبرد مع برود الحرب.



بربك! أليس كل الناس يستطيع الجهاد؟ أليس المعلم مجاهداً يغسل عقول طلابه من ضلال الغرب وأفكاره ويزرع فيها نبت الإيمان والعقيدة؟ أليس التاجر يوفر للمسلمين كفايتهم مجاهداً؟ أليس المهندس يصنع لهم عزتهم مجاهداً؟ أليست الأم تنبت المجاهدين مجاهِدة؟ أليس الطبيب يداوي جروحهم ليكملوا جهادهم مجاهداً؟ أليس من يطعم المجاهدين مجاهداً؟ أليس من يُسهم في علم أو تعليم أو صناعة أو اقتصاد أو إعلام أو قوت لكل هؤلاء المجاهدين مجاهداً؟ وكلٌّ بهمته ونصيبه!

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٥٣].



لا تبرحوا جبل المقاطعة



د. رغد الجاجي

أمين سر لجنة المرأة بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

في خضم كل هذا الضعف والهوان الذي تشهده أمتنا منذ عقود، وفي ظل معاناتها من ظلم حكامها وجورهم، وفي حين نشهد مجازر تحدث على مرأى ومسمع من العالم، ونشهد تخاذل الحكام والقادة، وتغرق نسبة لا بأس بها من الشعوب الإسلامية في اللهو والملذات غافلةً لاهيةً عن دورها الأساسي، في ظل ذلك كله تأتي أحداث غزة لتنقلنا إلى واقع آخر وتغير حالنا كليًّا، حالة تتوحد فيها المشاعر والدعاء، والجهود الداعية للإسهام بشيء ما في معركة الحق والباطل، تلك المعركة التي

انتظرنا طويلاً أن يقودها حكامنا وقادتنا، ثم تبين لنا أنهم لم يقوموا بأكثر مما قام به أصغر فرد لا يملك من أمره شيئاً، ألا وهو الشجب والاستنكار. ولن ينتقل فرد في مثل هذه الظروف إلى حال أفضل مما كان عليه إلا إن أراد الله به الخير، فلينظر كل منا إلى مقامه وما هو عليه.



يحار المرء فيما يرى ويسمع، وتتأرجح مشاعرنا مضطربةً بين الألم والقهر الشديدين، فقصص الشهداء وذويهم المكلومين التي نراها ونسمعها على الشاشات، تدمي القلب وتذيبه ولو كان حجرًا صلدًا. وفي مواطن أخرى ننتشي طربًا وفخرًا وعزًا بما يحققه أبطال المقاومة على الأرض، وبما يُرهِبون به عدو الله وعدوهم، بعتاد بسيط وعدة محلية، وهم الشعب المحاصر في بقعة مباركة من هذه الأرض التي ضاقت عليهم بما رحبت.

وإن مما يبشر بالخير أن جهود الأمة بدأت تتوحد من أجل التكاتف والتعاضد وتعريف العالم بما يحدث، والنشر عنه بمختلف اللغات الحية، ولفت أنظار العالم إلى الإبادة الجماعية التي تحصل الآن، لكن هذا وحده لا يكفي بالتأكيد. وإن الناس درجات، وشرائح، وطبقات، فمنهم من يجاهد بنفسه ويضحي بدمائه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله، ومنهم من يصلح للعلم والتعليم والتثقيف، ومنهم من يصلح لمقاومة الاحتلال بصوته وكلمته، ومنهم من يصلحه الجهاد بالمال من خلال بذله لمساعدة المرابطين على الجبهات، وتعزيز صمود الصابرين معهم، وكل هذا مطلوب والحاجة إليه مُلحّة. وهناك مَن لفت الأنظار في السنوات السابقة إلى سلاح مهم، ألا وهو المقاطعة الاقتصادية لبضائع العدو وداعميه، وتعريف الناس بأهمية هذه

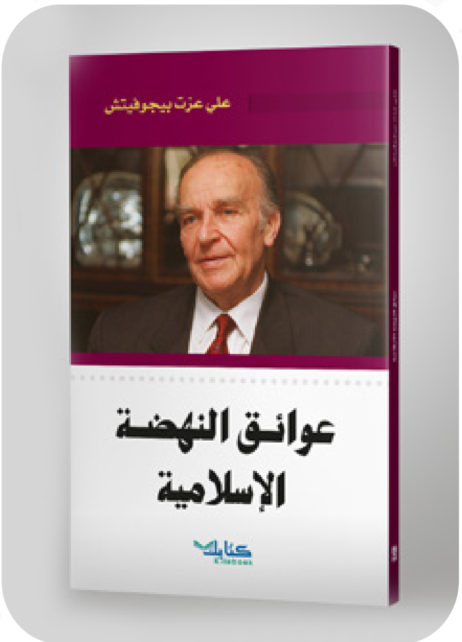
الطريقة لوقف آلة قتله التي يُغذيها المحتل من أموالنا واستهلاكنا، ولعمري إن نهضة الأمة لآتية من هذا الباب، فعلى هذه الجبهة تدور حرب لا تقل ضراوة وأهمية عن الحرب الدائرة هناك في غزة العزة.



ففي حين كان أحد الأفراد يفخر ويزهو على أقرانه بأنه يرتدي من الماركة الفلانية، أو يأكل من المطعم الفلاني، انقلبت الآية، ويا للعجب، أصبح يتوارى خجلًا أن يُظهر هذا للعلن، وكأنه ارتكب جريمة كبرى، وهي كذلك بالفعل! فأموالنا تتولى تشغيل معامل القتل الإجرامية التي تستهدفنا يومياً، وحين تتوقف هذه الآلة التشغيلية للمجرمين والقتلة سيتوقف معها بالتأكيد قتلنا، أو على الأقل ستضعف أو تتراجع عملية التمويل والاستهداف. قد يظن بعضهم أن المقاطعة ترَف، وأن المقاطعة سلاح الضعفاء، وأن المقاطعة لا أثر لها ولا تأثير، ولو كان هذا صحيحًا لما رأينا تراجع كبار الرؤساء والقادة والشركات عن أخطائهم، إن كان بالتطاول على نبي الإسلام ﷺ، وعلى مقدساتنا الإسلامية، أو على دعم الكيان الصهيوني، لقد رأينا تراجع الشركات عن هذا الدعم وتبريراتهم المقنعة أو غير المقنعة، لكنها تصب في النهاية بخانة شعورهم بالخطر من تبعات هذه المقاطعة وكلفتها على بضائعهم وعلى مستقبلهم.

إن من إيجابيات هذه المقاطعة تعزيز العلاقات بين الدول العربية والإسلامية التي تنتج بضائع بديلة، حيث تميل الكفة لصالح المنتوجات العربية والإسلامية، حين يُقبل الأفراد على شرائها واقتنائها، وإن للمقاطعة دورًا رائعًا في تعزيز الهُوية الإسلامية، وهي من أهم ما يعزز قيم الاعتماد على النفس

والذات، وينهض بهذه الأمة لتصنع نسيجها، وتزرع طعامها بنفسها، فتأكل وتلبس مما تنتجه أيدي أبنائها، وهو ما يعزز الثقة بالنفس، والاعتزاز بالهُوية لدى الجيل الجديد، ويدفعه للتخلي عن كل ما يأتي من طرف أعدائنا المجرمين الذي أمعنوا في قتلنا وتعذيبنا ومن أموالنا طيلة عقود. وهو ما يجعل أمر الأمة بيدها في نهاية المطاف، فتصبح قادرة على التحرر من ربقة الظلم والاستعباد، وتفرض شروطها على الأمم الأخرى، وتعود لسابق عهدها في السيادة وعلو اليد.



يقول علي عزت بيجوفتش في كتابه (عوائق النهضة الإسلامية): «ظهر الإسلام سنة ٦١٠م بين قبائل جاهلة بعيدًا عن حواضر شعوب الحضارات القائمة آنذاك، وانتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى سنة ٦٣٢م، ولكن بعد مرور مئة سنة فقط وقفت الجيوش الإسلامية تحت أسوار باريس في معركة بويتيرسا سنة ٧٣٢م، فلنتأمل بركان الحياة هذا ولننظر إلى ما جرى في هذه الوثبة العملاقة في غضون مئة عام فقط».

إن المعركة الآن تكمن في وعينا بأهمية الدور المنوط بنا، فكل منا يملك سلاحًا لا يستهان به، وعليه أن يبذل في سبيله كل ما يستطيع. لقد سبق ورأينا في الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ قيمة هذه المقاطعة وجدواها في مواجهة كل من أساء إلى نبينا ﷺ وأزواجه وأهله وأصحابه، فمن جهة عززت التعريف بنبي الإسلام ﷺ، وبهذا الدين العظيم، ومن جهة أخرى عرّت شانئي هذا الدين، ومعه كله تسابق المسلمين إلى الدفاع عن نبيهم، وهو ما عزز انتماءهم واعتزازهم بهُويتهم الإسلامية، وهو أكثر ما نفتقده في حالة الاغتراب والاستلاب التي تعاني منها الأمة في هذه الأيام.

وإذا كنا قد فقدنا أملنا من الحكام وأصحاب القرار أن يقوموا بما يمليه عليهم واجبهم في هذه الحرب، فإن سلاح المقاطعة يبدأ من الأفراد، ولا ينتظر تفاعل الحكام ولا موافقتهم. وبرأيي أن أهم مَن يحمل مسؤولية المقاطعة في الأسرة المسلمة هي المرأة، فهي في الغالب مَن يتولى مهمة شراء لوازم البيت والأسرة، أو يحدد الأنواع المطلوبة، وهي التي تربي أبناءها على معاني العزة والشرف والإباء والكرامة، وهي التي عليها أن تدفع بهم لاختيار منتجات لا يعود ريعها لأعدائنا، وتذكرهم في كل مناسبة أن الحرب والمقاومة لا تكون بالدماء فحسب، وأن علينا أن نتعلم ونتعلم، ونطور من مهاراتنا كي نبني مجدًا لهذه الأمة، ونطور ما نصنع، ونكتفي به، بدلًا من اللهاث وراء منتجات الغرب واقتناء ما يجعلنا نتشبه به، ونقلده تقليدًا أعمى.



وختامًا.. أذكر كل صاحب إنتاج محلي في بلداننا الإسلامية، بأن حفاظك على مستوى جودة منتجاتك، وتطويرك إياها، لهو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، وإنك مسؤول أمام الله عن النهضة بأمتك في ثغرك هذا، فاحذر أن يجرك الطمع إلى ما لا تحمد عقباه، وانوِ احتساب عملك وإتقانك خالصًا لوجهه الكريم، وتأكد أن الله لا يضيع أجر مَن أحسن عملًا.



نكوص الأمة عن نصرة أهل غزة
عجز أم تواطؤ وخيانة؟



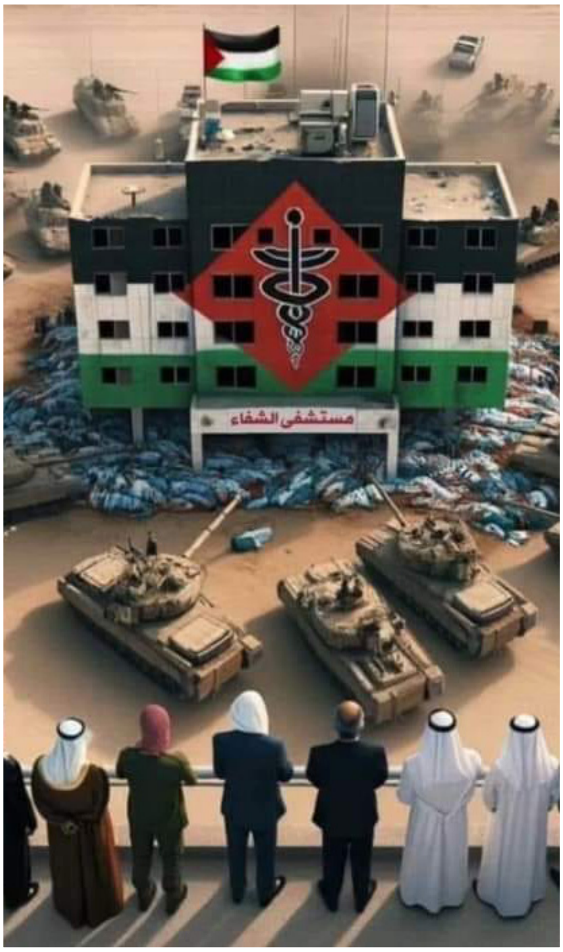
الشيخ حسين عبد العال

عضو الأمانة العامة للهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

أكثر من خمسين يوماً يومًا مرت على أعظم معركة في السنوات الأخيرة، حيث لا مقارنة بين العدو المُتَتَرِس بسلاحه وعتاده وعدته، ومن خلفه جُلُ الدول العظمى (أمريكا- بريطانيا- فرنسا- ألمانيا- إيطاليا) وغيرهم من الدول التابعة لهم، البحر ممتلئ ببوارجهم وسفنهم الحربية، والجو ملغم بطائراتهم التي تنطلق من كل قواعدهم الحربية في المنطقة، فضلًا عن مليارات الدولارات التي تنهال عليهم من كل الشركات الداعمة التي ابتزت أموال المسلمين وغيرهم، لتجعلها في جعبة الصهيونية العالمية لقتل أطفال المسلمين ونسائهم. كل هؤلاء بهذا العتاد وتلك العدة مقابل حفنة من الجنود في

غزة، لا يمتلكون إلا القليل من السلاح والعتاد والعدة، لا مكان يؤويهم إلا الخنادق والأنفاق، دمرت منازل أهلهم وذويهم، وقتل الآلاف من أبنائهم ونسائهم، دمرت مساجدهم ومستشفياتهم ومدارسهم على مرأى ومسمع من العالم الحر وجمعيات حقوق الإنسان والمرأة والطفل، ومجلس الأمن والأمم المتحدة.

وعلى مرأى ومسمع من ملياري مسلم يتابعون بشغف أمام شاشات التلفاز وعلى صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، ولا يملكون لإخوانهم في غزة حولًا ولا قوة، سوى الدعوات بنصر الله تعالى لإخوانهم المؤمنين. ولكن العجب العجاب هو حال وموقف حكامنا الأشاوس! الذين أعدوا أكبر الجيوش واشْتَرَوْا الكثير والكثير من الأسلحة، والذين يهددون جيرانهم ويقولون «مسافة السكة» ويستأسدون بجيوشهم على شعوبهم قتلًا وسجنًا وإذلالًا.



والسؤال المحير: تُرى لماذا هذا النكوص من الحكام عن نصرة أهل غزة؟!

هل لأنهم لا يفهمون أن نصرة أهل غزة واجب عليهم من الناحية الدينية والأخلاقية والإنسانية والسياسية؟!

أم لأنهم عاجزون عن تقديم يد العون لإخوانهم في الإسلام والعروبة والجوار؟!

أم لأنهم يروق لهم ذلك ولذا لا يريدون التحرك الإيجابي نهائيًا لنصرتهم؟!

أم لأنهم متواطئون وخونة ومنافقون يوالون اليهود على حساب الأمة، ولذا يمنعون شعوبهم من مجرد المشاركة في المعركة ولو بمجرد الشعور أو النفقة أو حتى الدعاء لأهل غزة؟! بل ويُحكِمون الحصار على أهل غزة أشد من حصار اليهود عليهم! بعض الناس يصف هذا بالعجز، أي أن الحكام عاجزون عن نصرة أهل غزة.



والبعض يقول: إن بين الدول اتفاقات ولابد أن تُحترم ولو على حساب المسلمين. وآخر يقول: بيننا وبين اليهود معاهدات وما العمل فيها؟ وبلادنا كيف تنقض الاتفاقات؟ وكأن اليهود أوفوا بعهد واحد من عهودهم واتفاقاتهم! فما بالنا نحن المسلمين نعجز عن تسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية، التي سماها الله عز وجل بها، إن قومًا جاؤوا لرسول الله ﷺ يشهدون له بالرسالة والنبوة، ومع شهادتهم هذه سماهم الله عز وجل بالمنافقين، بل وأنزل في حقهم سورة كاملة تسمى سورة المنافقون.

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ * سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ * هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ

مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [المنافقون: ١ – ٨] مع كونهم جاؤوا يشهدون له بالرسالة بأعلى أصواتهم.

أما نحن اليوم فنرى الخيانة والنفاق جهارًا نهارًا، عيانًا بيانًا ونعجز حتى عن تسمية المنافق منافقًا والخائن خائنًا. وإن ما حدث أمام أعيننا فيما يسمى زورًا بـ«القمة العربية الإسلامية» والتي ليتها ما عُقدت، فقد كانت قمة «طارئة» بعد خمسة أسابيع من تدمير متواصل لأهلنا في غزة، «طارئة» بعد مقتل أحد عشر ألفاً من الأطفال والنساء والرجال (المدنيين العزل)، وبعد جرح ما لا يقل عن ثلاثين ألفاً، فضلاً عن الدمار الذي لحق كل شيء بغزة. أليس هذا خيانة ونفاقًا؟! وقلنا: لعلها وإن جاءت متأخرة ربما تدرك ما تبقى من رمق أخير.



ولكنها وللأسف الشديد جاءت لتعطي المحتل شرعية الإجهاز على البقية الباقية من غزة، وتقول بخيانتها ونفاقها الواضح للعدو: افعل ما شئت فنحن حراسك في الميدان. أليست هذه خيانة واضحة؟! فلماذا نعجز نحن عن تسميتها خيانة؟! أليس هذا نفاقًا ظاهرًا عمليًا وقوليًا؟! فلماذا نعجز نحن عن تسميته نفاقًا كما سماه الله عز وجل؟! (لا أقصد جميع الحكام فبعضهم ما زال به رمق).

•• قمة تحرك لها خُشب مُسندة من الشرق والغرب والشمال والجنوب، وتُنفق عليها الملايين الباهظة لتنقلاتهم وموائدهم وفاخر لباسهم، في وقت لا يجد أهل غزة فيه شربة ماء ولا لقمة خبز يأكلونها، ويدّعون زورًا أنهم تجمعوا لحل مشكلة غزة، والحقيقة أنهم تجمعوا لنهش لحوم أهل غزة ولإراقة دمائهم. أليس هذا خيانة ونفاقًا؟!



•• «قمة» حكام بلاد تمتلك النيل والفرات ودجلة، وتتسع من المحيط للخليج، وتعجز أن توصل المياه للأطفال الذين يموتون عطشًا على مرأى ومسمع منهم، ولا أن يوصلوا لقمة خبز ولا قطعة قماش لامرأة عفيفة لا تجد ما تلبسه لتحتجب عن عالم الظلم والطغيان والقهر والجبروت والخسة والنذالة والسفه والفجور والنفاق والكفر و... إلى آخر الألفاظ التي يعف عن ذكرها اللسان. أليس هذا خيانة ونفاقًا؟!

•• «قمة» حكام نهبوا ثرواتنا وأخذوا أموالنا وجمعوا خيرات بلادنا وسلموها جهارًا نهارًا لعدونا هذا، أي والله لعدونا هذا الذي يقتل أطفالنا وهو يخرج لنا لسانه ويقول: افعلوا ما بدا لكم فرجال «القمة» معي يحمونني ويمدونني بما أريد. أليس هذا خيانة ونفاقًا؟!

•• **قمة حكام بلاد هي هي التي تمد العدو بالوقود..** كل أنواع الوقود.. وتقف خائنة ومنافقة لا تقوى على أن تتخذ قراراً بوقف مؤقت لتصديره لهم وهي تعلم أن هذا وحده كافٍ لوقف الدمار والنار واللهيب عن أهل غزة الشرفاء الأطهار. أليس هذا خيانة ونفاقًا؟!

قمة حكام بلاد فتحت أرضها وسماءها وبحارها وأنهارها لعدو يرتع فيها ليل نهار بل ويقيم فيها قواعده العسكرية التي تنطلق منها طائرات العدو لإبادة أهل غزة، أي والله تنطلق من أرضنا وتحت سمائنا طائرات تقتل إخواننا، والقمة تقف خائنة ومنافقة تعجز أن تتخذ قراراً بوقف مؤقت لخروج الطائرات من تلك القواعد. أليس هذا خيانة ونفاقًا؟!

يجتمعون ويتحدثون في مكلمة عظيمة ويقررون ويختلفون ويقومون ويرجعون، ثم يقولون لك كان هناك قرار بكذا لكن عارضته دولة كذا وكذا، لماذا لا تقولون: ونافقت دولة كذا وخانت دولة كذا بمعارضتها القرار، ثم تتخذون قراراً بإبعادها عنكم لخيانتها تنقية لصفكم لعلكم تستطيعون يوماً ما تقرير قرار وإن كنتم لا تستطيعون تنفيذه. أليس هذا خيانة ونفاقًا؟! ليتكم ما اجتمعتم ليتكم هلكتم وأرحتم الأمة من نفاقكم وخياناتكم! فتلك والله هي الخيانة بعينها، ست وخمسون دولة تملأ السمع والبصر عاجزون عن قرار لإدخال المساعدات ووقف الحرب، إنها الخيانة والنفاق ولا توصيف لها غير ذلك.

أما أنتم يا أبطال أمتنا يا أهل غزة..



فوالله إنكم لفي غِنى عن كل هؤلاء الخونة، وعن كل المنافقين من أصحاب الحُكم أو من أصحاب العمائم واللحى الذين يتشدقون بقول الله والرسول، والله بريء منهم ورسوله بريء منهم، أولئك الذين يزينون للحكام نفاقهم وخيانتهم، أولئك الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم، فهم شر من دب على الأرض،

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

ونحن رغم الخيانة والتواطؤ والنفاق من قِبل الحكام لنعلم علم اليقين أننا منتصرون، منتصرون بوعد الله تعالى، وأن هؤلاء الحكام سينقشعون كما ينقشع الزبد من فوق الماء، وأنهم عاجلًا بإذن الله إلى زوال، فقد دارت عجلة الجهاد، وسوف يزول كفيلهم الذي ارتكنوا إليه من دون الله تعالى، وأن هؤلاء الحكام الخونة لابد أن يرحلوا عن بلادنا غير مأسوف عليهم كما سيرحل معهم كفيلهم الملعون، وصدق الشاعر في وصفهم وهم يرتكنون إلى وهم وسراب حين قال:



ولسوف تعلم حين ينقشع الغبار •• أفرس كان تحتك أم حمار

اللهم خلصنا من كل المنافقين حكامًا كانوا أو محكومين، وأنزل اللهم نصرك المبين، علينا وعلى عبادك المجاهدين، اللهم آمين يارب العالمين.



ولَيَقذفنّ في قلوبكم الوهْن



الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الأمة المحمدية آخر الأمم، اصطفاها الله سبحانه واختارها لتكون حاملة الرسالة الخاتمة، وهذه الخيرية نوّه بها الكريم المتعال فقال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي تفسير الآية: «أَنْتُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ»[١].

---

١ رواه الترمذي (٣٠٠١) وحسّنه.

فالأمة المحمدية رسالتها إيمان بالله وبرسوله، إيمانٌ تتجذّر عروقه في القلب يقيناً واطمئناناً، وعلى اللّسان قولاً وبرهاناً، وبالأعمال سرًّا وإعلاناً، وأجلّ تلك الأعمال تطهير المجتمع من رذيلة المنكرات، وإعلاء كلمة المعروف حتى تكون هي العليا، فإن تحقّق ذلك استحقت الخيرية، وإلّا كانت كما قال الله في بني إسرائيل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

فأمّتنا عندما تخلّت عن رسالتها الكونية، وتركت الجهاد في سبيل الله تعالى أصابها الوهن، وتسلل إليها التواني والعجز، وطمع فيها القريب والبعيد وزادتها معاول الهدم من الداخل والخارج فتركتها تجثو على ركبتيها، فتكاثرت عليها سكاكين الغدر والتدمير، فعَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[٢].

بداية الانحراف عن الرّسالة سياسياً في الأمة



لقد أخبر الصادق المصدوق أن الأمة ستمر بخمس مراحل سياسية، أولها نبوة ورحمة، وقد شهدت الأمّة بعض تلك المراحل من تلك النبوءة، فعاشت مرحلة النّبوّة والخلافة الرّاشدة فتمدّدت أطرافها، وصلب عودها وثبت عمودها، ثم جاءت

٢ رواه أبوداود (٤٢٩٧)، وصحّحه الألباني.

المرحلة الثالثة وما إن بدأت الخلافة الأموية حتَّى ظهرت الانحرافات السّياسية التّي كانت في الصّدر الأوّل، وذلك بعد انتهاء إمارة معاوية رضي الله عنه، ولا زالت تتسع تارة وتضيق أخرى حتى وهنت بفعل العوامل التي ذكرناها فامتدّت إليها سكاكين التمزيق والاستعمار وكان ذلك بنهاية سقوط الخلافة العثمانيّة.



فقد روى الإمام أحمد عَنِ حُذَيْفَةُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يرفعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يرفعَها، ثُم تَكُونُ خِلافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّة، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يرفعُها إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يرفعَها، ثُم تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يرفعَها، ثُم تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يرفعُها إِذَا شَاءَ أَنْ يرفعَها، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نبوَّة»[٣].

ويجب التّنبه على أنّ هذه المراحل من حيث الجملة؛ وإلّا فقد يتخلّلها في فترات وأماكن تولي أهل العدل والرحمة، كحال معاوية رضي الله عنه، فإنه كان ملكاً إلا أنه كان ذا رحمة وحلم وتقوى، وكحال عهد عمر بن عبدالعزيز، فقد عدّ خليفة راشداً، وهكذا فبين فترة وأخرى يظهر عادل ينفس به عن النّاس.

كما فسّر أهل العلم عموم حديث الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ

٣ مسند أحمد (٣٠/ ٣٥٥)، بإسناد حسن.



نَبِيِّكُمْ ﷺ»[٤]. قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: وفيه: «ثمّ يكون ملك عضوض» أي يصيب الرّعية فيه عسف وظلم، كأنهم يُعَضّون فيه عضاً. والعَضوض: من أبنية المبالغة»[٥].

وهذا ما وقع في حكم الملوك بعد الخلافة الراشدة، حيث وقعت مظالم وعسف كحال زمن الحجّاج، فمرّ على الأمة جملة من الملوك على تلك الحال، مع مراعاتهم أحكام الشرع في الجملة، إلا أنهم راعوا هيبة ملكهم بأساليب ألحقوا بها ظلماً بالناس، ثم بعد هذا يزداد الظلم فيكون عتو وقهر وتجبر، حيث تكون الولاية: «مُلْكًا جَبْرِيَّةً». قال ابن الأثير رحمه الله تعالى: والحديث الآخر: «ثم يكون ملك وجبروت» أي: عتو وقهر. يقال: جبار بين الجَبَرُوَّةِ، والجَبَرِيَّة، والجَبَرُوتِ»[٦]، وهذا واقعنا الأليم الذي نعيشه اليوم، حيث تقع الأمَّة تحت حكمٍ استبداديٍّ ظالم تعسفيّ، لا يقيم للشّورى إلّا اسمها، ولا للحريّة إلّا رسمها، ولا للعدالة إلّا لفظها، فوقع الظّلم حتّى للألفاظ فوضعت في غير موضعها.

إن أمة أصابها الوهن وركنت للظالم فساسها بالعسف لأمة تحتاج إلى إنقاذ، وإنَّ أمّة سكتت عن الظلم فقد تُودع منها، كما جاء في الحديث فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ»[٧].

---

٤ رواه البخاري (٧٠٦٨).

٥ النهاية في غريب الحديث، (٣/٢٥٣).

٦ النهاية في غريب الحديث، (١/٢٣٦).

٧ رواه أحمد (٦٥٢١).

أمراض الأمة



- إنّ أمراض الأمّة كثيرة ومتنوعة، وأخطر مرض وسرطان فيها هم أولئك الساسة الذين استولوا على السّلطة بالحديد والنّار، وسواء كانوا من صناعة العدو الخارجي أو كانوا من الذين تواصوا بالطّغيان، لأنّ السّلطان إذا صلح صلح النّاس وإذا فسد فسد أكثر النّاس، وقد قيل «كما تكونوا يُولَّى عليكم». وأثر عن سيّدنا عثمان رضي الله عنه: «إنّ الله يزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن»[٨].

- وأمّا المرض الثاني فهو بعد الأمّة عن مصادر الوحي، ممّا ترتّب عليه فراغ روحيّ، أبعدها عن الجدّ والرقي الكمالي إلى معارج البناء الحضاري، والجمال الرّوحي، وأقعدها عن الجهاد؛ بل صارت بعض البلاد تحارب كلّ بصيصة أمل تريد إخراج الأمة من تبعيتها، وتجعلها أمة ذات رسالة وعزة وكرامة.

- وأما المرض الثالث فهو انتشار الفرق الضالة من صوفية منحرفة، وأخرى باطنية، زيادة على الغزو الفكري من مستشرقين وعلمانيين وملاحدة وحداثيين، فأفسدوا ما تبقّى من دور للتّعليم الأصلي، فتفشّى الجهل، وكثرت الخرافات، ومع ذلك لا يزال في الأمة خير كلما وجدت من يناديها بصوت العمل والجد، والنصيحة الصادقة فتُظهر تأييده وتقف بجانبه على قدر طاقتها وما هو مسموح به في حدود فعلها.

---

٨ الدر المنثور، (٤/ ٩٩).

طوفان الأقصى وتردداته

في غزة العزة استيقظ العالم ذات يوم على هدير طوفان زعزع أركان دولة باغية محتلة، كانت مع السبق والإصرار أصلاً تريد تهجير البقية الباقية من أعزة المسلمين في غزة والتي أصابهم منها صداع رغم كل المكائد والحصار، وتحريش القريب والبعيد على أهل تلك القطعة التي لا تكاد تتنفس لضيقها بأهلها، ولكن ربَّ ظالم جعل مصرعه على يد أضعف مخلوق، فكيف إذا كان هذا المخلوق قد تسلَّح بأعظم سلاح وهو الإيمان، وكان عدوّه قد جلب أعتى الأسلحة، وحينئذ لزم على الأول أن يعد العدة قدر المستطاع ثم يترك الباقي بعد التوكل على الله سبحانه.

اهتزَّ العالم المهتزّ عن قيمه وأخلاقه وإنسانيته، بعدما رأى تلك الثلَّة المؤمنة القرءانيّة تريد تحقيق موعود الله، وأصابها الوجع فثارت وطارت تؤازر احتلالاً غاصباً، وشعباً تجمّع من الآفاق عديم الأخلاق، ولكن المؤلم هو ليس الأعداء الكفار فهذا شأنهم في تفكيك الأمة ومحاربتها ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١]، ولكن العجب فيمن ارتدّ عن الدين ولا يزال يلبس عباءته ويدلس على الأمة باسم الدين، من ولاة وعلماء زور، فهؤلاء أخطر عليها من العدو الخارجي.



- علاج الوهن: إن أعظم علاج ينبغي أن يتنادى به المصلحون هو أن تُدعى الأمة من قبل الصادقين للجهاد بكل أنواعه، قولاً باللسان، وجهاداً بالمال

والسنان، فهو العلاج النافع الذي سوف يزيل هذا الظلام الحالك، وينير فجر الدين، ويعيد العزة لهذا الدين ويمكّن المؤمنين، لأن النبي ﷺ بيّن ذلك فقال: «إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه شيء، حتى ترجعوا إلى دينكم»[٩].

لقد كان مع أيوب رضي الله عنه في فتح القسطنطينية أناس فهموا ظواهر الآيات على غير حقيقتها فردّهم إلى الفهم الصحيح ولم يؤخر البيان لأنه وقت جهاد واستبسال وطعن في نحور الأنذال، فعَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ، قَالَ: كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ. فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا، وَتَرْكَنَا الغَزْوَ». فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ»[١٠].

فانغماس الأمة في الدنيا وشهواتها باعث على التّخلّي عن إقامة الدّين، ورفع علَم الجهاد من أهم سبل النّهوض بها، وقد يكون ما وقع في أفغانستان وفلسطين إحدى الملهمات التي اشرأبت لها كثير من أعناق الشباب والشيوخ والصبيان الذين وجدوا رائحة العزة رغم الجراح المؤلمة والضربات الموجعة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.

---

٩ أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، وأحمد (٤٨٢٥).

١٠ سنن الترمذي (٢٩٧٢)، وقال: حسن صحيح غريب.



حرب غزة

والغثائية التي أصابت الأمة الإسلامية



بادية شكاط

كاتبة من الجزائر

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ورسولنا محمد وعلى آله وبعد:

يقول الجابري في كتابه (بنية العقل العربي): «إن ما ننشده اليوم من تحديث للعقل العربي وتجديد للفكر الإسلامي يتوقف ليس فقط على مدى استيعابنا للمكتسبات العلمية والمنهجية المعاصرة، مكتسبات القرن العشرين وما بعده، بل أيضاً -ولربما بالدرجة الأولى- يتوقف على مدى قدرتنا على استعادة نقدية ابن حزم وعقلانية ابن رشد وأصولية الشاطبي وتأريخية ابن خلدون».

إننا بالفعل بحاجة لوقفة تأمل في الفكر العربي، لأن الفكر برأينا هو الذي يقود الشعوب إما إلى دنيا تصيبها أو إلى دناءة تصاب بها، فما يحصل من انفعالات لا تكاد تتجاوز الحناجر لأجل مأساة غزة لهو أمر يندى له الجبين، وهو الخذلان مهما تطاولت الأعناق على المنابر أو تعالت صيحات الحناجر، فالحماس الذي شهدناه بفوز في مباريات لكرة القدم لهو أشد حماساً من دعم المقاومة الفلسطينية حماس، بل هناك من فرط تثبيطهم لعزائم مقاومة تقاوم عن جميع الأمة، بأنها المقاومة التي لن تخرِق جدارًا أو تحرِق ستارًا. فمتى نكف عن هذا التضعضع والتثاقل إلى الأرض، ونصنع بالفعل الفارق بأفعالنا لا بأقوالنا؟



متى نكف عن البقاء ككوب معلَّق في الفضاء، غايتنا أن ندور كي نقتبس من غيرنا قبسًا من نور؟ لماذا هذه الازدواجية الطفولية في الهوية؟ ولماذا هذا التناقض العقلي أو بالأحرى التناقض الفكري؟ فهنا لا نقصد بطرحنا نظرية هوية العقل في فيزيائية فلسفة العقل التي طورها كل من جون سمارت ويولين بليس، فإذا كانت هويتنا هي أننا أمة إسلامية، فكيف يمكن أن تكون أمتنا إسلامية ثم يرسم غيرنا لنا وجهتنا السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بعيداً عن إسلامنا؟

متى نفهم أنه من المستحيل الانسلاخ من هويتنا، فالأفعى مهما حاولت الانسلاخ من جلدتها فلن تجد نفسها إلا وهي تجددها؟ فإذا كان الماء لا يمكنه أن يكون ماء وناراً في الوقت نفسه، فإنه لا يملك غير ذاته هوية، فكيف يمكن أن نكون أمة الإسلام وأمة بغير إسلام في الوقت ذاته؟ كيف وديننا دين السلام نذعن لدول الإرهاب بأننا أمة الإرهاب، بل ونعقد اتفاقيات دولية لتصنيف مقاوماتنا الإسلامية بأنها

إرهابية؟ فليخبرنا حكام دولنا، هل ما عقدوه من اتفاقيات هي عقود انقياد أم عقود اعتقاد؟ فإن كانت عقود انقياد فهم ليسوا أهلاً لقيادة شعوب إسلامية، وإن كانت عقود اعتقاد فهم في الأساس لا ينتمون إلى تلك الشعوب الإسلامية.

فقبولنا بمثل هذه التبعية قد حوّلنا بالفعل إلى ظلال خاوية من الأجساد والأرواح، فلا نحن جسد واحد متماسك في جغرافيته، ولا نحن روح واحدة متمسكة بهويتها، والمؤسف أننا أطلقنا ثوراتنا العربية رفضاً لظلم واستبداد حكام دولنا، ثم توقف حراكنا لمجرد إدراكنا أن هناك نظاماً عالمياً متحكماً برقابنا، فسكنت جميع حركاتنا ورضينا باستكانتنا، في الوقت الذي ينبغي أن نستغل لحظة تهاوي هذا النظام وحراك كل شعوب العالم ضده، وهو يراه يقف موقف المتفرج لما يقع من إجرام ووحشية ضد المدنيين المستضعفين في غزة، نحن للأسف ما زلنا متعلقين بأهداب التبعية وخرجنا نستغيث بأدوات هذا النظام الدولي الوحشي



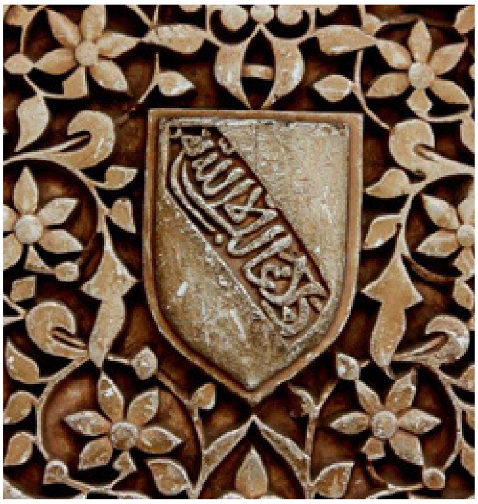
الهش، لنطلب الأمن من مجلس الأمن، ولا نعلم بأي مجلس أمن يستغيث المستغيثون؟ هل بأمريكا التي تدعم الكيان الصهيوني وتمده بأفظع الأسلحة؟ أم ببريطانيا صاحبة وعد بلفور الذي منح فلسطين للصهاينة؟ أم بروسيا التي أبادت المسلمين في سوريا؟ أم بالصين التي أبادت مسلمي الإيغور؟ أم بفرنسا التي أبادت المسلمين في الجزائر وما زالت الى الآن تتفاخر بجماجمهم مصفوفة في متحف تدعوه (متحف الإنسان)؟

بمن يا ترى يستغيثون؟ بنظام أثبت وحشيته وهو يكتفي بإلقاء البيانات والإدانات، بينما آلاف الأطفال إما أيتاماً مشردين في الشوارع أو ملاجئ لا تحسن أن تأويهم، أو مدارس لم يتعلموا فيها بعد أسباب هذه الشرور التي تحيط بهم، أو مصابين في مستشفيات تتنزل عليهم القنابل فيها لتحرق أجسادهم الضعيفة من غير ذنب اقترفوه أو عدو عرفوه؟ ففي الوقت الذي ينبغي فيه أن نحتشد خلف طوفان الأقصى كطوفان هادر لكسر هيمنة نظام دولي حكمنا بالحديد والنار، واستبد بالرأي والقرار، وسلب مقدرات شعوبنا، وأقام قواعد بقائه على إفناء دولنا، وسلب سيادتنا، نحن للأسف ما زلنا نسبّح بحمده، ونستنجد به ليرحمنا، ثم نستحي حتى أن نقول لا لمن يحكموننا، ونحن نعلم أنهم أذرع من أذرع ذلك النظام ليتحكموا في رقاب شعوبنا، فكيف نقبل بحكمهم وهم يطبّعون مع أعدائنا، ولا يتخذون مواقف لوقف نزيف دمائنا، وأعلى قمة يصلونها لإنقاذنا هي أن يقيموا قمة يختمونها ببيانات إدانة وتنديد؟



وقد يقول قائل: إنما نحن المستضعفين ولا حيلة لنا، والحقيقة أن حيلتنا كانت في أن توارينا خلف ضعفنا لنحجب تخاذلنا. فلماذا لا تجتمع شعوبنا على كلمة سواء ضد قتلة الأطفال والشيوخ والنساء؟ لماذا لا نبحث عن هوامش للحرية ونكف عن هذه التبعية والقناعات الانهزامية؟ فنتخذ مواقف حقيقية بمعاقبة الاحتلال الصهيوني على كل جرائم الحرب الوحشية التي اقترفها في فلسطين، بل ونعاقب كل من تطاول بلسانه أو يده على المسلمين، ونقاطعهم مقاطعة دبلوماسية واقتصادية؟ لماذا ننتظر دوماً أن يكونوا هم الفاعلين ونحن المنفعلين؟ لماذا لا نبادر بجمع الأفكار ثم الاحتشاد خلف ما اجتمعنا حوله، فإنه لن يغلب جيشًا إلا فكرة قد حان وقتها كما قال فيكتور هيجو؟

وكم نرجو أن تكون «مبادرة رحمة للعالمين لأجل غزة» المتواضعة التي أطلقتها تحت شعار «حرية، عدالة، ورحمة» من بين المبادرات التي تحقق المأمول في حشد ما نرجوه من عقول، فإنه ليحز في النفس أننا لم نعد مجرد مغلوب مولع بتقليد الغالب، كما قال العلامة ابن خلدون، بل أصبحنا مغلوباً مولعاً بفكرة أنه لن يكون أبدًا الغالب، وهذا مرض أصاب عقل الأمة الإسلامية، فأنساها ذاكرتها التاريخية، حتى نسيت جميع أمجادها الحضارية كفردوس دولتها الأندلسية التي دامت لثمانية قرون، أو الخلافة الإسلامية العثمانية التي امتدت لستة قرون، فأصبحت أمتنا تستحي من انتمائها، وترى أنه لا مناص ولا خلاص؛ فالسيادة ليست لها، والتقدم شأو بعيد عنها، والذل والمسكنة قدر بات على المسلمين محتوماً، وإن مسها من التمكين شيئاً فإنه برأيها لن يدوم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].



وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ بين يدي الساعةِ بالسَّيفِ، حتى يُعبَدَ اللهُ تعالى وحده لا شريكَ له، وجُعِل رِزْقي تحت ظِلِّ رُمْحي، وجُعِلَ الذُّلُّ والصَّغارُ على من خالفَ أمري، ومن تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم».

فمتى نعود إلى ديننا لتعود إلينا وحدتنا وعزتنا؟ ومتى تعود ضمائرنا إلى عقولنا ليعود إلينا رشاد أمرنا؟ عسى أن يكون قريباً، فالله هو النصير وعلى إحياء الموتى قدير.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾



د. رجب زكي

عضو مجلس الأمناء بالهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي ألّف بين قلوب المؤمنين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المحجلين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فيقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، ويقول رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى له سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»[١].



١ متفق عليه.



لماذا تعجز الأمة عن مد يد العون إلى أهل غزة؟ هذه الأمة كانت لها مهابة في صدور أعدائها، كان أبناؤها أهل بأس وجهاد ونفير واستشهاد، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠]. فلما عجز عدوها عن النيل منها في ميادين القتال وساحات المعارك لجأ إلى المكر والخديعة، قال تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]؛ فعمل الأعداء على تدجين الأمة واستئناسها لتكون وديعة مسالمة لا تدفع الصائل ولا ترد المعتدي، واتبعوا لتحقيق ذلك خطة متدرجة وخطوات متدحرجة، وحشدوا إمكانات هائلة وأنفقوا أموالاً طائلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

وكان العائق الأكبر والعقبة الكأداء أمام مخططات الأعداء التي تقف في وجوههم سداً منيعاً يحول بينهم وبين افتراس الأمة، هو دولة الخلافة الجامعة التي تضم تحت مظلتها الشعوب المسلمة من عرب وترك وكرد وغيرهم؛ فعملوا على هدم دولة الخلافة وإسقاطها، وتحقق لهم ذلك على يد كمال أتاتورك الذي ألغى الخلافة العثمانية، فصار المسلمون مكشوفين في العراء نهباً لكل طامع تنهشهم وتتناوشهم كلاب الأمم مستغلة تأخر المسلمين التقني في ذلك العصر ونهضة أوروبا العلمية؛ فانهالت معاول الهدم على بنيان الأمة ومزقتها الدول الاستعمارية بينها، وتحققت نبوءة الرسول ﷺ التي يقول فيها: "يُوشِكُ أن تَدَاعَى عليكم الأممُ

من كلِّ أُفقٍ، كما تَداعى الْأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها، قيل: يا رسولَ اللهِ! فمِن قِلَّةٍ يومَئذٍ؟ قال: لا، ولكنكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، يُجعَلُ الْوَهَنُ في قلوبِكم، ويُنْزَعُ الرُّعْبُ من قلوبِ عَدُوِّكم؛ لِحُبِّكُمُ الدنيا وكَرَاهِيَتِكُم الموتَ"[٢].

فلما انبعثت في الأمة روح الجهاد من جديد وأصبحت كلفة بقاء المستعمر باهظة، لجأوا إلى زرع جسم خبيث غريب يمنع من وحدة الأمة ويكون عيناً عليها هو (إسرائيل)، وقد انتفخت وانتفشت وعلت في الأرض وأوحت إلى العرب أنها لا تقهر، حتى جاءت ثلة من المجاهدين بأكناف بيت المقدس مرغت أنفها في التراب، وأحيت ذكرى انتصارات الأمة التي وطئت عرش كسرى وحطمت تاج قيصر وكسرت التتار وأذلت الصليبيين، قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك»، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[٣].



وبالتوازي مع الغزو العسكري كان هناك غزو ثقافي يعمل على استلاب الأمة من هُويتها وسلخها من دينها، وكانت أسلحته هي الاستشراق والتبشير، وقد عبثوا بمناهج التعليم، فعل ذلك اللورد كرومر في مصر، وألغوا المحاكم الشرعية، ودأبوا على نشر التغريب والانحلال والفساد ليل نهار، حتى صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وعن أبي هريرة رضي الله عنه نوع مرفوعًا: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ

٢ صحيح الجامع، رقم: ٨١٨٣.

٣ أخرجه الطبراني. قال الهيثمي في المجمع: ورجاله ثقات. والله أعلم.

غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[٤]. وفي رواية: من الغرباء؟ قال: «النُّزَّاعُ مِنَ القَبَائِلِ»[٥]. وفي رواية: الْغُرَبَاءُ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاس. وفي رواية: «طُوبَى لِلْغُرَبَاء الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»[٦]. وأخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قوم دينهم بعرَض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر». أو قال: «على الشوك»[٧].



من أين نبدأ؟

إن البداية تكون بالانسلاخ من الذنوب والانخلاع من المعاصي والتخلية من السيئات والتحلية بالطاعات، فإذا زاد منسوب الطاعة في الأمة وارتفع يُرجى حينئذ أن يتنزل النصر ويتحقق التمكين؛ يُروَى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لسعد بن أبي وقاص يوم القادسية: «يا سعد، اعلم أن ذنوب الجيش أخوف عليه من عدوه، وأننا ننتصر على عدونا بطاعتنا لله ومعصية عدونا له، فإذا استوينا في المعصية، كانت لعدونا الغلبة، بالعدد والعدة».

ومن **أعظم ثمرات طوفان الأقصى** أنه حمل كثيراً من المسرفين على أنفسهم على مفارقة الآثام التي ألفوها واجتناب السيئات التي أدمنوها والتوبة والإنابة والأوبة والرجوع إلى الاستقامة ولزوم الطاعة، حتى

---

٤ رواه مسلم.
٥ رواه أحمد من حديث ابن مسعود.
٦ أخرجه الترمذي من حديث كَثِير بن عبد الله عن أبيه عن جده.
٧ صححه الأرناؤوط، وفي رواية الترمذي: يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر. وصححه الألباني.

لا يكونوا سبباً في الخذلان وسخط ومقت الله تعالى؛ فالمجاهدون رفعوا الهمم وبثوا روح الإيمان وأحيوا فريضة القتال؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضِ فَلاَةٍ». وفي رواية: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، وَقَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[8]. وكثير من الناس يقع في أسر ذنب لا يستطيع الفكاك منه لكن قلبه ينطوي على حب الدين وأهله، ولنا في قصة أبي محجن الثقفي عبرة!

إن هذا الجيل الذي غزا (إسرائيل) في عقر دارها وقاتلها في جوف أرضها بعد أن كانت هي التي تعيث فساداً في الدول العربية وتهزم جيوشها شر هزيمة؛ قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] إنما هو ثمرة إعداد وتربية ذات نفس طويل على يد الشهيد أحمد ياسين رحمه الله وإخوانه؛ فنحن في أمس الحاجة إلى انتزاع الشباب المسلم من سيل التفاهة الذي يحيط به من كل جانب، وفتن الشبهات والشهوات التي تعصف به، وإعداد المحاضن التربوية التي تستوعبه وتغرس فيه حب الجهاد والرغبة في الاستشهاد، ومن بركات غزة أنها أعادت إلى الشباب ذكريات



٨ متفق عليه.

البطولة وأحيت فيهم حب القدوات من المجاهدين الذين يتشبه بهم أطفال المسلمين الآن ويتلثمون مثلهم، وكما رأينا سحرة فرعون آمنوا في طرفة عين، فكثير من الشباب المسلم الذي غيّبته وسائل الإعلام عاد إلى التفاعل مع القضية الفلسطينية بالمقاطعة والدعاء وغيرها.

ولذا نحتاج إلى استغلال هذا الزخم عن طريق نشر الوعي والتعريف بالمقدسات بكل الوسائل الممكنة من محاضرات ودروس وخطب وكتب ومقالات ورسائل ورسوم وشعر وأناشيد، فالمعركة الإعلامية لا تقل أهمية عن المعركة العسكرية، وهذه المعركة الإعلامية يمكن أن نكسب بها تعاطف وتأييد قطاعات عريضة من الشعوب غير المسلمة لتدعم قضيتنا ونتحالف معها كحلف الفضول، فكثير من الناس لا يزال فيه بقية من فطرة نقية تحمله على بغض الظلم ونصرة المظلوم، وقد رأينا مواقف مشرفة لدول مثل بوليفيا وتشيلي وكولومبيا، ومظاهرات حاشدة في أوروبا وأمريكا دعماً لفلسطين، خاصة من شباب الغرب لأن الشباب أقرب لقبول الحق، ويمكن أن يكون هذا مدخلاً للدعوة إلى



الإسلام وهداية الخلق إلى طريق الإيمان، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، وقال عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣].



ذُل الأمة

بتركها الجهاد



د. عمر عبد العزيز قريشي

عميد كلية الدعوة الأسبق بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فاشتراكاً مع الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ فيما تقوم به من دور تجاه القضايا الحية.. تجاه قضية القدس.. تجاه إخواننا في غزة، نجيب على السؤال الملحّ: «لماذا تعجز الأمة عن مد يد العون لغزة»؟

مع كامل الأسف ليس هناك أمة! ولو كان هناك أمة بمعنى الكلمة لما كان هناك عجز وما كان هذا الموقف المتخاذل، وهذا الضعف وتلك العمالة.. نعم، الأمة شيء غير هذا تماماً فالله عز وجل عندما وصف الأمة قال: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فخيرية الأمة ليست مجاملة بل هي خيرية مرتبطة بشروطها، فإذا ضاعت قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل وضاع الإيمان بالله -الذي هو الأصل لكل ما سواه- عُدمت الأمة خيريتها.



لكنها أُمةٌ تمرض ولا تموت -وهذا حق- وإن كان المرض شاملاً، فرغم مرضها نرى مثل هذه الطائفة المجاهدة في فلسطين بهذا الجهاد في طوفان الأقصى، ورباط المرابطين والمرابطات، فالأمة وإن مرضت في غالبها الأعم لا تموت بفضل الله عز وجل، وطوفان الأقصى أحيى في كثير من نفوس أبناء الأمة نخوة الجهاد، فتحركوا وصاروا كالنار من تحت الرماد. ولكن مكمن الضعف في هذه الأمة في حكامها الخونة العملاء، الذين حجزوا الشعوب عن مشاركة إخوانهم الجهاد، وقبل ذلك كانوا قد جرّعوهم الذل وألزموهم الاستكانة؛ فصارت الأمة كأنها ميتة مُغيبة.

فالحمد لله الذي ردّ بطوفان الأقصى إلينا حياتنا وأعاد إلينا روحنا! فقد رأينا الكثير من الشعوب المسلمة قد تفاعل مع المقاتلين في غزة تفاعلاً حقيقياً وتمنى لو فُتحت الأبواب وفتحت الحدود ليجاهد في سبيل تحقيق الأمل المنشود منذ ٧٥ عاماً، بتحرير أعز مقدساتنا بعد الحرمين.. المسجد الأقصى المبارك.

إن عجز الأمة هو بسبب حكامها.. بسبب عمالتهم.. بسبب خيانتهم.. بسبب "تطبيع" العلاقات.. هذا المصطلح السياسي والذي هو بمنطق الشرع يسمى: الولاء والبراء، وقد أوجب الله عز وجل الولاء له ولرسوله ﷺ وللمؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، مع وجوب البراء من الكافرين بصفة عامة واليهود والنصارى بصفة خاصة؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

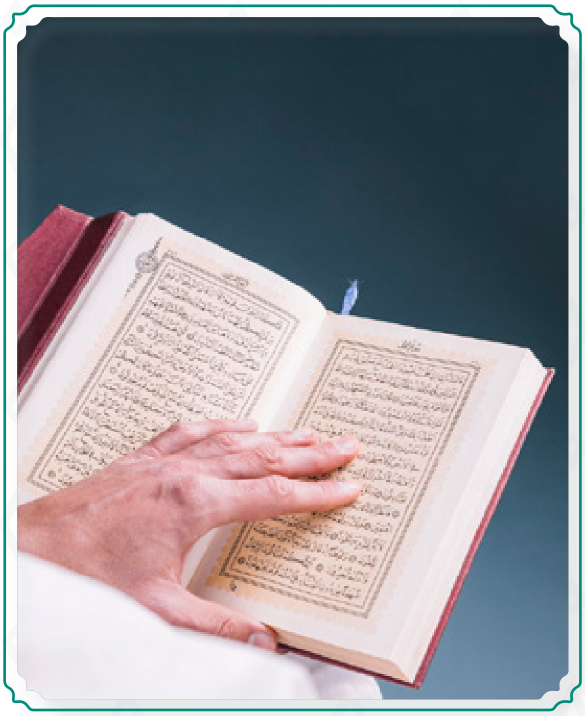
ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا



إن من أهم أسباب عجز الأمة وخورها: انصرافها عن مبدئها وبُعدها عن دينها وعن مصدر عزها، ألا وهو الجهاد؛ فما تركت أمة الجهاد إلا ذلّت، وآخر معركة بيننا وبين اليهود كانت من نصف قرن من الزمان! حرب العاشر من رمضان - السادس من أكتوبر ١٩٧٣م، يوم أن أعلن الرئيس أنور السادات -وكان رئيساً لمصر آنذاك- أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب، وكأنه بذلك يلغي فريضة الجهاد! ودخل في معاهدة (كامب ديفيد).. معاهدة

(السلام) أو بمعنى أصح: الاستسلام. فكانت النتيجة ذل الأمة، وعلى الرغم من اعتراض العرب يومها على مصر ومقاطعتهم لها، إلا أنهم بعد ذلك شرعوا في تطبيع العلاقات مع الصهاينة، وكانت البداية خفية مراعاةً لشعور الشعوب، ثم لم تعد تلك الأنظمة تستحي أو تخشى أحداً، فأصبحت المعاهدات علانية، وصارت المسألة أكبر من معاهدة، وأكثر من تطبيع، وأكثر مما هو من جنس الولاء المنهي عنه؛ فهل نسمي هذا تواطؤاً وخيانة؟ نعم!

إذن ما السبيل إلى تقوية الأمة؟



لا أقول «إلى تقوية الحكام» وإن كانت الهداية بيد الله عز وجل، ولكن أقول: السبيل إلى تقوية الأمة هو عودة الأمة إلى مصدر عزها.. عودتها إلى دينها.. عودتها إلى القرآن الذي هو مصدر عزها: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]، والشرح العملي لهذا الكتاب والمذكرة التفصيلية هي سُنة النبي ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].. العودة إلى الجهاد الذي هو سبب عز الأمة وذروة سنام الإسلام؛ فقد قال النبي ﷺ: «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد»[١]. ولتقوية الأمة لا مناص من الدعوة إلى المنهج الصحيح والمنبع الصافي، على ما كان عليه سلف الأمة، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، والذي صلح به أولها هو القرآن والسنة بمنهج سلفنا الصالح.

---

١ أخرجه مطولاً الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٢٢٠٦٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٣٩٤) واللفظ له.

على هذه الأمة أن تجاهد حكامها قبل أن تجاهد أعداءها، أن تخرُج على الخونة منهم، وعلى الكفرة منهم، الذين أنكروا شرع الله، والذين حاربوا حكم الله، ووالوا أعداء الله، وأتوا من نواقض الإيمان ما أتوا، ولا خلاف عند أهل السنة والجماعة في الخروج على الحاكم الكافر، وإن اختلفوا في الخروج على الحاكم الظالم



وقاسوه بالمصلحة والمفسدة، فإن تحققت المصلحة وانتفت المفسدة أجازوا الخروج عليه، ومنهم من أوجبه، كذلك ينبغي على الأمة بعد الخروج على هؤلاء الحكام أن تعود إلى شريعة رب الأنام الملك العلام، ثم تفكر في حرب أعدائها، لأنها متى انتصرت على نفسها، وعلى الخونة الذين يحكمونها ويثبّطونها فإنه ما أيسر أن تنتصر بفضل الله عز وجل على عدوها، كما فعل صلاح الدين الأيوبي، فقد حارب ما في الأمة من ضعف وخور وفرقة، وما كان فيهم من شيعة رافضة.

ومن أخطر الأمور على الأمة ما يصيبنا من فرقة، فالفرقة فشل، والفرقة سلاح في يد الأعداء لخصوه بقولهم: "فرّق تسُد"، فهنا لابد أن تعمل الأمة على توحيد الصف وعلى جمع الكلمة، وعلى الإعداد المعنوي والإعداد المادي، المعنوي بدأ الله عز وجل به في قوله في سورة الأنفال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن



سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٧]، وأما الإعداد المادي فهو قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فينبغي إذن أن نحول عجزنا إلى قدرة، وضعفنا إلى قوة، وينبغي على الشعوب أن تفعل شيئاً، كل منهم في مكانه، لقول النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع بلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٢]. وعلى الأمة أن تقوم بواجب الوعي وتصحيح المفاهيم، وأن تبين للناس أن ما يقع الآن لإخواننا في غزة إنما هو نوع من الخيانة، خيانة الحكام والحكومات، وأنه تواطؤ مع الأعداء، ومنهم مَن فضحه الله من الذين أرسلوا أسلحة، ومن الذين أرسلوا الدعم المادي، ومن الذين أرسلوا أشياء أخرى كالتعازي في الجنود.

ويسأل سائل إن كان الأمر خيانة وتواطؤاً، فما هو توصيفهم الشرعي؟

هؤلاء خونة وتوصيفهم الشرعي: كفار مرتدون وإن زعموا الإيمان، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء: ٦١]. فالله سماهم منافقين، وهذا نفاق الاعتقاد وليس نفاق العمل، الذي يُظهر فيه المنافق الإيمان ويبطن الكفر، وقالها بصريح اللفظ يعني باسم العلَم.

---

[٢] أخرجه مسلم (٤٩)، من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

وقال تعالى في سورة النور: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [النور: ٤٨]، وفي سورة النساء قال: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء: ٦٠-٦١]، وما ينطبق على الحكام ينطبق على الحكومات، وعلى جيوشهم وعلى شرطتهم، وعلى مخابراتهم، وعلى إعلامهم.

أما الموازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على بقائهم أو على السعي في خلعهم، فهذا متروك للسادة العلماء، كبار علمائنا، يجلسون لمثل هذه القضايا الكبيرة والأمور المصيرية ويُخرجون فيها فتوى، هم يحققون من خلال هذه الفتوى المصالح والمفاسد، ويقولون ماذا يجب على الشعوب المؤمنة أن تفعله، ولا تزال ولله الحمد هناك ثقة موجودة في المخلصين من العلماء الذين ينطقون بالحق وبه يصدعون. والقضية كبيرة ومتعددة الجوانب وموزعة الأطراف.

وفي الختام أقول: يجب علينا جميعاً أن نتناصح فيما بيننا، وأن نكون ضد الخونة والظلمة من العملاء، سواء كانوا من الأمراء أو كانوا ممن يُنسبون إلى العلماء، فقد قال نبينا ﷺ: «الدين النصيحة». قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم». وأقول ما قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، وصلّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY



دورة بيوت النبي

دورة علمية يقدمها الدكتور/ **حاتم عبدالعظيم**، تتناول الحديث عن زوجات النبي ﷺ، ونسبهن وإسلامهن، وقصة زواج النبي بكل واحدة منهن، وكذلك الحديث عن التعاملات الأسرية في بيوت النبي ﷺ، والقواعد النبوية لبناء البيت المسلم، كما تستهدف رد الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ، وبيان الغاية والحكمة من ذلك.

أهداف الدورة

- التعريف بزوجات النبي ﷺ، ونسبهن.
- التعريف بقصة زواج النبي ﷺ بكل زوجة من زوجاته.
- بيان أهم المواقف في حياة كل زوجة من زوجات النبي ﷺ.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع زوجاته.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ معه كزوج.
- بيان كيف تعاملت زوجات النبي ﷺ فيما بينهن.
- دفع الشبهات حول تعدد زوجات النبي ﷺ.

يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

بيوت النبي

16 محاضرة — 8 ساعات

كيف عاملهم

دورة علمية قدمها ثلة من العلماء المعتبرين تتناول الحديث عن أخلاق النبي ﷺ ومعاملاته مع كافة شرائح الناس، مثل تعامله مع أهل بيته، وأصحابه وأتباعه، وكذلك مع الشرائح الدعوية المختلفة، وكيف كانت أخلاقه مع مختلف أصناف البشر، وحتى مع غير البشر، من الجن والدواب وحتى الجمادات.

أهداف الدورة

- تكوين صورة متكاملة لأخلاق النبي ﷺ، ولكيفية تعامله مع الناس جميعًا.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع أهله وأقاربه.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الاجتماعية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع الشرائح الدعوية المختلفة.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع عموم النساء وكبار السن والصغار.
- بيان كيف تعامل النبي ﷺ مع غير البشر.
- بيان مركزية الأخلاق في الإسلام.
- تعميق محبة النبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- تعظيم قيمة الاقتداء بالنبي ﷺ في قلوب المسلمين.
- بيان الأسس النبوية لبناء البيت المسلم.



يمكنك الاشتراك في هذه الدورة من هنا

كيف عاملهم

22 محاضرة — 10 ساعات

الدورات العلمية القادمة







السيرة النبوية

غزوات النبي ﷺ

فقه الزكاة

لمتابعة كل جديد يرجى الاشتراك في صفحات التواصل الاجتماعي

@ansaracademy_

مناشط الأكاديمية في شهر رمضان



أكاديمية أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

SUPPORTERS OF THE PROPHET ACADEMY

- ندوة هدي النبي في شعبان.
- برنامج هدي رسول الله في رمضان.
- دورة فقه الصيام.
- ندوة الاستثمار الأمثل لرمضان.
- ندوة هدي النبي في العشر الأواخر من رمضان.
- ندوة زكاة الفطر؛ الحِكَم والأحكام.

مساحة إعلانية



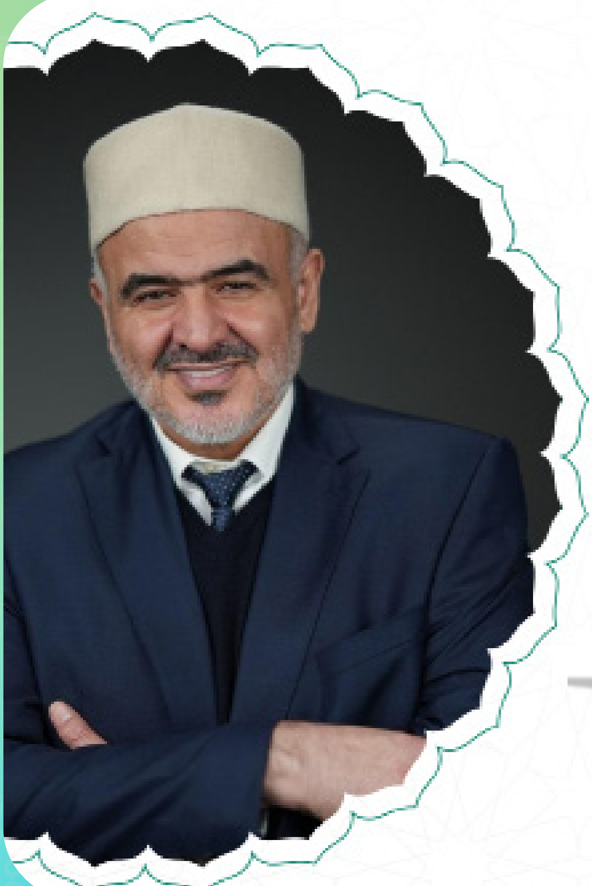
سلسلة شرح كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

الشيخ د. عبد الحي يوسف

عضو مجلس أمناء
الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

وقفات مع الكتاب الأفخر الأشهر للقاضي عياض، للتعريف بحقوق النبي ﷺ والواجب على أمته نحوه.

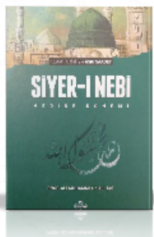
سلسلة شرح كتاب الشفا



كتاب السيرة النبوية بعدة لغات

الشيخ د. علي محمد الصلابي

المؤرخ الإسلامي



١ ٢



١ ٢



١ ٢ ٣



١ ٢

مساحة إعلانية

أئمة الهدى

﴿قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾

•• من تراث علمائنا الراحلين ••





لماذا ضاعت فلسطين



الشهيد القائد فتحي الشقاقي

مؤسس حركة الجهاد الإسلامي

فلسطين وحركة التاريخ الحديث

لقد حكمت الدولة العثمانية فلسطين كجزء مهم من الأرض الإسلامية، وعندما بدأت التوجهات اليهودية الصهيونية إلى فلسطين في نهاية القرن الماضي، أعيد التشكيل الإداري في المنطقة لتصبح فلسطين وحدة إدارية تابعة مباشرة للصدر الأعظم في إسطنبول.. هكذا كان المنظور الإسلامي يتعامل مع الأرض الإسلامية. ولم يكن قد برز بعد مفهوم الحدود التاريخية للوطن الذي سيشكل بعد ذلك أسس الاتجاهات الوطنية في المنطقة العربية، كما أنه سيشكل أساس الفكر التوسعي الصهيوني، ولكن

---

*رحلة الدم الذي هزم السيف: الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، ط١ (القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٧م)، ١/ ١٧٣ وما بعدها.

الصراع الحادّ المتواصل بين الإسلام كمجتمع ونظام وبين اللا إسلام كتيارات فكرية واجتماعية -الذي استمر طوال القرن التاسع عشر على أرض الوطن الإسلامي- كان قد استطاع على مشارف القرن العشرين أن يقدم نتائج في غاية الخطورة..

فمنذ الحملة الفرنسية وحتى الحرب العالمية الأولى، والغرب يحاول وبكل الوسائل تدمير الحائط الإسلامي الصلب، الذي يمنع سيطرته على مكامن الثروة في العالم، ويشكل تهديدًا أصيلًا لقيمه وبنيان نظامه، وهكذا فقد استخدم الغرب حربه العسكرية وبعثاته التبشيرية ومدارسه العلمانية ضمن هجمة عريضة ومتواصلة، كان أخطر أدواتها تلك النماذج من أبناء المجتمع الإسلامي التي هُزمت روحياً وفكرياً، وعملت كأدوات لعلمانية الغرب وأطروحاته السياسية القومية وبالذات ضد وطنهم. وهكذا ومع بداية القرن العشرين كان حزب (الاتحاد والترقي) يدعو إلى قومية طورانية في تركيا. وكانت الجمعيات والأحزاب العربية مثل (العربية الفتاة) و(جمعية العهد) و(جمعية بيروت الإصلاحية) و(حزب اللا مركزية) وأخرى كثيرة، تدعو إلى قومية عربية ودولة عربية مستقلة عن دولة الخلافة.



طلعت باشا
زعيم حزب الاتحاد والترقي

وعلى الجانب الآخر كانت الحركة الصهيونية -كتعبير عن الفكر اليهودي التاريخي- تحدد ملامحها السياسية في أوروبا كحليف أصيل سياسياً وفكرياً للاستعمار الإمبريالي ضد ثروات الشعوب وللهجمة الغربية ضد الإسلام ووطنه.. وهكذا ولدت الحركة القومية العربية ابناً شرعياً للهجمة الغربية ضد الوطن الإسلامي، وبدأت الحركة الصهيونية كجزء أصيل من تلك الهجمة بكل ملامحها.. في ظل تلك المرحلة

بدأت الاتصالات بين الشريف حسين ممثل الحركة القومية العربية، والسير مكماهون ممثل صاحب الجلالة ملك بريطانيا.. قدم الشريف رؤيته للمستقبل ضمن تكوين مملكة عربية مستقلة عن الدولة العثمانية، تضم المنطقة العربية شرق قناة السويس والجزيرة العربية، إلا أن مكماهون رفض الدخول في تفاصيل الحدود، وبعد إلحاح وافق على ذلك مستثنيًا فلسطين وبعض أجزاء بلاد الشام الأخرى من الدولة المطلوبة.. ولم يقدم البريطانيون أية ضمانات حقيقية للأحلام القومية العربية، ورغم ذلك دخل القوميون العرب الحرب إلى جانب بريطانيا وضد الدولة العثمانية.. لقد كانت المملكة العربية التي أرادها الجيل الأول من القوميين العرب، نكوصًا للوراء عن الدولة الإسلامية الكبيرة والشاملة لعدة قوميات.


الاستسلام للبريطانيين
أثناء الحرب العلمية الأولى

وفي ظل الحرب العالمية الأولى احتلت بريطانيا فلسطين، وأعلن وعد بلفور -أو عرفه العرب- ونصب المؤتمر السوري الذي ضم ممثلين عن سوريا الكبرى بما فيها فلسطين فيصل بن الشريف حسين ملكًا على سوريا الكبرى، محاولين بذلك سبق الأحداث.. وعندما هُزمت حكومة فيصل أمام القوات الفرنسية ثم قبوله وعائلته للتسوية البريطانية بإعلانه ملكاً على العراق.. نسي ذلك الجيل من القوميين العرب -الذين كانوا في أغلبهم ينتمون إلى طبقة كبار الملاك- إلى حد ما تلك الفكرة القديمة لتأسيس دولة عربية كبرى وتوزعت اهتماماتهم بين دولة سورية تضم فيما تضمه فلسطين، وبين أوطان صغيرة مستقلة.. لقد وقف القوميون من كبار الملاك في شرق المنطقة العربية من الوطن الإسلامي مع فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية، كتعبير

عن هزيمتهم الفكرية والروحية والنفسية أمام فكر الغرب القومي العلماني، وكتعبير أيضًا عن طموحاتهم باستقلال اقتصادي عن الحكومة المركزية في إسطنبول.. إذ لا خوف من المستقبل ما داموا هم الذين سيحكمون دولة المستقبل تلك. هذا هو الإطار العام الذي حكم حركة الصراع في المنطقة ككل بين الحربين، أو بين وعد بلفور والنكبة الأولى ١٩٤٨.. فكيف سارت الأمور داخل فلسطين في تلك الفترة؟

فلسطين.. أولئك الزعماء وذلك الانهيار



صاحَب نهاية الحرب الأولى ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بعد الاحتلال البريطاني وإعلان وعد بلفور مباشرة.. وقد تحركت الجماهير الفلسطينية بحسها التاريخي ضد الهجمة، ولكن الوجهاء والملاك الذين قاموا بالانفصال عن الدولة العثمانية متحالفين مع بريطانيا، عادوا مرة أخرى ضمن ظروف تدهور سياسي وحضاري شامل ليقودوا الجماهير وحركتها.. فأنشئت الجمعيات الإسلامية والمسيحية في المدن الفلسطينية (يلاحظ هنا ظلال العلمانية).. وقادها الوجهاء والتجار..

وقد عقد ممثلو تلك الجمعيات المؤتمر الفلسطيني الأول في يناير ١٩١٩ وكان عدد المؤتمرين ٢٧ منهم ١١ أصدقاء لبريطانيا و(٢) أصدقاء لفرنسا و(٢) عن المستقلين و(١٢) من أنصار الوحدة القومية العربية، وذلك حسب تقرير ضابط مخابرات بريطاني في فلسطين.. وكان واضحاً أن المؤتمر ورئيسه (موسى كاظم الحسيني) سيقفون موقف المهادنة من بريطانيا، وأن اتجاه المؤتمر العام سيفهم الصراع على أنه صراع مع الصهاينة فقط..

وعندما أعلنت بريطانيا الانتداب على فلسطين، وعينت الصهيوني هربرت صموئيل مندوبًا ساميًا لها في القدس، ليسرع في تنفيذ وعد بلفور بقيام وطن قومي لليهود، قام صموئيل بتشكيل مجلس استشاري له من اليهود والمسلمين والمسيحيين، وكان أبرز أعضاء المجلس من العرب إسماعيل الحسيني، وفريح أبو مدين وسليمان ناصيف وعبد الرازق طوقان، وهم جميعاً ينتمون إلى فئة الوجهاء والملاك أصدقاء بريطانيا.. نفس هذه الفئة ستشكل الحزب الوطني بقيادة عارف الدجاني وراغب النشاشيبي وسليمان الفاروقي، ليكون أداة ضد الوطن ومع بريطانيا.



هربرت صموئيل وبداية الانتداب البريطاني في فلسطين

لقد قام الفلسطينيون بثلاث انتفاضات دموية قبل مطلع الثلاثينات، كانت الأولى سنة ١٩٢٠، والثانية سنة ١٩٣٢، وكانتا في ظل أطروحات الزعماء إياهم -انتفاضتان ضد التواجد الصهيوني فقط- ولكن في عام ١٩٢٩ وعندما حاول اليهود الاقتراب من المقدسات الإسلامية في القدس، ثارت الجماهير متجاوزة قياداتها ضد اليهود وضد بريطانيا ورجالها وشرطتها ومؤسساتها الحكومية، لقد أصبح واضحًا رغم تضليل الزعماء من الملاك والوجهاء أن الصراع ضد الهجمة بطرفيها بريطانيا والحركة الصهيونية معاً.

وعلى رأس التنظيمات الداعية إلى مهاجمة بريطانيا، كانت جمعية الشباب المسلم في حيفا، ذات الصلة الوثيقة بالشيخ القسام.. وفي مطلع العام الحادي والثلاثين عقد في القدس ما سُمّي بالمؤتمر الإسلامي، الذي سيطرت عليه نفس العناصر القيادية.. وبالتالي فإن المؤتمر رغم شمولية تمثيله للمسلمين في العالم من سنة وشيعة في المنطقة العربية والهند وإيران، إلا أنه لم يستطع أن يتقدم بالصراع إلى الإمام..

وعقب المؤتمر مباشرة أصبحت التيارات السياسية في الساحة الفلسطينية واضحة ومميزة: فقد حافظت العناصر القومية التقليدية على أفكارها ومنهجها في العمل ضمن حزب الاستقلال عجاج نويهض، وأسعد داغر وعزة دروزه وصبحي الخضرا.


راغب النشاشيبي، أمين الحسيني، أحمد حلمي عبد الباقي وآخرون

وشكل الوجهاء أصدقاء بريطانيا حزب الدفاع الوطني «راغب النشاشيبي»، وقدمت عائلة الحسيني رؤيتها الوسطية الوطنية ضمن الحزب الوطني الفلسطيني جمال الحسين وبمباركة المفتي الحاج أمين، وكان الحزب مزيجًا من الأحلام القومية وآمال الاستقلال الوطني، وشيئًا من الحس الإسلامي.. ولكن جميع تلك الاتجاهات لم تكن قادرة -نظراً لانتمائها إلى المواقع الفكرية اللا إسلامية- على تحديد جوهر الصراع والتقدم نحو حسمه، وكان لابد للجماهير بحسها الإسلامي وبوعيها التاريخي أن تقدم رؤيتها ومنهجها، فكانت حركة (عز الدين القسام).

ويستمر الصراع في تصاعده بين الجماهير من جهة، وبريطانيا والحركة الصهيونية من جهة أخرى، بينما قيادات الوجهاء لا تزال تتسلق أكتاف حركة الجماهير كزعامة رسمية، وعندما تفجر الصراع بشكل شامل وعنيف سنة ١٩٣٦ تشكلت قيادة الثورة من عوني عبد الهادي، أحمد حلمي باشا، وراغب النشاشيبي، وجمال الحسيني، وعبد اللطيف صلاح، وحسين الخالدي، وبالتالي ظلت نفس الوجوه ونفس الممارسة، فقد كانوا ممثلين لمرحلة بأكملها، فعندما كانت الجماهير تقدم دمها على ساحة الجهاد، كانوا هم خارج الساحة يقودون

المعركة! وبعد ستة أشهر من الجوع والقهر والدم جاءوا هم وحلفاؤهم من الزعماء العرب في الممالك العربية (مصر والأردن والسعودية والعراق) ليأمروا الجماهير بوقف المعركة لأن الصديقة بريطانيا ستتفهم مطالبنا في جلسات التفاوض القادمة!

ولم تنتهِ المرحلة.. فقد شهدت الأربعينات الذروة الأولى للصراع على فلسطين، وبحلول العام ١٩٤٧ كان الاستعمار الغربي بكل قواه -ضمن لحظة حاسمة من الهجمة على الوطن الإسلامي- يقف وراء الحركة الصهيونية ومعها من أجل قيام إسرائيل.. وعلى الجانب الآخر كانت الزعامات الملكية العربية ووجهاء وملاك فلسطين.. لقد نشأوا في أحضان الهجمة الغربية، وقادوا قبل خمسين عاماً عملية تحطيم الدولة الإسلامية وهم اليوم يقفون ضد الغرب والحركة الصهيونية.. هل يوجد أي مجال للاستغراب والدهشة؟! وكان يومها أيضًا بإمكان الجماهير الإسلامية أن تقدم معها وجهاً حقيقياً وأصيلًا، ولذا فقد دخلت الفصائل الإسلامية الإخوانية من مصر وسوريا والأردن إلى منتصف ساحة الصراع، وحين كان الجميع يهزمون ويتراجعون كان الإسلاميون يثبتون ويستشهدون، ولكن المرحلة كانت أكبر من طاقاتهم، واستطاع التحالف الصهيوني الغربي في النهاية إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين كتجسيد مجتمعي حي ومستمر للهجمة الشرسة ضد الوطن الإسلامي، وسقطت كل الرؤى القديمة لمستقبل المنطقة بعد هزيمة الدولة الإسلامية.

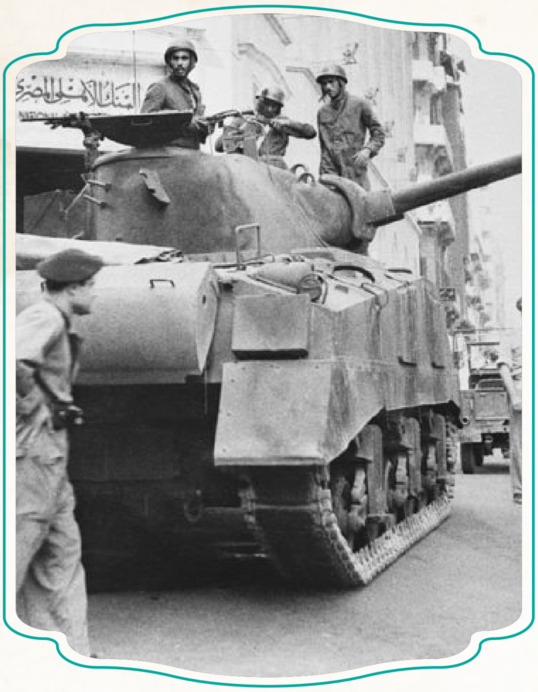


أفراد من الفصائل الإسلامية الإخوانية في حرب فلسطين

سقطت لأن قياداتها لم تخض في الحقيقة معركة ضد الغزو بل كانت في جانبه - بقصد أو دون قصد- وكانت تتزعم معركة زائفة للصراع لم تع جوهره. فحتى سنة ١٩٢٩ كانت تلك القيادات تصور اليهود فقط كطرف للصراع، بينما الجماهير بحسها الإسلامي تشعر أن بريطانيا هي أيضا الطرف.. وحين دعا أئمة المساجد الجماهير إلى عدم دفع الضرائب لحكومة بريطانيا الكافرة كتصعيد للصراع، وقفت القيادات من الملاك والوجهاء ضد الدعوة خوفًا على أملاكهم من رد الفعل البريطاني، وحين تقدمت الحركة الإسلامية الثورية بقيادة الشيخ القسام رافعةً السلاح في وجه بريطانيا، لم تتكلف تلك القيادات المزعومة مجرد السير في جنازة الشهداء، وفي حمى معارك النكبة الأولى كانت الجماهير تُستشهد وهم يتفاوضون، وكانت الجماهير تجوع، وهم يتقاسمون ما بقي من الأرض، وكانت الجماهير بإسلامها مصممة على مواصلة الصراع، وهم يوقعون اتفاقيات الهدنة، وكان لابد أن تسقط أنظمتهم الواحد تلو الآخر وأن تسقط أطروحاتهم ومناهجهم، فقد قادوا المرحلة من بداية القرن إلى النكبة الأولى فلم يعطوا الأمة إلا الجوع والتضييع وفقدان الذات وتكريس قواعد الهجمة الغربية الاستعمارية على أرض فلسطين.



وعلى طول الوطن الإسلامي وعرضه بأحزابهم وأفكارهم وقيمهم وهزيمتهم.. كانوا جزءاً من الهجمة لا يتجزأ، من النكبة الأولى إلى النكبة الثانية، كان من الطبيعي أن تتصدى الحركة الإسلامية لقيادة المرحلة التالية، إلا أن ظروف نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات السياسية والاجتماعية والاقتصادية



وعنف التدخل الغربي في الوطن الإسلامي لم تسمح لها بذلك -وليس هنا مجال دراسة تلك الأسباب بالتفصيل- وقد انتهت النكبة الأولى بتوجيه ضربات قوية إلى آمال الجماهير وإلى إسلامها وإلى أرضها، وتقدمت إلى السلطة العناصر العسكرية في انقلابات متواصلة لتقدم أطروحاتها القومية الجديدة، وتُوثّق علاقتها بالغرب سواء الرأسمالي أم الشيوعي - وتدّعي أنها جاءت لتعيد للأمة وحدة أرضها، ولتبني مستقبلها ولتحقق لها العدل الاجتماعي والرفاهية والتقدم..

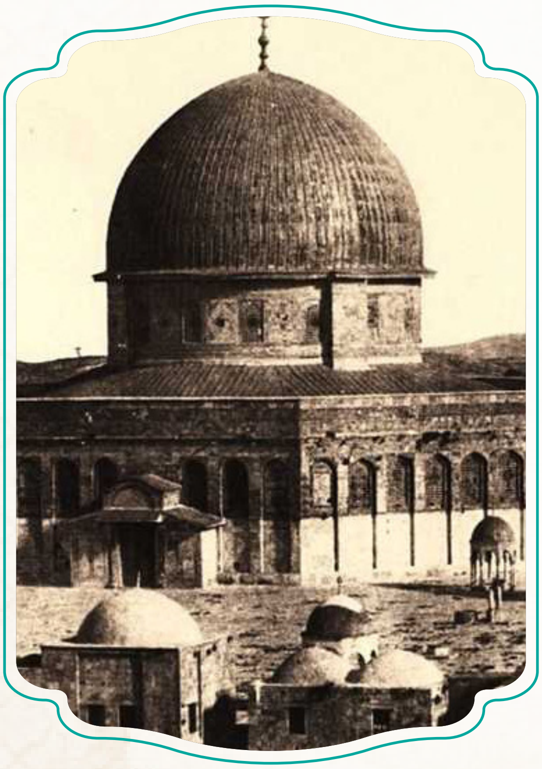
ولكن انتماءها القومي العلماني في الخمسينيات، وانتماءها الاشتراكي العلماني في الستينات، كانا يحددان موقعها تمامًا من قضية الصراع على أرض الوطن الإسلامي.. لقد كانوا أُطروحة جديدة فقط للهجمة الغربية ضد الإسلام، ومع الغرب دائماً سواء الشيوعي أم الرأسمالي ضد استقلال أمتهم، وكانوا مع القهر والاعتقال والاغتيال ضد إسلام الأمة وحرية مفكريها ورجالها.. وكانوا مع رفاهيتهم وأرصدتهم ضد طموحات الأمة في النمو والتقدم والرفاهية كان هذا هو إطار المرحلة التالية من النكبة الأولى في ٤٨ إلى النكبة الثانية في ٦٧.

وحتى على النطاق الفلسطيني البحت، فقد نمت نفس الاتجاهات الممثلة للأنظمة العسكرية العربية، وفي حمى الغياب الكامل للوعي في تلك المرحلة، غاب مرة أخرى الوعي الجوهري والتاريخي الصحيح للقضية الفلسطينية، بل إن مختلف الاتجاهات الموجودة الآن على الساحة الفلسطينية، ضمن إطار منظمات المقاومة تعود بأصولها إلى تلك المرحلة وربما قبلها بقليل.. وكانت النكبة الثانية في صيف ذلك العام الصعب ١٩٦٧ انهيارًا شاملًا للثوريين الاشتراكيين من العسكر، ولأنظمتهم ولمناهجهم ولتضليلهم.. لقد سقطوا أولًا

حين ضاعت وعودهم في ظل ممارساتهم، وسقطوا ثانيًا حين قدموا بقية الأرض والتاريخ فداء لوجودهم وبقاء تسلطهم على روح أمتنا، وكان لابد عقب النكبة الثانية أن تعود الأمة إلى أصالتها، وإلى حسها الإسلامي ووعيها التاريخي.. تحسسه وتتلمس به طريقها بعد سنوات التضييع والسقوط، كان لابد أن تدرك أي منحدر خطر قد وصلت إليه بعد أن ضيعوا هويتها الإسلامية، وبعد أن أسلمت قيادها لأعدائها وتلاميذهم الشرعيين.. ومع مطلع السبعينات كان المد الإسلامي الشامل في الوطن الإسلامي هو الرد الطبيعي والعملي على المراحل السابقة التي أودت بأمتنا إلى نكبتين مروعتين في أقل من عشرين عاماً..

وتكشفت ساحة الصراع عن تيار إسلامي متصاعد يتقدم لحسم هذا الصراع لصالح أصالة الأمة واستقلالها وتقدمها الحقيقي، وعلى الجانب الآخر كانت تقف قوى الغرب الاستعمارية وامتدادها من أنظمة وأحزاب قومية واشتراكية ووطنية بجانب إسرائيل كتجسيد للهجمة ضد الإسلام.

وتبقى فلسطين قضيتنا المركزية



إن التاريخ الحديث للقضية الفلسطينية يكشف لنا عن وجهين أو خطين في غاية الوضوح والأهمية هما: الأول: أن القضية الفلسطينية بما وصلت إليه كانت جزءًا من ملامح القيادات اللا إسلامية التي تعاقبت على التصدي الانتهازي لقيادة حركة الجماهير، أو التي تسلمت السلطة طوال الفترة التالية لهزيمة الدولة الإسلامية في مطلع هذا القرن، تلك القيادات

التي تمثل التراجع المستمر أمام التحدي الصهيوني الغربي الذي جاء ليلغي التاريخ، ويسقط وعي الأمة، ويهدم الحائط الإسلامي الصلب، ويستولي على الأرض والثروة والمستقبل.. كما أن فشل تلك القيادات في سنة ١٩٤٨، ثم في سنة ١٩٦٧، ثم عجزها عن مواصلة الصراع -كنتيجة لعجزها عن فهمه ـ قد أدى بها كما نرى الآن إلى قبول أي شيء كحل للقضية. ويدل على ذلك ما نراه من ممارسة الجميع وإعلانهم عن مشاريعهم لحل القضية ابتداءً من الأنظمة العربية بكل أصنافها، إلى من يدعون قيادة الفلسطينيين بكل انتماءاتهم، ويبدو الإسلام وحده كدين، والإسلام وحده كتاريخ وحضارة ونظام وممارسة، هو القادر على مواجهة الأزمة وفهمها وقيادة حركة الصراع وحسمه، ذلك أنه هو الطرف الحقيقي والمستهدف، وهو وعي الأمة وحسها.

أما الوجه الثاني فإن الهجمة اللا إسلامية وطرفها الأساسي وهو الغرب، لم يستطع أن يقيم إسرائيل ككيان كامل - فكرًا ونظامًا.. حضارة وهدفًا ـ إلا عندما استطاع أن يثبت مؤسساته وأجهزته وتياراته في منطقة الوطن الإسلامي وحولها، وكانت إسرائيل بالتالي جزءًا هامًا مركزيًا من هجمته على الوطن الإسلامي.. وأمام الحركة الإسلامية اليوم.. إما الوعي بالهجمة والتصدي لها بكافة جوانبها وإمكانياتها وأدواتها، وإما أن تبقى في مكانها تراوح بين التقدم مرة والتراجع مرات.. إما أن تعي جوهر الصراع تماماً ودور القضية الفلسطينية فيه، وإما أن تتعرض لأسوأ الحقب على أرض الوطن الإسلامي -تلك التي تلوح في الأفق- وهي الحقبة الإسرائيلية.



حركة حماس.. شهادة تاريخية



القائد المجاهد صلاح شحادة

رحمه الله

في عام ١٩٨٠م، بدأنا تأسيس الجهاز الأمني لجماعة الإخوان المسلمين، الجهاز كان في بدايته مكوناً من فرد أو اثنين، فبدأ بما كان يُسمى «كبسولات»: أوراق صغيرة تُخبَأ في زجاجات تُهرَّب من السجن وتحوي معلومات عامة وتوعية أمنية حول كيفية الحذر من هذا الاحتلال وكيف يتسنى لنا أن نحذر الناس منه؟

---

* القائد المجاهد: صلاح الدين مصطفى محمد علي شحادة، (١٩٥٢-٢٠٠٢)، مؤسس الجهاز العسكري الأول لحركة المقاومة الإسلامية «حماس».
المقال: تحرير مجلة أنصار النبي (اختصار وإعادة صياغة)، عن: موقع قناة الجزيرة، حلقة: (صلاح شحادة.. حركة حماس شهادة تاريخية)، تاريخ نشر الحلقة: ٣١-٠٧-٢٠٠٢م.

الحمد لله رب العالمين.. قد كُلفت بهذا العمل بعد أخ فاضل لنا، ومن هنا بدأ الجهاز الأمني في التطور حتى أصبح جهازاً قوياً، وصار هناك ملف لكل مَن توفرت الأدلة على أنه مشتبه فيه في قطاع غزة ودراسة عن حياته، إلى الحد الذي كان الجهاز الأمني يعمل فيه نحو ٨ سنوات ولم يُضبط، ولم يُعرف أحد من أفراده.

كانت أول ضربة للجهاز عام ١٩٨٩، ثم قدّر الله سبحانه وتعالى أن يعرف أفراد الحركة ويعرف الناس أن لحركة حماس جهازاً أمنياً يعمل بدقة، حتى أن رجال المخابرات راجعوني وقالوا: كيف تخرجون فجأة على السطح وكأن لكم دولة؟

أما الجهاز العسكري فقد تأسس أيضاً عام ١٩٨١، وبدأ بمسدس وقنبلة، وقطعة (كارل غوستاف) أو قطعتين، ولكن الله سبحانه وتعالى بارك في القليل وبدأنا التجميع والإعداد لتنفيذ عمليات ضد الاحتلال؛ فهو واجب شرعي كما أفتى علماء الإسلام بذلك.. بأن الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة إذا احتُلت أرض الإسلام، وفِلَسطين ليست كأي جزء من أرض الإسلام -وكل أرض الإسلام مباركة ويجب الدفاع عنها-ففِلَسطين هي أرض الإسراء والمعراج، بل هي أرض القدس وأرض الأقصى وهي الفيصل بين المشرق العربي والمغرب العربي، ولا يمكن أن تقوم قائمة للأمة الإسلامية دون تحرير فِلَسطين، ولن تكون خلافة قوية ولن تكون هناك دولة تجمع المسلمين إلا بتحرير فِلَسطين؛ فكيف لنا أن نملك سلاحاً ولا نحارب المحتلين؟

إذن فبدأ تجميع السلاح، وهنا وقفة مهمة.. أن العدو الصهيوني يروّج لأن لديه درجة عالية من الحذر والاحتياطات الأمنية والتكتيك، وأنه دولة تقوم على العمل المؤسساتي... إلخ، ولكن الحقيقة أنهم خواة، فقد استطاع إخواننا المجاهدون بالأموال المحدودة أن يخترقوا نفسية أولئك الذين يحبون الحياة ويحرصون عليها ويحبون المال حباً جماً، هذه النفسية الضعيفة تساقطت أمام بعض الدنانير وقليل من الدولارات فباعوا ما في أيديهم من أسلحة عن طريق وسطاء من تجار السلاح، حتى أن السلاح الذي وصل أيدينا جديد لم تمسه يد من قبل؛ بل خرج من المخازن بالدولارات، بل وهناك مَن باع بندقيته لتاجر السلاح ليسلمها لإخواننا. فكانت فكرتنا تجميع السلاح ثم بعد ذلك تكوين مجموعة قوية وصلبة تستطيع بنفسها تنظيم وبدء العمل العسكري.



كان في تلك المجموعة الشيخ أحمد ياسين، والشيخ المجاهد عبد الرحمن تمراز أبو ماهر وكان المسؤول عن العمل العسكري، والدكتور محمد شاه، والأخ المجاهد محمد عبد الله، والأخ المجاهد محمد سمارة، والأخ المجاهد محمد صابر أبو عودة، وكنت أنا آخر أعضاء هذه المجموعة. وطورد الأخَوان: أحمد الملك فخرج إلى اليمن، والأخ إبراهيم المقادمة طورد أيضاً لمدة أسبوع ثم ألقي القبض عليه. هذه المجموعة هي المجموعة المؤسِسة الأولى، وبعد ذلك دخلنا السجن لمدد متفاوتة.

ثم بعد ذلك خرجتُ من السجن بعدما رأيت فيه الأهوال! ليس أهوال التحقيق فحسب بل أهوال تضييع حقوق السجناء.. أهوال تضييع كرامة الأسير وإنسانيته، فهناك من السجناء -وهذا قبل عملية التبادل

التي تمت عام ١٩٨٥- مَن أمضوا مدة طويلة في السجن، كان هناك من مكث ١٥ عاماً و١٤ عاماً، وتحدثوا لنا عما لاقوه من صنوف المعاناة واضطهاد الصهاينة.. فخرجتُ من السجن ولا أفكر إلا في كيفية إخراج هؤلاء السجناء، وفي وجوب العمل ضد المحتلين مرة ثانية، حتى ولو سُجنت في اليوم التالي، والأجر عند الله سبحانه وتعالى؛ فهو الذي يأجر وهو الذي عنده حسن الثواب.

خرجت من السجن ولدينا خطة لإعادة تشكيل الجهاز العسكري، وفعلاً والحمد لله رب العالمين بعد نحو أسبوعين تقريباً استأنفنا تطبيق نفس الفكرة وتجنيد بعض الشباب للجهاز العسكري، الذي كان يُسمى «حركة المقاومة الإسلامية»، ولم يكن له اسم آخر، وهذا الاسم محبب إلى نفوسنا جميعاً في كل الأجهزة التي عملنا فيها، فاخترنا اسم (حركة المقاومة الإسلامية)، وجُند بعض الشباب ودُرّبوا، ثم بعد ذلك انضم إلينا جهاز الأمن، والذي كان لا يحمل اسماً غير «جهاز الأمن»، فعندما انضم جهاز الأمن إلى الجهاز العسكري سُمي هذا الجهاز الجديد: حركة «الجهاد والدعوة»، واختصارها (مجد)، كان اسماً للجهاز العسكري والأمني بعد أن اندمجا سوياً.



دور الجهاز العسكري في الانتفاضة

دخلتِ الانتفاضة المباركة، والجهاز العسكري كان على أتم الاستعداد لتنفيذ عمليات عسكرية قوية، وأذكر من ضمن تدريبات الإخوة أنهم كانوا ينامون داخل خطوط ٤٨ التي احتلها العدو الصهيوني.. يبيتون هناك.. يقطعون السلك الفاصل ويبيتون

هناك بعض الليالي! وليت جميع الإخوة يتدربون على مثل هذه الأشياء كي يزول حاجز الخوف من نفسية المجاهد، ويشعر أنه لا يفصله عن ٤٨ أي شيء. فكان لدى الجهاز العسكري بفضل الله عز وجل أسلحته وجنوده الجاهزون عندما انطلقت الانتفاضة، وحينها كان لابد من التريث قليلاً بالنسبة للجهاز العسكري، إذ اعتُقل بعض شباب الجهاز العسكري ضمن ضربات العدو الصهيوني العشوائية التي نفذها خلال الانتفاضة.



وهنا أذكر أنه عندما انطلقت الانتفاضة لم نكن نملك ديناراً واحداً في الخزنة، لم يكن لدينا أصلاً خزنة! لم نحتكم حتى على دينار واحد في هذه الحركة، بل أحد الإخوة أعطى الحركة ٣٠٠ دينار كي يسافر أخٌ إلى الخارج! فنحن ندخل عملاً جهادياً ونعلم تكاليفه لكنه فرض عين الآن وجاءت الفرصة المناسبة لأن نتحرك ويتحرك الجميع في هذا الحدث الجماهيري الذي سيتحول -بإذن الله- إلى جهاد حقيقي، والله سبحانه وتعالى لا يريد منا أموالنا إذا كنا لا نملك المال، فإذا كنا لا نملك إلا أنفسنا فالله سبحانه وتعالى سيدبر لنا المال الذي نجاهد به، وهذه كانت عقيدتنا: أننا لا نملك مالاً ولكن نملك أرواحاً.

وقد اتفقنا أننا لا نقاتل اليهود في جهادنا العسكري -وهذه كانت ولا تزال محفورة- لأنهم فقط يهود، بل نقاتلهم لأنهم احتلوا أرضنا.. لأنهم محتلون.. لأنهم غاصبون لأرضنا، لا نقاتلهم لدينهم ولا للونهم ولا لعقيدتهم، نحن نحاربهم ونقاتلهم لأنهم مغتصِبون، فإذا خرجوا من أرضنا وانصرفوا عن بلادنا فلا نقاتلهم طالما أنهم لا يعادون الإسلام والمسلمين.

ممارسات الصهاينة في السجون ضد الأسرى



تأكيداً لكل أخ مجاهد وكل أخ مستمع: بعض الناس يظن أن الصهاينة أرحم من غيرهم، طبعاً هذا خطأ شائع بين الناس اليوم، الصهاينة فعلاً يهمهم أن يحصلوا على المعلومة، ولكن يهمهم أيضاً أن يُخرّبوا حياة الإنسان النفسية والجسدية، فيجب أن يدرك الأخ المجاهد إدراكاً جيداً أنه غير ذاهب إلى نزهة، بل يذهب إلى قساة القلوب.. غلاظ النفوس، إلى أناس جبناء، والجبان هو أشد الناس قسوة على الآخرين عندما يسيطر، هذه طبيعة الجبان، ولكنه ينكسر بالإصرار، أي أن الجبان ينكسر بالإصرار ويحتاج إلى صمود في الموقف وعدم إظهار الضعف والجُبن أمام العدو الصهيوني. ومخطئ من ظن أنهم يتركون الإنسان بلا علة، أو بلا عرض مغرٍ عليه للعمل لصالحهم، أو بلا تخريب لنفسيته، والإنسان لا يهمه إذا عرضوا عليه أي شيء بل يكون كالصخرة لا يغير رأيه، فصاحب العقيدة يعرف أن هذه خيانة، وأشد ما يكون التحقيق إذا قَتل المُحَقق معه يهودياً، أو كان يُخفي الأسلحة، فمن الممكن حينها أن يتعرض الأسير إلى ضغوط شديدة جداً أو يُصاب بعِلة، ولكن هذه العلة كأنه أصيب في قتال وهذه وسام شرف للإنسان في حياته وفي آخرته بإذن الله.

فمثلاً يمارسون التعذيب بالضغط على الخصيتين، والخنق وكتم النفس.. إلى الشَّبْح بربط الإنسان يديه وقدميه من الخلف والضرب في المعدة وهو مشدود إلى الخلف، وبضرب رأس الإنسان في الأرض.. ضربه في الطاولة.. في المكتب؛ فهم مجموعة من الجبناء لا يجدون مَن يردعهم إلا المجاهدون في سبيل الله عز وجل.

الوجود الصهيوني في فِلَسطين

أذكر من المواقف داخل السجن أنه كان ثمة تحقيق معي بواسطة المخابرات الصهيونية، وسألوني عن نظرتي لهم؟ فأخبرتهم بصراحة أنهم ضحايا مشروع غربي مفروض علينا في (الشرق الأوسط)، وأقصد طبعاً مشروع الحاجز البشري الغريب في المنطقة، طبعاً هم لم يستطيعوا أن ينكروا، قلت لهم: بريطانيا عندما أعطتكم وطناً على أرض فِلَسطين لم تكن في يوم من الأيام تحب اليهود أكثر من شعبها، فلِمَ لم تعطِ بريطانيا فِلَسطين بمواردها للبريطانيين المسيحيين مثلاً وأعطتها اليهود؟ فقد كان من الممكن أن تقول بريطانيا حينها إن النصارى الإنجليز مثلاً لهم حق في الكنيسة أو أي حُجة أخرى.. فلِمَ يفرطون بحقهم ويعطونه لليهود؟



الجواب: لأنهم يدركون بأن هذا مشروع حاجز بشري بين مشرق ومغرب، ولا يكون ضحية إلا اثنان، أصحاب الأرض، والذين نكرههم ونريد أن نتخلص منهم، فكانت النتيجة مشروع الحاجز البشري الغريب هذا. يعلمون بأنكم -أقول لهم- حاجز أسمنتي في المجتمع، كيف كالإسمنت؟ أي: لا تتزوجون من الآخرين لأنهم ليسوا يهوداً، ولا يزوّجكم الآخرون لأنكم أعداء! إذن أنتم هنا حاجز موجود، فلابد من هدم هذا الحاجز، وتعرفون قصة اليهود في (الجيتو) في بريطانيا وفي فرنسا، في إيطاليا، في أوروبا كلها، وكيف كان اليهود لا يُحترمون، فأنتم -كما قلتُ لهم- تحتاجون إلى



جزء من الاحترام ولو كان على حسابكم وعلى حساب الآخرين، فهؤلاء البريطانيون أرادوا التخلص منكم فوضعوكم هنا، وأرادوا كذلك أن تكون بلاد «الشرق الأوسط» سوقاً للسلاح، وكذلك ألا تنهض فيها خلافة جديدة، فأنتم حاجز بشري، وضحايا مشروع غربي، فيجب أن تستيقظوا ولا تدافعوا عن هذا المشروع بحجة الدفاع عن النفس، لَمَ يعطونكم السلاح؟ ولم لا يموت أبناؤهم الغربيون وأنتم تموتون؟ قلت لهم إذا كنتُ مخطئاً أخبروني.. فلم يستطيعوا أن يقولوا إني مخطئ وأخذوا يدافعون دفاع العاجز.

وقلت لهم أيضاً: قاتلناكم لأنكم قوة احتلال ولن نتنازل عن قتالكم طالما أنكم تحتلوننا، وسألوني: هل أنت من (حماس)؟ فقلت: نعم من حماس، لم يرُق لهم قولي إني من حماس، كانوا يريدونني أن أتنصل من حماس، ولا يمكن بعد أكثر من عشر سنوات أقضيها في السجن أن أقول إني لست من (حماس) وكأني أنسلخ من ذاتي! فهذا شيء لن يكون، كان كل همهم ألا أعود للعمل العسكري... وبالطبع هم ليس لديهم قانون بل يحكمون بالحكم الإداري، أي بما يمليه عليهم هواهم، وقد قلت للقاضي مرة في المحكمة: أنتم أكثر الناس الذين يجب أن ينأوا بأنفسهم عن الحكم الإداري، فقال لي القاضي: لماذا؟ فقلت له: لماذا تتذمرون من (هتلر)؟ لأنه قتلكم لأنكم يهود.. صحيح؟ فهذا حكم لكراهية شخص لذاته وليس لعمله، وأنتم تمارسون نفس الأفعال التي مورست ضدكم، فهذا القاضي طبعاً حكم عليّ بالسجن ثلاثة شهور، ولكن تأكد فيما بعد أني أتكلم بكل ما أؤمن به.

استراتيجيات الجهاد لدى حماس



إننا لا نزال نعاني جميعاً من ضياع الهُوية ومن نقص السيادة ومن الاضطهاد، ومن تحكم عدونا في موارد حياتنا، حتى في الهواء يتحكمون، في الماء يتحكمون، في الأرض يتحكمون، في الجبل يتحكمون، وبالتالي يجب -من خلال المعاناة المشتركة فيما بيننا وبين أهلنا من فِلَسطين- أن نصيغ معالجة جهاد جديدة في مواجهة هذا المحتل، وألا يصيبنا اليأس، بالعكس.. نحن عندنا الآن مدخر كبير جداً من طاقات الشباب ومن طاقات الوعي. ومخزون الإرادة ومخزون العمل الانتفاضي والدفاع المسلح، كل ذلك موجود عندنا، ولابد من تفجير هذا المخزون بطريقة منظمة ومهذبة بحيث تعود على الأمة الإسلامية والأمة العربية والشعب الفِلَسطيني بخير.

ويجب ألا تنسى الدور المنوط بك، وهو الجهاد في سبيل الله حتى تحرير كل تراب فِلَسطين، كيف هذا؟ طبعاً تحتاج إلى الناس.. أما الفتور فيجب أن نضع له حداً، الخوف يجب أن نضع له حداً، وكذلك يجب أن يكون من الواضح لنا والمحفور في قلوبنا أننا نفضّل الموت على أن نقتل فِلَسطينياً واحداً، لأننا قمنا لرفع المعاناة عن الشعب الفِلَسطيني ولا ينبغي أن نثكل أماً أو نرمّل امرأة أو نيتّم ولداً حتى وإن لم نرضَ عن أداء هذا الأب أو هذا الابن أو هذا الأخ أو الزوج، وأقولها: مخزوننا سيعدل مسارنا.. رؤيتي أن مخزون العمل الإسلامي الفِلَسطيني ومخزون الكفاح الفِلَسطيني سيعدل مسار شعبنا لأن يسير مرة أخرى على طريق قويم، على طريق الجهاد في سبيل الله، وأقولها مرة أخرى لكل إخواني: نحن دعاة.. نحن دعاة إلى الله

سبحانه وتعالى قبل أن نحمل السلاح، وحمل السلاح هو دعوة، هو دعوة إلى الله، دعوة إلى تحكيم شرع الله في الأرض، دعوة إلى نصرة المستضعفين في الأرض، دعوة إلى رفع الظلم والقهر عن إخواننا، دعوة لتحرير الأسرى والمأسورين، دعوة لإشباع الجائعين، هذا هو حملنا للسلاح وهذا هو موتنا في سبيل الله عز وجل، فالجهاد في مفهومنا في الجهاز العسكري في حركة المقاومة الإسلامية حماس هو عملية أخلاقية وليس مجرد عملية قتال، عملية أخلاقية تقوم على دعائم شرعية في كل منطلقاتها وفي كل أهدافها وفي كل غاياتها.

مستقبل الجهاد ضد العدو



المستقبل على عكس ما يراه الناس، ولن يكون ما أرادوه للشعب الفِلَسطيني بأن يدخل قفصاً حيث الاقتتال الدائم بين فصائله.. لن يكون هذا بيننا بإذن الله، هذا الشعب سيكون بركاناً، وهذا ليس كلاماً إنشائياً بل من خلال مشاهداتي للانتفاضة ومن خلال استقرائي لأهدافها، ومن خلال معايشتي للشباب الذين أصبحوا أبطالاً سطّروا تاريخ الأمة الفِلَسطينية بمداد من الدم، وبمداد من العرق.. هؤلاء لم يكونوا دائماً صفاً واحداً، لكن الفعل الجهادي وحّد الصف وانطلقوا في مسيرة واحدة، فأناسٌ كثر كانوا خصوماً، ثم أصبحوا بنفس المسار الجهادي، والآن والحمد لله رب العالمين هم مجاهدون نفخر بهم، فهذا الفعل الجهادي يوحّد ويصحّح مسارنا بإذن الله تبارك وتعالى، والمنطق كما قال سبحانه وتعالى عن اليهود: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [الحشر: ٢]؛ فبأيديهم خطوا هذه الاتفاقيات، وأرادوا

بها التنكيل بالشعب الفِلَسطيني وإحداث انشقاق فيه، وبأيديهم التي كتبت سيتحول هؤلاء في يوم -ولن يكون بعيداً بإذن الله- إلى أناس تنقشع الغمامة على أيديهم عن الفكر الذي يسود المنطقة الآن، وسيتحولون إلى مجاهدين وأسلحة تحرير، وليس إلى أسلحة تدمير للشعب الفِلَسطيني كما أراد الصهاينة.



صلاح شحادة مع بعض المجاهدين

وأقول في الختام: إنني نخور بأني عشت مع المجاهدين في سبيل الله عز وجل في التحقيقات، وفي الزنازين في السجون، ونخور بأننا والحمد لله رب العالمين واجهنا مخابرات الأعداء، الذين -كما ذكرت آنفاً- يعملون عملاً مؤسساتياً لكن خالياً من الإرادة الإنسانية، وخالياً من التفكير المنطقي، وخالياً من الأخلاق.

نحن في حاجة اليوم إلى إعادة صياغة لمفهومنا الجهادي، ومفهومنا الجهادي داخل فِلَسطين وخارجها في حاجة إلى وحدة الفهم لما نريد أن نقوم به، نحن الآن في حالة صياغة للشخصية الإسلامية التي ستحكم بإذن الله تبارك وتعالى، وجزاكم الله كل خير، وبارك الله في كل أخ بذل جهداً معنا، ونسأل الله اللقاء في جنة الخلد مع الشهداء والصديقين والنبيين بإذن الله تبارك وتعالى.



واجبات الحركة الإسلامية في الأرض المحتلة



د. إبراهيم المقادمة

القائد الشهيد والمفكر الطبيب، رحمه الله*

إن تحقيق الانتصار على العدو يتطلب السير في جبهتين في آن واحد، الأولى: جبهتك الداخلية بأن تحقق غاية ما تستطيع من أسباب القوة الإيمانية الروحية والوحدوية ثم المادية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وكما يقول الإمام الشهيد حسن البنا: إن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوافر لها هذه المعاني جميعاً، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك»[1]. والجبهة الثانية: هي أن تُضعف عدوك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

---

* إبراهيم المقادمة، معالم في الطريق إلى تحرير فلسطين، ص٢٦٣-٢٧٣، ط١.

١ رسالة المؤتمر الخامس.

وهذان المحوران يجب أن يكونا هدف الحركة الإسلامية في داخل فلسطين. فالجهاد في فلسطين مسألة مفروغ من وجوبها، ونحن إذا أخذنا الجهاد بمفهومه الواسع وهو بذل الجهد في سبيل الله، وفهمنا أن أعلاه هو الجهاد بالسيف لا يمكن أن يقوم إلا بالإعداد المسبق، فيجب أن يسير الجهاد في المسار التالي:

أولاً: بعث الروح الإسلامية في الشعب الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة



وقد سارت الحركة الإسلامية شوطاً جيداً في ذلك، إلا أن هذا العمل يجب ألا يتوقف حتى يصبح الشعب الفلسطيني كله يسير في اتجاه الإسلام وهذا يتطلب المراحل الثلاث التي ذكرها الإمام الشهيد، وهي التعريف والتكوين والتنفيذ.

ونبدأ عادة بالتعريف، ولكن في بعض المراحل يكون التنفيذ والقيام بالعمل المسلح أحد وسائل التعريف بالفكرة الإسلامية، وهو ما يسمى بالدعاية المسلحة، وعلى هذا يجب بذل الجهد في تعريف الناس بدينهم عبر المساجد وأماكن التجمع والصحافة والحوار والنقاش والتظاهر وإحياء المناسبات الإسلامية والأفراح الإسلامية ونشر الزي الإسلامي للنساء، ونشر العادات الإسلامية في المدارس والمجتمعات ومحاربة الرذيلة بشتى أنواعها من الاختلاط في المدارس والجامعات وبيع الخمور والمخدرات، والقضاء على أوكار الزنى والعمالة وتبنّي كل وسيلة من الممكن أن تقرب الناس من دينهم.

ثانياً: تكوين الفرد المسلم تكويناً جيداً



عبر التربية المستمرة والسليمة، بحيث يقوى عقيدياً وأخلاقياً وجسدياً، وتربيته تربية جماعية إسلامية. يقول الإمام الشهيد حسن البنا: «إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ.

يسهل كثيراً أن تتخيلوا ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالاً باللسان، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلين من هذا الكثير يثبتون عند العمل، وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا ولكن قليلاً منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله عز وجل، وفي قصة طالوت بيان لما أقول.

فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل، العمل القوي البغيض لديها الشاق عليها، وأفطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها. وفي الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم بكم عنان السماء وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإني فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «ولن يُغلَب اثنا عشر ألفاً من قلة»[٢].

---

٢ رسالة المؤتمر الخامس.

وبالطبع هذا الرقم الذي حدده الإمام وهو نابع من حديث رسول الله لا يلزم الحركة الإسلامية ألا تقاتل قبل بلوغه، ولكنه الحد الذي حدده رسول الله ﷺ الذي لا يُهزم نتيجة قلة عدده، وإنما تكون هزيمته نتيجة خلل في تكوينه وعقيدته وأخلاقه، كما حصل للجيوش العربية؛ فقد قاتل رسول الله ﷺ وجيشه ثلاثمائة رجل، والمسألة مسألة اجتهاد.



والتكوين الفردي للشخصية الجهادية

يتطلب التدريب على: ١. تقوى الله ومحاسبة النفس وضبط الشهوة. ٢. حماسة القلب. ٣. الصبر والثبات الطاعة. ٤. التضحية بالنفس والمال. ٥. الطاعة والتنظيم. ٦. الحذر واليقظة. ٧. التخلص من الأفكار السلبية المعطلة.

والتكوين الجماعي للشخصية الجهادية يتطلب التربية على: ١. الوحدة. ٢. توثيق الرابطة. ٣. إخلاص الولاء لله ولرسوله. ٤. الاستقلال والتميز ٥. إعلاء القيم الجهادية ٦. التنظيم ٧. الإعداد المادي[٣].

عملية التكوين والتربية أيضاً عملية مستمرة يجب ألا يغفل عنها في أي لحظة؛ فقد كان رسول الله ﷺ يحرص على تربية أصحابه في كل وقت حتى في أثناء المعركة واشتداد القتال وبعد المعركة، والقرآن الكريم زاخر بهذه المعاني وهو يعالج نفسياً المؤمنين بعد غزوة بدر كما في سورة الأنفال، وبعد غزوة أحد كما في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة، وغيرها.

---

٣ يُراجَع كتاب: أثر التربية الإسلامية في تكوين الشخصية الجهادية، للدكتور محمد نعيم ياسين.

وتحت عنوان **«ماذا نعني بالتربية الجهادية» يقول الأستاذ فتحي يكن:** «التربية الجهادية لا تعني بحال إسقاط جوانب التربية الأخرى من الحساب.. لا تعني التفرغ للتربية العسكرية وشؤون القتال.. لا تعني إهمال التربية الروحية والفكرية وإغفال التربية السياسية والحركية. وإنما تعني تأصيل الروح الجهادية لدى الفرد والجماعة وجعل هذه الروح وشيجة الربط بين سائر الاهتمامات بالجوانب الرئيسية لها. تعني إيجاد الإنسان الذي يعيش من أجل الإسلام.. الإنسان الذي يدرك عظمة دوره وخطورته ودقته فهو لا يتوانى يهيئ نفسه ويستعد للقيام بهذا الدور على أكمل وجه.. الإنسان المعلق قلبه بالله وبالآخرة، فهو لا يعيش لدنياه، مقدماً فضول الوقت والجهد لآخرته ودعوته.. الإنسان المتلهف إلى الشهادة في سبيل الله والذي يعيش حقيقة الشعار الذي يردده: الموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

إن التربية الجهادية هي التربية التي تجعل الإنسان كائناً ما كان اختصاصه وعمله مجاهداً في سبيل الله، مسخراً اختصاصه للجهاد في سبيل الله؛ فهو عالم ومجاهد، وهو طبيب ومجاهد، وهو كاتب ومجاهد، وهو مهندس ومجاهد، وهو معلم ومجاهد، وهكذا. يكون الجهاد السمة المميزة والقاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً. إن التربية الجهادية توجب إعطاء مساحة أكبر من الاهتمام بأمرين أساسيين:



أولاً: الاهتمام بالنفس بربطها بالله والشوق إلى لقائه والموت في سبيله، وبالتالي موتها عن كل ما يركن بها إلى الأرض وشهواتها ولو كان حلالاً طيباً وبذلك تكون نفساً مجاهدة.

ثانياً: الاهتمام بالجسد فيكون معافى قوياً يمتلك كل إمكانات الدفاع والهجوم وخبرات الدفاع والهجوم، وخاصة في عصر تعددت فيه هذه الخبرات والعلوم، ورسول الله ﷺ يقول: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم»[٤].

وهكذا عن طريق البعث الإسلامي وتوسيع قاعدته وعن طريق التكوين والتربية المستمرة، تضمن الحركة الإسلامية استمرار الجهاد وتصعيده مهما كانت التضحيات.

إن أخطر ما واجهته الحركة الوطنية في حربها مع العدو هو اختراقها من قِبل أجهزة المخابرات المعادية، والتربية الإسلامية الجهادية هي خير وسيلة لتجنب ذلك، لا يعني هذا أن من المستحيل اختراق العمل الإسلامي فهو ليس مجتمعاً ملائكياً، ولكن إمكانية اختراق العمل الإسلامي القائم على التربية الجيدة تكون أكثر صعوبة بكثير على مخابرات العدو. إن أهم أسباب الإسقاط الأمني التي تستخدمها المخابرات الصهيونية هي الإسقاط الأخلاقي.. يوقعون الشباب في الزنى والمخدرات فيكون فريسة سهلة لهم، والتربية الإسلامية هي الرد الصحيح لقفل هذا الباب في وجه الإسقاط الأمني.

ثالثاً: ممارسة العمل المسلح



أهميته: إن أهمية ممارسة العمل المسلح تكمن في:

١. أنها قيام بفريضة الله عز وجل «الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، لا يبطله عدل عادل ولا جور جائر».

إن كل المسلمين اليوم آثمون في قعودهم عن الجهاد في فلسطين إلا مَن هو سائر في هذا الطريق «من مات

٤ عن كتاب: أبجديات التصور الحركي الإسلامي، ص٨٩-٩٠.

ولم يغزُ ولم تحدّثه به نفسه.. مات على شُعبة من النفاق»[٥]. وهكذا فالجهاد واجب لإرضاء الله عز وجل ولرفع غضبه عن الأمة الإسلامية المقصرة.

٢. إبقاء القضية الفلسطينية حية في قلوب المسلمين؛ فإن أهم أهداف اليهود الآن هي فرض تقبل الأمر الواقع على المسلمين، وقد قبلت بذلك الدول العربية والكثير من أبناء الشعب المسلم نتيجة للتجهيل واليأس. الجهاد في فلسطين يذكر القلوب الغافلة من أبناء المسلمين ويشعرهم بما يدبر لهم اليهود من الإذلال إنه ليس كالصراع محركاً للمشاعر المخدرة، وقديماً قيل: إن وجود الظلم لا يولّد الثورة ولكن الشعور بالظلم هو الذي يولّد الثورة. وعن طريق الجهاد المسلح نوقظ الشعور المخدر في نفوس المسلمين التي استكانت إلى الذل ورضيت بالحياة الدنيا واطمأنت بها.

٣. إن الجهاد المسلح في حرب فلسطين يبقي الأمل في نفوس المسلمين بإمكانية التحرير، ويوحي بأن المسلمين لن يستكينوا مهما قَوِي عدوهم، ومهما ساندته كل قُوَى الشر والباطل، إنه دليل على أن هناك حياةً في هذا الجسد الممدد. إن وجود فئة مجاهدة في فلسطين على الرغم من كل وسائل القمع الصهيوني هو دليل على أن الأمة لن تستكين لهذا العدوان وهذا الظلم طويلاً، وكثيراً ما يبدأ السيل القوي بقطرات المطر.

٤. إنه من لوازم التربية الإسلامية والتكوين الإسلامي، فدون ممارسة القتال تظل هذه التربية نظرية، إن انتماء الإنسان إلى جماعة تمارس الجهاد المسلح حقيقة وليس إعلاماً، يجعله دائماً متحفزاً مستعداً للقاء الموت ويعرف أن دوره آتٍ ليقدّم روحه في سبيل الله، وهي بذلك تخدم في تنقية الصف من الوصوليين والانتهازيين والضعفاء.

---

٥ رواه مسلم وأبو داود.

٥. إن وجود فئة إسلامية متميزة بإسلامها تمارس الجهاد بصدق ومثابرة سيكون له أبلغ الأثر في إيقاظ روح الإسلام في أبناء الأمة، سواء على مستوى الأرض المحتلة أو في أنحاء العالم الإسلامي، فهذا نور الدين زنكي حين بدأ بأعماله الجهادية في الشام ضد الصليبيين رأينا أهل بغداد يقفون بباب الخليفة يطالبونه بتجنيد الجيوش لدعم نور الدين وهتفوا به صائحين: «وا إسلاماه! وا دين محمداه!». وشرط مهم لحصول الصحوة الإسلامية أن تكون هذه الفئة متميزة بإسلامها ولا تعتمد في تمويلها إلا على ذاتها، حتى يكون قرارها مستقلاً ولا تحكم فيها الأنظمة.

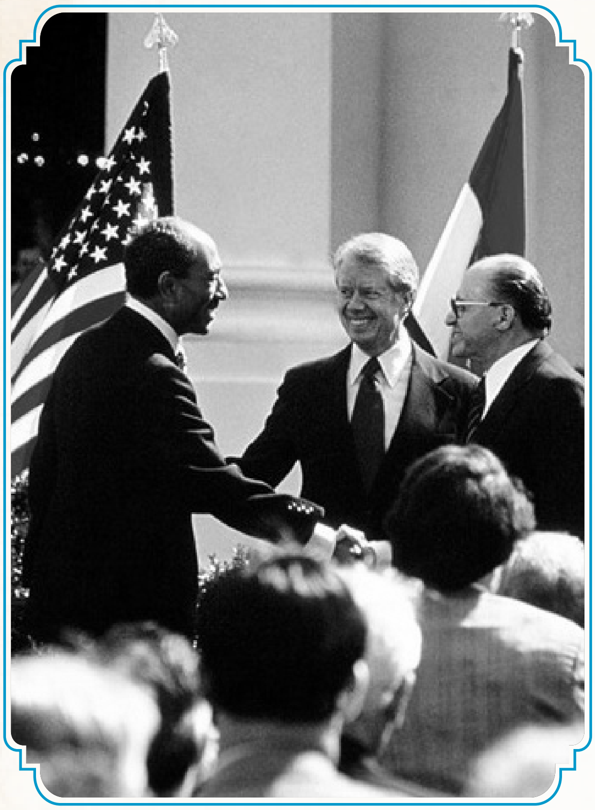


لا بأس أن تبدأ هذه الفئة بدايات بسيطة بإمكانياتها الذاتية وتطور قدراتها مع الزمن. المهم أن تحافظ على استقلالها باستمرار وتستمد عونها من الله.

٦. إن للحركة الإسلامية في الأرض المحتلة دوراً مهماً في عملية التحرير الكبرى حين قدوم الجيش الإسلامي بعد تكوين الدولة الإسلامية، وهذا الدور هو في ضرب القوات الصهيونية من الخلف، وما لم تكن الخبرة القتالية الكافية والممارسة الجهادية العملية متوفرة عبر سنين طويلة سيكون من الصعب مساندة هذا الجيش.

وحين تذكر هذه الأهمية تذكر أن تركيا صمدت في وجه محاولات الإنجليز احتلال الشام طويلاً، ولكن حين قام فيصل بن الحسين وأثار السكان في الشام وقام بجيشه بحرب العصابات في مؤخرة الجيش التركي انهار الجيش التركي. وكذلك كان من أهم أسباب سقوط ألمانيا في الحرب العالمية الثانية الثورات المسلحة، وهو حرب العصابات التي كان يقوم بها سكان المناطق المحتلة.

وعند قراءة هذه الفقرة قد يستغرب البعض هذا الطرح ويرونه مبكراً جداً فإن الجيش الإسلامي لا يلوح في الأفق. أقول: إن الأرض الإسلامية تموج بالحركة وميلاد الجيش الإسلامي لن يكون بعيداً ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ١٥].

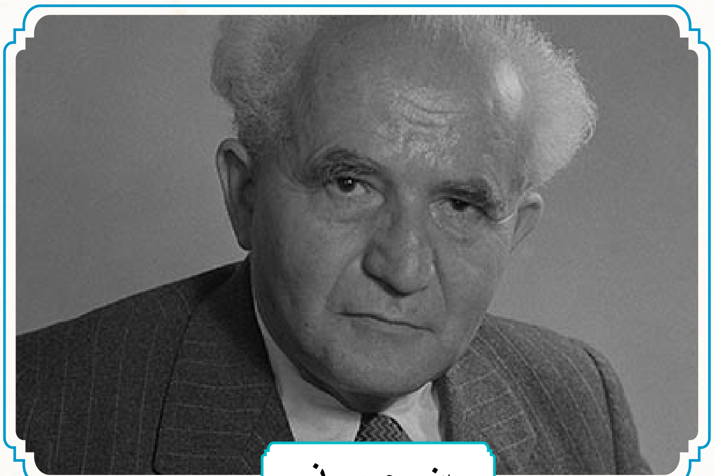


٧. إن دول المنطقة الهزيلة متهالكة على عقد أي صفقة مع إسرائيل من أجل الحفاظ على ذاتها،

وهي في سبيل عقد هذه الصفقة لا تتورع عن بيع فلسطين بمصالح إقليمية من أجل الحفاظ على الحكم كما فعل (السادات) في (كامب ديفيد)، وكما ينوي أن يفعل غيره، ووجود حركة إسلامية مسلحة في الأرض المحتلة سوف يحبط هذه المخططات، ويكشف القناع عن الذين يطرحونها، وتعرّيهم أمام شعوبهم.

إن عقد أي صفقة بين هذه الأنظمة وإسرائيل سيؤخر عملية البعث الإسلامي إذ ستتفرغ هذه الأنظمة لسحق الحركة الإسلامية بناء على طلب من إسرائيل؛ كما فعل السادات حين اعتقل كل القيادات الإسلامية قبل اغتياله بشهر بعد أن احتج (مناحم بيجين) على دور الحركة الإسلامية في مصر المعادي لإسرائيل، وحينها بدلاً من أن يجاهد المسلمون في فلسطين سوف يكون جهادهم لإثبات حقهم في فلسطين الذي ضيعته هذه الأنظمة. يجب أن تمنع الحركة الإسلامية بكل الوسائل الاعتراف بأن أرض فلسطين أو أي جزء منها لليهود وما لم تكن الحركة الإسلامية مقاتلة فإنها لن تستطيع ذلك.

٨. إن إسرائيل منذ بداية الفكرة الصهيونية وحتى قيام دولة إسرائيل وبعد قيام الدولة، قائمة أساساً على فكرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكلما كانت دولة إسرائيل قوية ومستقرة تزداد نسبة هذه الهجرة وتزداد نسبة توظيف الأموال العالمية فيها وبالذات الأموال اليهودية، ولذلك يجب على الحركة الإسلامية ألا تشعر اليهود بالاستقرار لأن ذلك سيؤدي إلى تقليل معدلات الهجرة هذا إن لم يؤدِ إلى الهجرة المعاكسة. إن اليهود هم كما وصفهم الله سبحانه: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، ولذلك فإن إيقاع الخسائر والأرواح عندهم يُشرِّد مَن خلفهم وهذا من شأنه أن يحدّ من نمو المجتمع الصهيوني ويوقِف شهيته التوسعية، **ولقد قال (بن جوريون) بعد حرب ٦٧: «أخبر الغرب أن يُرسل لي أربع ملايين من اليهود»**. طبعاً ليعمر المناطق التي احتلتها.



بن جوريون

لقد كانت أعلى معدلات الهجرة بعد انتصار اليهود في حرب ٤٨ وكذلك بعد انتصارهم في حرب ٦٧، وكان أدنى معدلات هو بعد حرب أكتوبر. إن إيقاف الهجرة أمر حيوي فبدلاً من أن يُواجِه الجيش الإسلامي دولة مكونة من عشرة ملايين يواجِه دولة ذات ٤ ملايين أو أقل. وقد يُقال: إن التكنولوجيا الحديثة عوضت في ساحة القتال عن الطاقة البشرية. ولكن هذه المقولة ليست صحيحة على إطلاقها، فلا زال للعامل البشري الدور الأساسي لكل الحروب.

٩. التدمير الاقتصادي للكيان الصهيوني: على الحركة الإسلامية في الأرض المحتلة أن تقوم بتدمير البنية الاقتصادية للكيان، وهي التي تمد آلة الحرب الصهيونية بالمال والطاقة اللازمة، ورغم كل ما يُقال من الدعم

الأمريكي والغربي لليهود فإن لديهم قاعدة اقتصادية قوية وهم يحلمون بالاكتفاء الذاتي، والذي يجعلهم في حاجة للغرب وهو كثرة النفقات العسكرية. فعن طريق التدمير المؤثر للمؤسسات الصناعية والمحاصيل الزراعية نستطيع أن نصيب الدولة اليهودية في مقتل؛ فمال اليهودي أهم لديه من روحه، وصدق فيهم الشاعر:

عبيد المال ما عبدوا سواه •• له تسبيحهم وله الركوعُ
إذا رنت دراهم من بعيد •• أصابهمُ لرنتها خشوعُ



إن اليهود سيضطرون لإجراءات حماية إضافية وهذا سيزيد في كلفة الصناعة عندهم ويؤثر على النمو الاقتصادي؛ للشعور بعدم الاستقرار فتقل نسبة الاستثمار، وكما يقولون: إن رأس المال جبان. بمعنى أن أصحاب رؤوس الأموال يبحثون دائماً عن الاستقرار ليضمنوا سلامة أموالهم. ولنضرب مثالاً واحداً على ذلك: انتشرت ظاهرة سرقة السيارات وبيعها كقطع غيار من داخل الأراضي المحتلة، دون شك لم يكن الدافع وطنياً أو سياسياً، فماذا حصل؟ لقد أفلست شركات تأمين السيارات في إسرائيل نتيجة لذلك.. فماذا لو امتدت يد التدمير إلى مصادر أخرى؟ سيكون لها أثر بالغ ولا شك على الاقتصاد الإسرائيلي مهما جاءه من الدعم، على شرط أن يكون العمل مؤثراً.

١٠. وهناك نوع من الجهاد يسمى الجهاد السلبي، وهو داخل الأرض المحتلة لا يقل أهمية عن الجهاد المسلح، ونعني بالجهاد السلبي مقاطعة العمل الإسرائيلي والبضائع الإسرائيلية، ورفض دفع الضرائب للدولة اليهودية، نعلم أن ذلك الأمر ليس بالسهل. لقد حاولت إسرائيل بكل الوسائل منذ سنة ٦٧ ربط الاقتصاد

في الأرض المحتلة بعجلة الاقتصاد الإسرائيلي، واستغلت المناطق المحتلة كسوق استهلاكي للبضائع الصناعية والزراعية والإسرائيلية، وكمصدر لليد العاملة الرخيصة، وبالذات في المجالات التي يترفع عنها العامل الإسرائيلي كمجالات البناء والنظافة والزراعة اليدوية.. فشكلت تبعية اقتصادية كاملة بالإضافة إلى العامل النفسي، وهو الشعور بالدونية، وعملت على منع أي تطوير للصناعة في الأرض المحتلة إلا في مجالات هامشية، وعملت على تضييق الخناق على منتوجات الأرض المحتلة، وبطبيعة الحال تم ذلك بتخطيط محكم وبقدرة الدولة وسيطرتها لتنفيذ ما تريد، وبعجز المواطن المسلم حين يفقد الروح الجهادية والجماعية عن التحدي.

إن القيام بهذا الدور ليس سهلاً ويتطلب وقتاً وجهداً كبيرين، والأهم من كل ذلك أنه يتطلب وعياً كاملاً من الجماهير وإرادة جهادية عالية. وهذا لا يتم إلا عن طريق الإسلام، حين نُعلّم الجماهير أن تقلل من استخدام الكماليات التي تُستورد كلها من إسرائيل، وتبعدهم عن عادات المباهاة والإسراف، والقناعة بالقليل، فإنهم لن يضطروا للعمل في إسرائيل إلا نادراً.

إن هذا الأمر لا يأتي بالقوة كما حاولت بعض القوى فرض ذلك، ولكن بالوعي الجماهيري الإسلامي الذي يشعر أن كل تعاون مع اليهود فإنه رجس. ونجد مثلاً أن العامل سيقتنع بالعمل في أرضه بنصف الأجر ولا يذهب للعمل في إسرائيل، وكذلك توعية أصحاب رؤوس الأموال والأراضي بضرورة عدم استغلال اليد العاملة لمصالح



أنانية، وهؤلاء إن لم يُجدِ معهم الإحسان والكلمة الطيبة فاستخدام القوة والتخويف أمر ضروري ولا حرج في ذلك. المهم أن نبدأ خطوة خطوة على طريق الوعي والتربية الإسلامية وسنصل بإذن الله.

١١. **ككل بلد محتل في الدنيا**، تعمل السلطات المحتلة على تجنيد عملاء لها في كل قطاع من قطاعات الشعب المستعمَر، وقد قام اليهود في هذا المجال بما لم يقُم به غيرهم؛ فهم ملوك هذا العمل في العالم، وبدأت المخابرات الصهيونية في تجنيد العملاء في كل المستويات للقيام بأدوار لا تقل خطورة عن أدوار الجيش الإسرائيلي إن لم تزد عليه. ولنضرب مثلاً: لا تتوانى التصريحات من زعماء الكيان الصهيوني عن ترداد أن خير وسيلة للقضاء على الإرهاب -بزعمهم- هي الاستخبارات الجيدة، بمعنى زرع العملاء في وسط الشعب الفلسطيني واختراق العمل المسلح الفلسطيني، وأخذت العمالة أشكالاً وصوراً متعددة، منها:



- **المخبرون الذين يبلغون عن تحركات المقاتلين أو النشطاء السياسيين**، وهم منتشرون في جميع الأوساط.

- **المجندون الذين يخترقون العمل الفدائي ويعملون داخله فيعرفون أسراره ويبلغونها للمخابرات**، فتُحبط العمل المسلح وتعتقل العشرات وتضيّع جهوداً ثمينة، وهذا أخطر نوع، وتعتمد عليه المخابرات الصهيونية اعتمادا وثيقاً.

- **العميل الأخلاقي**، الذي يقوم بنشر الرذيلة والفساد.. تجار المخدرات والخمور والفرق الموسيقية، وقد أثبتت التحقيقات أنهم مصدر رئيسي لتزويد المخابرات بالعملاء بعد إسقاطهم.

•• **العميل الفكري،** وتمثل هذه الظاهرة في مجموعة من الكُتّاب والصحفيين، هدفهم نشر روح اليأس تحت اسم تفهُّم الأمر الواقع، وقتْل روح الجهاد في الناس تحت اسم التعايش بين الشعبين العربي والإسرائيلي، فضلاً عن نشر المواد اللا أخلاقية والدعوات الهدامة في المجتمع؛ كما تفعل بعض المجلات النسائية وتقليعات ملكات الجمال والإباحية النسائية، وكذلك الترويج للأفكار الماركسية في وسط الشعب المسلم، ونشر الفكر الغربي بكل انحلاله، وبرغم نشر بعض المقالات الوطنية في بعض هذه المجلات حتى تأخذ حماية لها من المنظمات إلا أن غالبية ما تنشره له آثاره المدمرة على الفكر الإسلامي للشعب الفلسطيني.

•• **العميل السياسي:** وهو العميل الذي ينفذ المخططات الصهيونية، وليس بالضرورة أن يكون مخبراً يدلي بمعلومات عن ثائر. هؤلاء يكمنون في مدراء الدوائر المختلفة؛ كالتجارة والصناعة والتموين والبلديات والعمل والصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية وغيرها. إن هذه الدوائر محشوة حشواً بأمثال هؤلاء العملاء، واليهود لا يستطيعون تنفيذ سياستهم إلا عن طريق هؤلاء لأنهم المنفذون الحقيقيون واليهود فقط للتخطيط، ولنضرب مثلاً بإشاعة التعليم المختلط في الأرض المحتلة، والذي لم يكن موجوداً في السابق، وبالذات في المدارس الإعدادية والثانوية؛ حيث تدمير أجيال المراهقين.

•• **العميل الاقتصادي:** وهو الذي يسوّق المنتجات الإسرائيلية ويشجعها، ويشكل أصحاب الوكالات في الغالب نموذجاً لذلك، وإن يكن الكثير منهم يعملون دون وعي طمعاً في الربح المادي فقط، ولكن عدم وعيهم لدورهم في تخريب الاقتصاد المحلي يصب في النهاية لمصلحة الكيان الصهيوني.



إن الجهاد ضد هذه الفئات أمر متحتم على الحركة الإسلامية حتى تحدّ من التأثيرات الهدامة لهؤلاء العملاء.

والجهاد يتخذ أشكالاً متعددة، منها: التوعية، حتى لا يقع البسطاء في هذه الشباك، ومنها: التخويف، لمن لا يردعه ضميره، ومنها: القتل، لمن تورط في الإضرار المباشر بإخوانه المسلمين.. إن مما ساعد على انتشار هذه الظاهرة بهذه الكثافة إلى درجة أن المخابرات صار عندها فائض من العملاء وصارت تسقط لمجرد الإسقاط والتخريب، وإن مما ساعد على ذلك عدم وجود الرادع الموضوعي بالإضافة إلى غياب التربية الذاتية. وإن تصفية مجموعة من هؤلاء العملاء وتعرية البعض الآخر كفيل أن يضيق الباب أمام ولوج غيرهم إن لم يكن إقفاله نهائياً.



بداية تأسيس حركة حماس في الضفة الغربية



د. عدنان مسودي

من مؤسسي حماس في الضفة الغربية*

تواصل نشاط الأسرة الأولى والأسر المنبثقة عنها حتى صار لدينا ما يزيد على الأربعين أسرة، وأذكر ذات مرة أن الإخوة في عمّان سألوني عن أسرنا، فقلت لهم إن لدينا نحو 34 أسرة و43 نقيباً، وكان هذا الأمر في مطلع الثمانينيات، وكان لوجود الجامعة أثر في زيادة هذا العدد وتكاثره، كما انضم إلينا عدد من الإخوة الذين درسوا في الخارج، فجاءنا من كلية الشريعة في الجامعة الأردنية إخوة منهم: راسم شاور ومحمد جمال النتشة، وجاءنا مَن درَس في الجامعة الإسلامية

* بلال محمد (تحرير)، إلى المواجهة: ذكريات عدنان مسودي عن الإخوان المسلمين في الضفة الغربية وتأسيس حماس، ط١ (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، ٢٠١٣م)، ص٩٥ وما بعدها.

في المدينة المنورة أمثال عبد الخالق النتشة، وعادل الجنيدي وماهر القدسي، وقد تكاثرنا وازددنا عدداً بطريقة لافتة للنظر، واستطعنا السيطرة على مجلس الطلبة في جامعة الخليل، وجامعة البولتيكنك وفي عدد من المعاهد والمدارس، وكان هناك قسم مهتم بالطلبة قبل التخرج من التوجيهي، وقسم لمتابعة الطلبة في الجامعات، وبدأت تلمس مظاهر نشاط الحركة الإسلامية وجماعة الإخوان المسلمين قبل اندلاع الانتفاضة بفترة. وبالإضافة للنشاط في مجالس الطلبة والنقابات، برز نشاطنا في المساجد بالدروس والاحتفالات المقامة في المناسبات المختلفة كالإسراء والمعراج ومهرجانات الأعراس، وقد جذب هذا انتباه الاحتلال والفصائل الأخرى، ودلّ على وجود حركة إسلامية وإن لم تكن تعمل في العلن.

وعند العودة عملت مع الأخوة محمد عيد مسك وعز الدين فراح، كقيادة ثلاثية بدلاً من الخماسية، حيث شكل الإخوة مجلس شورى في أثناء سفري، واختير خمسة إخوة كهيئة إدارية للدعوة في محافظة الخليل وهم: محمد عيد مسك وفتحي عمرو وقاسم شاور وماهر بدر وعز الدين فراح، وعندما حضرت من دمشق ألحّوا عليّ كثيراً لاستلام الأمر، وكنت أؤجّل الأمر بداية لأنني توقعت أن أُطلب من المخابرات بسبب غيابي ثلاث سنوات في دمشق، ثم وافقت لاحقاً وعقدت أول جلسة، استقال فيها الإخوة فتحي عمرو بسبب البعد في السكن، وقاسم شاور وماهر بدر لانشغالهما. ازداد العدد، وازداد العمل، وازداد نشاط الكتل الإسلامية في الجامعات والمعاهد، وخلال هذه الفترة تخرج الأخ محمد جمال النتشة من



محمد جمال النتشة مع بعض الأخوة

الأردن، وكان نشيطاً فكُلف بالعمل كمسؤول عن الكتل الإسلامية من الخارج، وكانت تربطه بالأخ عبد الخالق النتشة علاقة مباشرة، حيث إنني كنت أعتمد عليه في العمل، وكنت قبله أعتمد على الأخ ماهر القدسي، كان النشاط الدعوي بين صفوف طلاب الجامعات والمدارس أهم جزء في العمل الدعوي في الضفة الغربية وقطاع غزة، وكانت المشاكل تعكر صفو هذا العمل، خاصة مع فتح، والجبهة الشعبية، والشيوعيين في جامعة النجاح وبيرزيت، وفي غزة، وكذلك في الخليل.

المكتب الإداري العام


عبدالفتاح دخان

عملتُ عضواً في المكتب الإداري العام للإخوان المسلمين في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة ١٩٨٠-١٩٩٠، وهو الذي اتخذ قرار تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وانبثق منه لاحقاً المكتب السياسي في الداخل، ولم يتم الاعتراف عليه في التحقيق في سجون الاحتلال على الرغم من اعتقال معظم أعضائه، وكان يرأسه الأستاذ عبد الفتاح دخان أبو أسامة، وقد توفي من أعضاء ذلك المكتب ثلاثة: ناجي صبحة وسعيد بلال وحسن القيق رحمهم الله جميعاً. ولا بد من ذكر أن الحاج راضي السلايمة -رحمه الله- كان يرأس اجتماعات المكتب الإداري العام قبل الأخ عبد الفتاح دخان، وقد حضرت مرة اجتماعاً في بيته في البلدة القديمة في حارة النصارى في القدس، وكانت اجتماعات المكتب دورية تجري في أماكن متعددة، فبالإضافة لبيت الحاج راضي في القدس، كان بيت

المهندس حسن القيق -رحمه الله- أو بيت الشيخ سعيد بلال أبو بكر -رحمه الله- في نابلس، أو في عنبتا ببيت الشيخ ناجي صبحة -رحمه الله-، وكنّا نغير المكان في كل شهر. ومن هذا المكتب صدر قرار مواجهة الاحتلال في ١٩٨٧/١٠/٢٣، الذي اتُّخذ بعد اجتماع في بيت الأستاذ حسن القيق -رحمه الله- في دورا قضاء الخليل.



الشيخ ناجي صبحة

قرار حماس

في ذلك الاجتماع كانت المبادرة والكلمة الأولى للأستاذ ناجي صبحة -حفظه الله- حين قال: إن الأوان قد آن للعمل والجهاد ضد الاحتلال ومواجهته، ففرحت كثيراً بقوله ووافقنا جميعاً على هذا الاقتراح، وكم طلبت منهم ذلك مراراً وتكراراً وهم يقولون لي: انتظر. كنّا في الاجتماع سبعة، فبالإضافة إلى مضيفنا الأستاذ حسن القيق -رحمه الله- كان الأستاذ عبد الفتاح دخان والأخ حماد الحسنات، والدكتور إبراهيم اليازوري، وقد كان الواحد منهما يحل محل الآخر في اجتماعات المكتب والأستاذ (م.م)، والشيخ ف.ص) والعبد الفقير الدكتور عدنان مسودي، وغاب عن الاجتماع الشيخ سعيد بلال لأنه لم يستطع الوصول إلى المكان في الوقت المناسب، وهذا التاريخ قل من يعرفه.

وقد قرر المجتمعون أن يتركوا لكل مدينة الخيار بأن تعمل بالكيفية التي تراها مناسبة، ولكن أهل غزة سبقونا إثر استشهاد أربعة مواطنين دهساً، من قبل المجرمين الصهاينة، فقام الإخوة بإضراب عام

ومواجهات مع جيش الاحتلال، ثم تطورت الأمور لتشمل الضفة الغربية والقدس والمدن والمخيمات بعد شهر من بدئها في غزة، وبعد اجتماع للمكتب الإداري عقد في ١٩٨٨/١/١٠ في القدس في بيت الأستاذ حسن القيق -رحمه الله- في المدرسة الصناعية في دار اليتيم العربي، اتخذ قرار استمرار الانتفاضة، وبدأ العمل في جميع أنحاء الضفة الغربية بالوسائل والأعمال نفسها التي حصلت في غزة، وهكذا اشتعلت المواجهات في الضفة الغربية عموماً، وفي جميع المدن والقرى والمخيمات، علماً أن مخيم بلاطة كان قد بدأ قبل ذلك بسبب علاقة تنظيمية مع شخص الأخ عبد الفتاح دخان الذي كان مكلفاً بترتيب الأمور في نابلس، وتقسيمها إلى مناطق وإجراء انتخابات داخلية فيها.

إدارة الانتفاضة واسم حماس



حسن القيق

أصدرت الحركة أول بيانين وكانا غير مرقمين، ولكنهما مؤرخين صادرين في قطاع غزة وبتوقيع حمل اسم حركة المقاومة الإسلامية، ولم يكتب فيها كلمة غزة، ولم ينشرا في الضفة الغربية، ولهذا ظن بعض الإخوة في غزة أنهم هم وحدهم الذين أسسوا حركة حماس، أما اختصار حركة المقاومة الإسلامية إلى حماس، فتم الاتفاق عليه في بيت الأستاذ حسن القيق الذي كان صاحب الاقتراح -رحمه الله- فقد كنا نضع (ح. م. س) تحت حركة المقاومة الإسلامية، فجاء يوماً وعرض علينا إضافة الألف بعد الميم، ولربما اقترحه عليه أحد الأخوة، ذلك لأنهم كانوا ينتقدون الاختصار السابق «ح. م. س» فقلت له: إن حماس كلمة يقابلها الفتور والكسل، وقد ذكرها الإمام الشهيد حسن البنا -رحمه الله- في موضع الذم في المؤتمر الخامس، حيث قال مخاطباً



المتحمسين بأن يذهبوا إلى غير هذه الدعوة إذا أرادوا أن يقطفوا الثمرة قبل نضجها، فأصر الأخ أبو سليمان -رحمه الله- وقال: إنه أخرجها من القاموس، ومعنى حماس الشدة والقوة، فكان له ما أراد، وأضيفت الألف في البيانات التالية بكلمة حماس ...

إن العمل الفعلي في الانتفاضة قد عم كافة الضفة الغربية، مدناً وقرىً ومخيمات بشكل عام في شهر كانون الثاني/ يناير سنة ١٩٨٨، وصار يصدر بيان حماس كل أسبوعين من كل شهر، عبرت فيه الحركة عن سياستها وخططها وطموحاتها وفعالياتها، وكنا نصيغه في أغلب الأحيان في القدس في منزل أبي سليمان -رحمه الله-وكان هو الذي يصيغه ويشاركه الأستاذ عبد الفتاح الدخان، أو الأستاذ ناجي صبحة -رحمه الله-.

وأحياناً كانت تتم صياغة البيان في غزة، فيوكل به الأستاذ عبد الفتاح دخان ثم يرسل لنا نسخة، وبعد أن اعتُقِل جميع الإخوة في قيادة الحركة في قطاع غزة، أرسل الشيخ أحمد ياسين المهندس إسماعيل أبو شنب -رحمة الله عليه- بدلاً من الإخوة المعتقلين في غزة، وكان يسأل ويشاور الشيخ أحمد ياسين قبل وبعد حضوره إلى القدس، وكان الشهيد إسماعيل أبو شنب يعمل في وكالة الغوث للاجئين في غزة.

ولا أنسى اجتماعنا في سيارة الأخ حسن القيق، أنا والأستاذ ناجي والمهندس إسماعيل والشيخ (ف ص)، كان المهندس يقود السيارة ويلف في شوارع المدينة نتشاور في نص البيان الذي كانت

تحدد فيه حركة حماس مواقفها، وأذكر مرة أن الشيخ أحمد ياسين -رحمه الله- صرح بعدما سُئل في صحيفة النهار، بقوله جواباً لسؤال حول الحل، فلم يعجبنا هذا التصريح، فمحوناه من البيان، واتفقنا أن حركة حماس لا ينطق باسمها إلا البيان.

كما كانت تحدد في البيان الفعاليات اليومية، وكنا نختار أياماً للإضراب في عدد من المناسبات المختلفة، وكثيراً ما كنت أذكرهم بمناسبات مخفية مهمة كيوم استشهاد القائد المصري الأخ أحمد عبد العزيز المدفون في بيت لحم، وعلى قبره سارية -رحمة الله عليه- أما الآن فقد استولى الصهاينة على المقبرة، وحولوا مسجد بلال إلى كنيس يهودي يسمى قبة «راحيل».

وكنت أقترح أيضاً أن نلتزم ذكراً معيناً طوال شهر، مثلاً ذكر «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» مئات المرات، لقناعتي بأثرها في فك قيد الأسرى، خصوصاً بعد أن زادت الاعتقالات، وبعد هذا الشهر من الذكر، أفرج عن عدد من المعتقلين بحمد الله وفضله.



العلاقة مع القيادة الموحدة

وهكذا استمرت الانتفاضة وتعاظمت وكنا حطبها ولبها، وكنا نختلف أحياناً، القيادة الموحدة التي تشكلت بداية في القدس من أربعين عضواً إثر إضراب تجاري دعت إليه الغرفة التجارية احتجاجاً على الضريبة، وكانوا يجلسون في مجمع النقابات المهنية، ويحسبون أنهم هم الذين قادوا الانتفاضة،

وأن الشعب قد انتقض عفوياً وهم القيادة، وما علموا أن ما يجري على الأرض إنما هي أوامر وتعليمات قيادة الإخوان المسلمين السرية في الضفة والقطاع، واتضح ذلك بعد بدء صدور البيانات المطبوعة من قبل القيادة الموحدة، والتي نبهنا ترقيمها إلى ضرورة ترقيم بياناتنا ..

وحصل أن طلب مني محاولة التنسيق مع إخوتي بعد أن اعتقل «فيصل الحسيني». وفعلاً تحدثت مع شقيقي الدكتور تيسير -رحمه الله- وفرح كثيراً، وأخذ يتواصل معهم دون أن يذكر اسمي، لكن وبكل أسف لم ننجح في الاتفاق، حتى إننا لم نفلح في صياغة جملة في بياناتنا، وفي بيانات القيادة الموحدة نحض فيها الجماهير على الالتزام بفعاليات بياننا في بيانهم، وفعاليات بيانهم في بياننا.



ميثاق حماس

وصدر في هذه الفترة ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكان ذلك في شهر آب/ أغسطس ١٩٨٨، وسبق ذلك قراءته مرتين في منزل الأخ أبي سليمان حسن القيق -رحمه الله- ولي فيه كلمتان، الكلمة الأولى «قرارهم»، فعندما سأل القادة في الجيش الإسلامي الخليفة عمر بن الخطاب عن الأرض المفتوحة بالسيف، استقر رأيهم... فقلت: الأفضل استقر قرارهم، والكلمة الثانية عن منظمة التحرير فقلت: فيها الأب أو الأخ بدلاً من فيها الأب والأخ، والذي كتب مسودة الميثاق كان الأخ عبد الفتاح دخان.

الأيام الأخيرة في جهاد
عبد القادر الحسيني



باسل الأعرج

المثقف الشهيد، تقبله الله



بينما كان طالباً في الجامعة الأمريكية في القاهرة أنشأ عبد القادر الحسيني، ابن رئيس بلدية القدس السابق (موسى كاظم الحسيني) أول رابطة طلاب فلسطينية بعد أحداث هبة البراق ١٩٢٩م، ولكنه نُفِي من مصر على يد حكومة إسماعيل صدقي، فعاد إلى القدس وعمل كمحرر صحفي، وبعد وفاة والده ١٩٣٤م شرع بالإعداد والتخطيط لتشكيل خلايا مسلحة، وما أن بدأت ثورة عام ١٩٣٦م حتى انتقل هذا «المثقف المختلف» إلى العمل الجماهيري والسري، فاعتمد على تفجير المصالح الصهيونية وسكك القطارات وتصفية الضباط، فما لبث أن

باسل الأعرج، كتاب: (وجدت أجوبتي.. هكذا تكلم الشهيد باسل الأعرج)، ط ١، دار رئبال، القدس المحتلة، ٢٠١٨م، ص١٠٢-١١٨، باختصار وتصرف.

صار مطلوباً للإنجليز، فتحول إلى العمل العصابي المنظم، فترك القدس إلى الريف الفلسطيني، وأخذ يتدرج في عمله الجهادي من الكمائن إلى المعارك الكبيرة وحتى تحرير بعض المدن لعدة أيام، ثم أصيب واستطاع الهرب إلى ألمانيا وقضى فيها ٦ أشهر ليعود مع العام ١٩٣٧ إلى القدس مرة أخرى.

استأنف المعارك من جديد، وخاض معركة الخضر ومعركة عرتوف ومعركة بني نعيم الكبرى، فأصيب واعتقل مصاباً، لكنه تمكن من الهرب من المستشفى في القدس إلى دمشق، ثم تسلل سرًا إلى بغداد التي كان الحاج أمين الحسيني وصلها من بيروت سنة ١٩٣٩م، وفي بغداد اعتقل، فتدخل عدد من الملوك والرؤساء العرب لإطلاقه ونجحت وساطة الملك عبد العزيز فأفرج عنه وغادر إلى السعودية سنة ١٩٤٣م، وأقام هناك أقل من عامين، ومنها إلى ألمانيا ١٩٤٤م حيث خضع لدورة في المتفجرات وأتقنها إتقاناً تاماً.

في صيف ١٩٤٦م وبعد عودة المفتي أمين الحسيني إلى القاهرة، اجتمعت الهيئة العربية العليا مع بعض القادة السابقين لثورة ١٩٣٦م، واتفقوا على تشكيل (الجهاد المقدس)، إذ صار واضحاً أن الحرب قادمة لا محالة مع تطورات ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولما يبدو من التضخم الاقتصادي والعسكري والتنظيمي للعصابات الصهيونية في فلسطين.


عبدالقادر الحسيني برفقة بعض أعضاء (الجهاد المقدس)

في خطوة أولى شُكّل بعض الوحدات الصغيرة التي تتكون من خلايا لا يتجاوز أفرادها الخمسة لتنفيذ بعض المهام الخاصة. ومن هذه الوحدات:

١ وحدات الحرية التي كُلفت بالعمل على تنفيذ مقاطعة البضائع الصهيونية فأخذت تطارد المتعاملين مع اليهود وتلقي على بيوتهم ومخازنهم القنابل والمتفجرات، كما حرقت بعض المخازن بعد إنذار أصحابها الخارقين للمقاطعة.


عبد القادر الحسيني ١٩٤٨م

٢ فرق القوة التي كُلفت بمقاومة بيع الأراضي ومطاردة السماسرة، وقد تمكنت هذه الفرق من القضاء على بعض السماسرة المعروفين بعد إنذارهم عدة مرات.

٣ فرق الثأر وكانت مهمتها الرد على أعمال الصهاينة ضد العرب وكان لها أثرها الفعال خاصة في منطقة يافا عام ١٩٤٧م.

٤ المنظمة العسكرية العربية لفلسطين (p.m.o) وهي تشرف على جميع المنظمات والخلايا وتوجهها وتعد الأشخاص المسؤولين ورؤساء الفصائل، الذين ستعهد إليهم بمهمات تنظيم الدفاع والهجوم في مختلف أنحاء البلاد.

٥ منظمة الشباب بقيادة المجاهد كامل عريقات، وكان مقرها القدس.



٦ منظمة النجادة وكان مقرها يافا، وهي منظمة عسكرية قامت أثناء الاحتلال البريطاني، وضمت نخبة من الشباب العرب.

٧ منظمة الفتوة: وهي منظمة شبه عسكرية قامت في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني، وكان أول استعراض لها في بيت صفافا ثم في جبل الطور.

ما إن عاد عبد القادر الحسيني إلى فلسطين حتى انضوت كل تلك الخلايا تحت جناح الجهاد المقدس. وعملوا كذلك على تأسيس جهاز استخبارات طلب منه جمع المعلومات وتجنيد عدد ممن يتقنون اللغة العبرية، لجمع المعلومات عن المستعمرات اليهودية والمنظمات الصهيونية وأماكن تدريبها ومخازن أسلحتها وما إلى ذلك، فتمكنوا من اختراق بعض هذه المنظمات مثل الأرغون واشتيرن، وكان هذا الجهاز بقيادة عبد القادر الحسيني نفسه حيث كان يرسل تقريراً أسبوعياً إلى اللجنة العسكرية، يتضمن تحركات العدو وأسلحتهم وتحصيناتهم وخططهم، ونفذ هذا الجهاز أعمالاً خلف الخطوط الصهيونية، منها استيلاؤهم على بعض مخازن الأسلحة كما في مستودعات سلمة، أو إبلاغ سلطات الانتداب الإنجليزي عنها.

كذلك أنشئت إذاعة صوت القدس، بمساعدة من خبراء يوغوسلاف وخبير مصري ومهندسين من الإذاعة الفلسطينية، وكانت تبث من أحد الكهوف في الجبال، حيث تذيع البيانات والبلاغات الرسمية باللغة العربية والإنجليزية والعبرية، وظلت صوت حركة الجهاد حتى انسحب الإنجليز واستولى العرب على محطة الإذاعة الرسمية في رام الله، وقد أثارت هذه الإذاعة دهشة الإنجليز واليهود الذين عجزوا عن معرفة مقرها!

وجاء الإضراب الذي أعلنت عنه الهيئة العربية العليا لرفض قرار التقسيم، واعتداءات الصهاينة على العرب والمظاهرات التي عمت فلسطين في ٢ و ٣ و ٤ كانون الأول من عام ١٩٤٧م كإعلان لبداية الحرب، ليعود عبد القادر مرة أخرى إلى القدس قادماً من مصر عبر بئر السبع بعد أن حضر اجتماعات الجامعة العربية في عالية في لبنان، ليُعقَد اجتماع في الخليل في ٢٥ كانون الأول والإعلان عن الجهاد المقدس وتنظيم هيئة أركانه ومجلس قيادة ثورته، ويُنتخب عبد القادر كقائد عام.

طاف عبد القادر الحسيني في جولة واسعة في الخليل وقضاء رام الله وجنين ونابلس والعديد من القرى، فكان في كل هذه المناطق يجمع أسماء رؤساء المسلحين وينظم فرق الجهاد ورؤساءها، وكانت العادة أن يُشكّل لجنتين في كل منطقة: ١. لجنة الوجهاء للتوجيه والمساعدة وجمع المال. ٢. لجنة للشباب وكانت شعبتين: أ. شعبة لحراسة القرية. ب. شعبة يسجل فيها أسماء الشباب كاحتياط، ويختارون من الشباب المدربين على حمل السلاح.



في القدس، المنطقة التي قادها الحسيني بنفسه، كان الخوف قائماً من استيلاء عصابات الصهاينة على القدس، إذ كانت المستوطنات تحيط بها، ومنها تشن عدداً من الغارات التي تستهدف احتلال الأحياء العربية في القدس والبلدة القديمة والمسجد الأقصى وقطع كل الطرق المؤدية إليها، ولهذا قررت الهيئة العربية العليا بالقدس، إنشاء لجنة طوارئ تتولى مهام

حكومة الانتداب، وقُسّمت المدينة إلى ستة أحياء، وأقام المسؤولون عن هذه الفرق الاستحكامات المتينة، وحواجز الإسمنت المسلح في منافذ الشوارع المؤدية إلى القدس، من الأحياء اليهودية، كما احتلوا جميع العمارات التي تواجه الأحياء اليهودية وزودوها بأكياس الرمل، وكان المقاتلون يرابطون في هذه الاستحكامات ليلًا ونهارًا، كما وضع في البنايات المشرفة على المناطق اليهودي، عدد من أمهر الرماة (القناصين)، لاصطياد كل من يلوح من جنود الأعداء، وكثيراً ما أوقعوا بهم إصابات عديدة، حتى شلوا حركتهم، وبثوا الرعب في قلوبهم. وكان لكل حامية من هذه الحاميات، مقر مزود بأجهزة التليفون، ويرتبط بجميع مراكز الدفاع الأمامية، وبمراكز الحاميات الأخرى، وانتظمت كل قرى القدس والخليل ورام الله ونابلس في حاميات تدافع عن قراها، وشكلت خزانًا من القوات الاحتياطية لرفد المعارك بجانب القوات المتفرغة للجهاد المقدس.



افتقد «الجهاد المقدس» السلاح الثقيل الذي كان ضرورياً لمواجهة المستوطنات الصهيونية الحصينة ذات الأبراج الخراسانية وساحات الألغام والأسلاك الشائكة، ومن ثم اعتمد عبد القادر الحسيني نظام حرب العصابات، فالضرب والهرب والهجوم خير من الدفاع، والحرب الدفاعية المتحركة كانت تعطي قوات الجهاد المقدس أفضلية على قوات العدو، فاشتملت الخطة على الهجوم بقوة على أحياء الصهاينة من مدينة القدس، وذلك كجزء من خطة الدفاع المتحرك، عندما يهجم العدو بقوة على المراكز العربية في المدينة،

تبعها محاصرة المستعمرات اليهودية من الخارج ومنع الدخول أو الخروج منها، واستعمال حرب القناصة على نطاق واسع لاصطياد حماة هذه المستعمرات، وتطلب هذا الإغارة على قوافل التموين والمواصلات المؤدية إلى القدس والمستعمرات، ومنع وصول المؤن والإمدادات إلى (١٠٠) ألف صهيوني يقطنون القدس والمستعمرات الواقعة حولها، وقطع أنابيب المياه الموصلة إلى القدس والمستعمرات بالإضافة إلى نسف أهداف يهودية معينة تقع في قلب المناطق الصهيونية، وذلك رداً على أعمال النسف الصهيونية، وتدمير مراكز التوجيه العسكري والسياسي والتجاري، وبالتالي تحطيم معنويات مجتمع العدو.

تلك الاستراتيجية الهجومية منحت الفلسطينيين معنويات عالية ورفدت الشارع بمزيد من المتطوعين والتضحيات وأثبتت بطلان مقولات عدم التنظيم وعدم الكفاءة وعملت على عزل المستعمرات التي كانت تستخدم كقلاع هجومية متقدمة للعدو ونقلتها من حالة الهجوم الاستراتيجي إلى حالة الدفاع الاستراتيجي، وهذا كان واضحاً بجلاء، بحيث أن العرب كان لهم حرية الحركة تماماً في حين أن العدو تجمد في مكانه مدافعاً.



استمرت حالة الاشتباك هذه بموقف دفاعي عربي وهجومي صهيوني حتى أوائل شباط ١٩٤٨م، ونجاح العدو في السيطرة على الطريق التي توصل القدس بالجنوب بفعل تآمر ضابط بريطاني، فوضع المجاهدون خطة محكمة استطاعوا بها أن ينسفوا استحكاماً يهودياً كبيراً في الحي اليهودي حتى هوى على رؤوس من فيه من عصابات الهاجاناه، فيما وصفته الصحافة اليهودية بأنه «أكبر هجوم منظم حدث منذ أن بدأت الاشتباكات في فلسطين»، واستعادوا السيطرة على الطريق إلى الجنوب من القدس!

ولما هاجمت مستعمرة غوش عتصيون (على الطريق بين القدس والخليل) سيارة القنصل العراقي في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٨م، ردَّ عليها المجاهدون بهجوم على المستعمرة، ثم استهدفوا بعد ٣ أيام قافلة صهيونية جاءت بإمدادات لها فأبادوها، ثم قافلة أخرى فهزموها، حتى بدأت ترتفع الأصوات بالانسحاب من المستعمرات التي تقع بين الخليل والقدس. ومع العاشر من مارس كان العرب قد أتموا الحصار الكامل للقدس، وأحكموا الحصار على غوش عتصيون وهزموا قوافل النجدة إليها، ولم ينتهِ الأمر إلا بتدخل الإنجليز لفك الحصار عن الصهاينة بالتفاوض، فخرجوا منها مستسلمين تاركين وراءهم عشرات السيارات ومئات البنادق والعتاد والذخيرة، وما أن جاء أيار حتى سقطت عتصيون في ١٣ من ذلك الشهر.



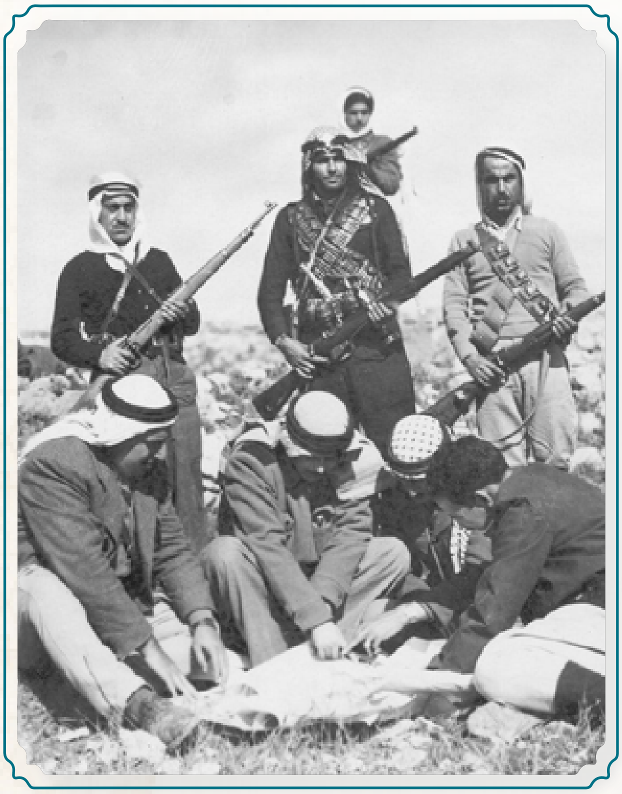
أسرى صهاينة

ثم قرر عبد القادر أن ينفذ عمليات انتقامية تهدف إلى رفع معنويات الشعب وكسر معنويات العدو بالإضافة إلى ضرب مراكز الإدارة والتحكم، مستعيناً بفرقة التدمير العربية المتخصصة بأعمال التفجير بقيادة فوزي القطب، فنفذ سلسلة عمليات تفجيرية خطيرة طالت عدداً من المستعمرات والقوافل، وضربت مقر الوكالة اليهودية، وكان لهذه الفرقة دور كبير في سقوط الحي اليهودي في البلدة القديمة. وبعد عدد من المعارك سُيطر على الجهة الشرقية من مدينة القدس تماماً.

وأما المدخل الغربي لمدينة القدس فقد شهد أعنف المعارك في الحرب، حتى طلب العدو وقف إطلاق النار وفك الحصار وتحويل القدس إلى مدينة مفتوحة، إلا أن المقاتلين رفضوا هذا، وحُرر ذلك

الحي في ٢٧ أيار ١٩٤٨م بقيادة عبد الله التل وبقوة من ٢٠٠ مقاتل، مائة من الجيش العربي ومائة من الجهاد المقدس بالإضافة إلى فرقة التدمير التي كان يقودها فوزي القطب.

وباب الواد ذلك الممر التاريخي الذي يربط القدس بالساحل، ذلك الممر الذي كل من أراد الدخول إلى القدس لا بد له من المرور عبره، شهد أعنف المعارك منذ اليوم الأول للحرب، وقد أدرك العرب الأهمية الاستراتيجية لباب الواد لذلك أعطبوه وخربوه وفجروا أنابيب نقل المياه، ورابط فيه مجموعة كبيرة من مقاتلي القرى المحيطة ولا يكاد يمر يوم إلا وقد اشتعلت فيه المعارك في ذلك الوادي الضيق، ومُنعت حركة العدو في ذلك المعبر فحاول العدو أن يخترق الواد من إحدى مداخله الغربية بالقرب من قرية القسطل. غادر عبد القادر القدس في ٣ نيسان إلى دمشق ليطلب الإمدادات والمعونة من الحكومات العربية، إلا أنه عاد في الخامس من نيسان دون نتائج تذكر، عاد وهو يدرك أنه يخوض معركة الوقفة الأخيرة في القسطل كما أجمع من سمعوا منه.



المعركة الأولى ٤ نيسان ١٩٤٨م تقع قرية القسطل على هضبة تبعد نحو ٨ كم عن القدس غرباً، وتشرف على طريق القدس - تل أبيب يافا، عند موقع استراتيجي يجعل من يحتلها متحكماً بالشريان الرئيسي للقدس الغربية. في ٣ نيسان ١٩٤٨م قامت مجموعة من اليهود (البالماخ) مؤلفة من سرية مصفحات وفصيلة هندسة ميدان ونحو ٥٠٠ مقاتل من حرس المستعمرات بهجوم مباغت على هذه القرية، بقصد فك الحصار

المضروب على مائة ألف يهودي في القدس الغربية والمستعمرات المحيطة بها، ولم تكن القرية محصنة، ومع ذلك فقد صمد أهلها بأقصى ما استطاعت أسلحتهم وأعدادهم حتى إذا نفدت الذخيرة سقطت القرية!

قررت القيادة مهاجمة القسطل وزحف ثلاثمائة مقاتل وبدأت المعركة صباح ٤ نيسان ١٩٤٨م، حيث طوق المجاهدون البلدة، واحتلوا التلال الواقعة بينها وبين عين كارم بعد معركة عنيفة خسر فيها المجاهدون ثلاثة شهداء وخمسة جرحى، بينما خسر اليهود خمسة وعشرين قتيلاً وعشرات الجرحى، لكن أخذ اليهود يضيقون الخناق على القرى المجاورة لئلا يتحرك أهلها لنجدة المقاتلين حول القسطل، فتحول القتال ضد العرب بعد أن أصبحوا محاصرين من يهود المستعمرات.

التحق عبد القادر بالمقاتلين صباح ٦ نيسان ١٩٤٨م، حيث راح يوزع قواته الثلاثمائة على جبهة القتال، وبعد أن وزّع عبد القادر الذخيرة المطلوبة، طلب إبراهيم أبو دية السماح للحارس الخاص بعبد القادر والذي يحمل رشاشاً من نوع (برن) الممتاز، أن يشترك معه لنقص الرشاشات والأسلحة، فلما رأى القائد ضرورة ذلك سمح له بالاشتراك. وبعد ظهر يوم ٧ نيسان ١٩٤٨م زحف القائد بقوات المجاهدين حسب الخطة المرسومة على معاقل العدو المحيطة بالقسطل، وكانت الخطة أن يبدأ إطلاق النار بصورة مكثفة من الجهة الغربية، وبعدها يتقدم القلب والجناح الأيمن لاحتلال القرية من الجهة الجنوبية والشرقية. وفي تمام الساعة الحادية عشرة من مساء الأربعاء ٧ نيسان ١٩٤٨م، تمكن رجال عبد القادر من تطويق القسطل، حيث بدأ إطلاق النار من الجهة الغربية حسب الخطة فقابل اليهود النار بالمثل، وفي هذه الأثناء زحف إبراهيم أبو دية وستة عشر مقاتلاً فدخلوا القرية، وتصدى العدو لهم فطوّقوهم من الجهة الشرقية، بعد أن تأخرت الميمنة عن الدخول من الجهة الشرقية، وبذلك وقع الستة عشر مجاهدًا تحت رحمة قوات العدو التي أصلتهم نارًا حامية، فقتلت منهم مَن قتلت، بينما أصيب أبو دية إصابات عديدة، وبذلك تمزقت قوى القلب، واختل نظام المعركة.

وصل النبأ إلى عبد القادر، فما كان منه إلا أن نهض ليتولى توجيه المعركة، وكان لا بد له من ذلك لأن جموع المقاتلين أخذت تتقهقر، فتوجه إلى القلب، وما أن رآه المجاهدون من رجال الميسرة والقلب حتى التفوا حوله، ودخل القرية والتحم بالعدو، فجرح ثلاثة من رفاقه وبقي واحد ظل يقاتل معه، وليس لديهما من الأسلحة سوى رشاش ستن ومسدس عيار ٩ ملم.



بقي عبد القادر وحده دون ذخيرة أمام مراكز العدو المحصنة، وكان الكثير من رجال عبد القادر قد نفدت ذخيرته، وما كاد فجر ٨ نيسان ١٩٤٨م يبزغ حتى كان عبد القادر ورجاله يقاتلون يائسين، بعد أن أخذ العدو يضيق الحصار حولهم ولا ذخيرة كافية لديهم. وما أن عم خبر محاصرة العدو لعبد القادر ورجاله في القسطل، حتى زحف المتطوعون من كل حدب وصوب لنجدته، وبلغ عددهم ٥٠٠ مقاتل أطبقوا على القسطل من جميع الجهات، واشتبكوا مع اليهود بالسلاح الأبيض فتهاوت الحامية اليهودية وفروا مهزومين من الجهة الشمالية، وفي تلك الأثناء وصلت قوات الجهاد المقدس القادمة من قالونيا وموتزا، فاصطدمت بالهاربين فقتلت منهم عددًا كبيرًا.

دخل المقاتلون القرية منتصرين بين التهليل والتكبير، وراحوا يتعقبون أفراد العدو من بيت إلى آخر، ولكنهم لم يعلموا في نشوة الانتصار هذه، أن القائد عبد القادر بطل القسطل، قد جاد بأنفاسه، والتحق بالرفيق الأعلى.

أعيدوا مجد الأمة بدمائكم



الشهيدة ريم الرياشي

رحمها الله*

ريم صالح الرياشي، ٢٢ عاماً، (وُلدت: ١٩٨١م – استشهدت: ١٤ يناير ٢٠٠٤) استشهادية فلسطينية من حي الزيتون بمدينة غزة، وهي أم لطفلين كان أحدهما رضيعاً، فجّرت نفسها في تجمع لضباط وجنود العدو الإسرائيلي الصهيوني داخل معبر (إيريز)، واعترف العدو حينها بمقتل ٤ جنود وإصابة ١٠ آخرين أربعة منهم في حالة خطيرة. وأكدت مصادر صحفية إسرائيلية أن الانفجار ألحق أضرارًا لا توصف



* المصدر: موقع إلكتروني: المركز الفلسطيني للإعلام، ريم الرياشي.. سيرة تستحق التأمل، ٢٠١٤م، و(إخوان ويكي): ريم الرياشي وكسر حاجز الوهم الإسرائيلي.

بالمكان. وأخفى العدو الإسرائيلي معظم أشلاء جسدها وسلمت جزءاً يسيراً منه للدفن في الأراضي الفلسطينية دون علم أهلها، فظل جثمانها موزعًا بين «مقابر الأرقام» الصهيونية في قبر كان يحمل رقم (٥١٧٦)، وظل الاحتجاز حتى عام ٢٠١٢ . وتسلم أهلها باقي جثمانها ودفنت في مقبرة الشيخ عجلين في غزة.

دون ارتباك



في صباح يوم العملية (الأربعاء، الرابع عشر من كانون ثانٍ/ يناير ٢٠٠٤م) شدت ريم الرياشي الحزام الناسف حول وسطها وساقها، وسارت على عكازين، وتحركت حتى وصلت إلى هدفها في حاجز "إيرز" الصهيوني. سارت ريم وسط المخاطر الصهيونية، فما إن مرت عبر جهاز الفحص الإلكتروني حتى أعطى إشارة بوجود مواد معدنية مع ريم، فما كان منها إلا أن قالت للجنود بكل جرأة وثقة: إن قطعة من البلاتين مزروعة في ساقها وهي سبب حدوث الإشارة من الجهاز الإلكتروني، فما كان من الجنود إلا أخذوها إلى غرفة التفتيش الخاصة ليقوموا بفحص أمني خاص لها، فسارت وسط الجنود بشكل طبيعي ودون ارتباك أو اضطراب، فلما لاحظت كثرة الجنود حولها واعتقدت أنها فرصة مناسبة وأن صيدها أصبح ثميناً، ضغطت على الزر المخصص لتفجير الحزام الناسف، فتحول جسدها إلى أشلاء متناثرة، وقتلت أربعة من الجنود الصهاينة، وجرحت عشرة آخرين، وبذلك أسقطت النظرية الأمنية الصهيونية التي توقعت (إسرائيل) أنها أعادتها من جديد، بعد التخلص من العمليات الاستشهادية في العمق الفلسطيني المحتل عام ١٩٤٨م.

وصية الاستشهادية ريم الرياشي رحمها الله



قالت الشهيدة بإذن الله ريم الرياشي في وصيتها:

«اسمحوا لي أن أخاطبكم الخطاب الأخير قبل العملية التي أنوي تنفيذها، راجية الله أن يتقبل مني شهادتي وأن يعينني على قتل أكبر عدد من جنود الصهاينة المحتلين.

أتوجه إليكم من دون الرجال لأنني لم أعد أرى رجالاً في أمتنا سوى بقايا منهم في فلسطين والعراق، فأنتم الأمل الباقي لهذه الأمة بعد أن خلت من الرجال وأنتم المسؤولون عن قيادة هذه الأمة إلى النصر وإلى العزة والكرامة بعد أن أوصلها أشباه الرجال إلى هذا الذل والعار الذي يجللها من مشرقها إلى مغربها، أنتم الذين ستحملون راية هذه الأمة وترفعونها خفاقة بين رايات الأمم التي تعيش فوق كوكبنا هذا بعد أن نكس راياتها أشباه الرجال من الحكام والعلماء والمثقفين ومن يسمون أنفسهم النخَب.

من أرحامكن يا نساء الأمة سيخرج الأطفال الذين سيعيدون مجد هذه الأمة يكتبونه بدمائهم وأشلائهم، من أطفال هذه الأمة سيَخرج مَن تربى على رمي الحجارة ومواجهة الدبابات بصدره العاري ليخلّص هذه الأمة أولاً من حكامها ثم من المخذلين والمنافقين والمرائين والمعوقين، وأخيراً ليخلصها من اليهود المغتصبين! وليعيد لها مكانتها أمام الحاقدين من الغربيين والشرقيين.

أما أشباه الرجال فأوصيهم بأن يتخلوا عن الكلام الذي لم يعُد يسمن ولا يغني من جوع، وعن المداراة والنفاق والدعاء للحكام بالصلاح والتوفيق، وأن يعتزلوا منابرهم التي يقفون عليها فهم ليسوا أهلًا لها، وأوصيهن بإلحاق نون النسوة بصفاتهن وأسمائهن وتاء التأنيث بأفعالهن، فهن أحق بها وأهلها.

اُدعوا اللهَ لي يا إخوتي أن يتقبلني شهيدة غداً، فأنا أتمنى لقاءه وأتشوّق للشهادة أمامه على أمتي وعصري وزماني، أتحرق للشهادة على حُكام الذل والخيانة. أريد أن أشهد أمامه سبحانه على كل حاكم تخلّى عن قدسنا وفلسطيننا وعن أهلنا، أشهد أمامه سبحانه على كل مَن قطع المعونات البائسة الشحيحة عن أطفالنا طاعةً لمولاه في البيت الأبيض.

أشهد أمامه سبحانه على كل مَن مدّ يده ليهود وقطعها عن إخوانه من المسلمين، أشهد أمامه سبحانه على كل مَن حارب شعبه وترك حرب أعدائه، أشهد أمامه سبحانه على كل مَن عاش لعرشه بدل شعبه، وكل مَن باع وطنه مقابل حكمه، أشهد أمامه سبحانه على كل مَن شرّد الشرفاء من أمته ورعيته واستبدل بهم المطبلين والمزمرين والمسبحين بحمده ليستتب الأمر ليهود ومن والاهم، أشهد أمامه سبحانه على كل مَن يتحجج بعدم القدرة وهو يصفّي الأمة من القادرين على التغيير خوفاً أن يطاله التغيير، أشهد أمامه سبحانه على كل مَن سرق أموال الأمة وحوّلها لحسابه الخاص وحساب أسرته وأقربائه وأعوانه وترك شعبه يلهث وراء الفتات حتى لا يستطيع أن يفكر في المصائب التي تنهال على رأس هذه الأمة.



أتوق لأن أصل إلى ربي شهيدة على علماء هذه الأمة الذين شغلتْهم فتاوي الزواج والطلاق عن طلقات المدافع والصواريخ التي تهطل علينا كالمطر، وشغلتهم فتاوي الربا وتحليله عن تحليل اليهود لدمائنا وأعراضنا وبيوتنا وأشجارنا، وشغلتهم فتاوي طاعة الحاكم وعدم الخروج عليه والدعاء له بالصلاح عن خروج الأمر من يد الأمة وعن طاعة الحاكم وولايته للعدو. أريد أن أشهد عليهم بأنهم شياطين خرس لا يقولون إلا ما يديم عليهم مناصبهم ويديم عليهم رزقهم ويديم عليهم عافيتهم، يتأولون ما لم يعد فيه مجال للتأول، ويسكتون عن الحق حيث لا مجال للسكوت، ويدرؤون الفتنة -بزعمهم- حيث لم يعد هناك فتنة بل وصلنا إلى الكارثة وهم نيام ينظرون، ويحاربون بعضهم بعضاً، يكفّرون ويفسّقون ويبدّعون ويضللون مَن شاؤوا من إخوانهم في العقيدة ثم يسكتون عن الحاكم وآثامه البغيضة ويأمرون الناس بالسمع والطاعة ويصرخون في وجوه المنتقدين: هذا أهون الشرين.



أريد أن أشهد شهادة خاصة بشيخ الأزهر طنطاوي، عبد المبارك، لن أُطلعكم عليها لأنها سر بيني وبين خالقي. أريد أن أشهد على مَن يُسمَّون: مثقفي هذه الأمة ونُخبها، الذين تقوم قيامتهم ولا تقعد عندما يشير الحاكم بإصبعه فتنطلق ألسنتهم كألسنة العضاة يصل طولها إلى ثلاث أمثال طول جسمها ينهشون في لحوم المخلصين من أبناء الوطن الذين سولت لهم أنفسهم ذكر كلب الحاكم بسوء، ثم تعود ألسنتهم إلى حلوقهم ليبتلعوها إذا أشار الحاكم إشارة أخرى.. النخب التي ضاعت بين مداراة الحاكم وقول الحق، بين حفظ النفس وحفظ الكرامة.

بعد استشهادي غداً بإذن الله، ستسمعون كلاماً كثيراً عن أنني ألقيت نفسي في التهلكة، وقد يخرج مَن يقول عني «منتحرة»، وقد يخرج من يقول عني «حمقاء تركت أبناءها ولم ترعَ حرمة زوجها وأهلها»! ولهؤلاء أقول: دعوكم من لحمي المسموم ويكفيكم الفُتات الذي يلقي به الحاكم إليكم لتأكلوه والنفايات التي تربون عليها أولادكم، أما أنا فمؤمنة بأن رازقي ورازق أولادي مِن بعدي هو ربي الذي رباني وسيتولّى تربية أولادي من بعدي، أما أنتم فتعتقدون أن صاحب الجريدة التي تكتبون فيها هو الرزاق، وأن صاحب المحطة التي تتكلمون منها هو الرزاق، وأن وزير الأوقاف الذي عيّنكم هو الرزاق، وأن الحاكم الذي يدير مزرعة العبيد التي تعيشون فيها هو الرزاق، فهنيئاً لكم عقيدتكم هذه وهنيئاً لكم إيمانكم هذا، وستعرفون يوماً ما مَن هو الرزاق الحقيقي، ومن هو المُربي الحقيقي، ومَن بيده ملكوت كل شيء، وهو يُجير ولا يُجار عليه.

أخيراً.. أقول لـ(شيراك) الذي يريد منع الحجاب في فرنسا على المسلمين: أرجو منك بعد منع المسلمات من الحجاب أن تفرضه على رجال المسلمين بدءاً بحُكامهم، وأن تفرض عليهم أيضاً أن يغطّوا وجوههم الذليلة لأنها أصبحت عورات لا يجوز أن يراها أحد لا في المشرق ولا في المغرب.



شيراك

في الختام أرجو منكم دعوة صالحة في ظهر الغيب، وأوصيكم بفلسطين وبالأقصى وبالعراق وببلاد المسلمين كلها، فهي أمانة في أعناقكم جميعاً. والسلام عليكم ورحمة من الله وبركاته.



الاستشهادية المجاهدة هنادي جرادات

سأجعل جسدي شظايا تقتلع قلب كل مَن حاول قلعنا من بلادنا

كل مَن يزرع الموت لنا سيناله ولو كان جزءاً بسيطاً



هنادي جرادات

تقبّلها الله*

۞ وُلدت الطفلة هنادي تيسير عبد المالك جرادات في جنين في ٢٢ سبتمبر ١٩٧٥، تخرجت هنادي في كلية الحقوق بالأردن ثم عادت إلى بلادها لتعمل بمهنة المحاماة حيث كانت تنوي افتتاح مكتب محاماة خاص بها، إلى أن تبدلت حياتها تماماً باستشهاد أخيها فادي وبعض أفراد العائلة.

---

* تحرير مجلة (أنصار النبي): المصدر: حسن الباش، هنادي تيسير جرادات.. عروس فلسطين وشمسها، كُتيب صدر عن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الدائرة الثقافية، نوفمبر ٢٠٠٣م. وشبكة فلسطين للحوار: الذكرى الـ٨ لاستشهادهما.. الاستشهادية هنادي جرادات تروي جريمة اغتيال شقيقها فادي وابن عمها،٢٠١١م.

في لقاء معها عقب استشهاد أخيها «فادي» بدت هنادي قويةً متماسكةً، وتحدثت بلُغةٍ فيها الكثير من التحدي والإصرار على الصمود ومقاومة الاحتلال. لكن أيضاً للحظة واحدة لم تتوقف هنادي عن البكاء بدموع الحزن والقهر كما قالت، لأنها لم تتمكن من إنقاذ شقيقها فادي تيسير جرادات وابن عمها صالح جرادات، بعدما حاصرهما رصاص العدو الصهيوني أمام المنزل.


فادي جرادات

«أخي كان ينزف أمام عيني، أمسكت بيده والدماء تغطي جسده.. كان يطلب مني مساعدته وإنقاذه لكنهم هاجموني وألقوا بي أرضاً، وانتزعوا يدي من يده، واقتادوه مع صالح لعدة أمتار حيث أطلقوا عليهما النار بدم بارد، وقد أسلما الروح شهيدين أمام ناظري». هكذا قالت هنادي عن تلك اللحظات القاسية بالنسبة لها، والتي تربطها بشقيقها علاقة مميزة، خاصة وأنه كان بمثابة الأب بعد مرض الأب، والمُعيل كذلك.

فالاحتلال الصهيوني كما تقول هنادي: «كان يطارد ابن عمها (صالح) ويلاحقه منذ فترة طويلة ويتهمه بأنه قائد سرايا القدس... ويومياً كان منزلنا يتعرض للدهم، وقد تلقت عائلتنا عشرات التهديدات بتصفية (صالح) والقضاء عليه، مما أجبره على الاختفاء الدائم، وحرمه من أبسط حقوقه في الحياة، كرؤية طفله الوحيد الذي لم يشاهده سوى مرات محدودة منذ ولادته».

تقول الاستشهادية هنادي رحمها الله:

«حضر صالح للاطمئنان على زوجته وطفله وليسأل عن صحة والدي؛ فجلسنا عند باب المنزل، وما كاد صالح يبدأ بمداعبة طفله ويقبله حتى كانت سيارة بيضاء تحمل لوحة ترخيص عربية تتقدم نحونا، بدت الأمور طبيعية لذا لم نهتم كثيراً للأمر، حيث اعتقدنا أن في السيارة أحد أصدقاء صالح... كان الظلام دامساً، وفجأة توقفت السيارة البيضاء أمامنا.. اعتقدت عندها أن فيها أحد معارفنا ممن يبتغي الاطمئنان على صحة والدي، لكننا فوجئنا بشخصين يخرجان منها، وبدءا بإطلاق النار على صالح، وفي لمح البصر كانت سيارة أخرى تظهر أمامنا لتبدأ في إطلاق النار هي الأخرى.



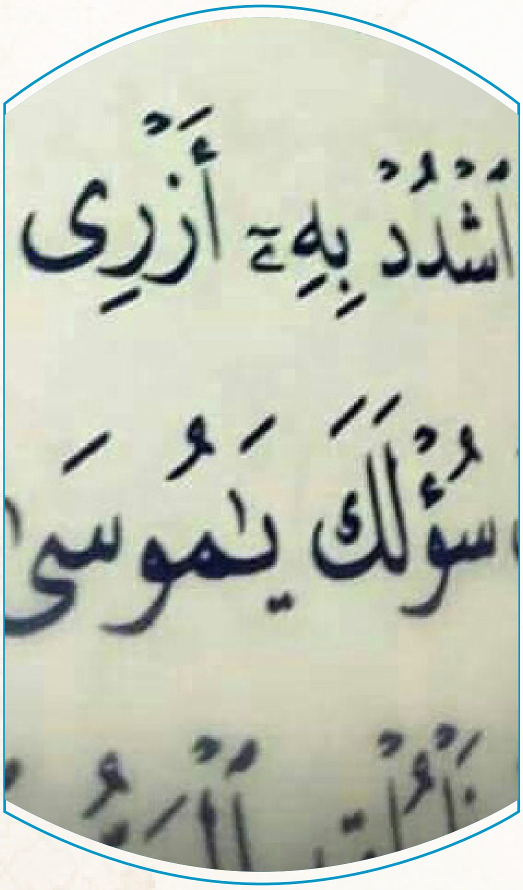
صالح جرادات

ارتميتُ أرضاً، أما زوجة صالح فقد حملت الطفل وهربت به إلى البيت، أما أخي (فادي) فوقع أرضاً نتيجة لإطلاق النار عليه، ورأيته ينزف بغزارة، عندها وبإحساسي الفطري ارتميت عنده وأمسكت بيده وبدأت أسحبه خلف الكنبة التي كنا نجلس عليها لنتقي زخات الرصاص التي كانت لا تزال تنهمر علينا.. صرختُ: فادي! صالح! عندها سمعت فادي يتكلم بصعوبة: ساعديني يا هنادي.. أنقذيني»

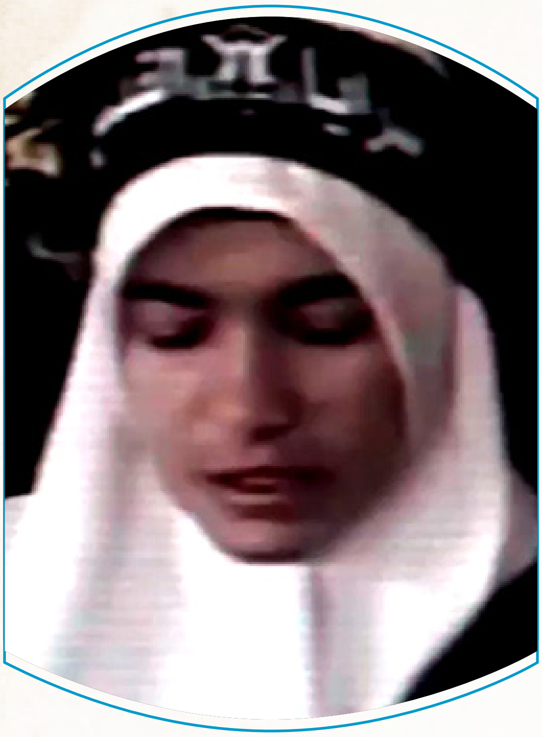
تضيف الشهيدة هنادي رحمها الله وقد خنقتْها العبرات وأُجبرت على التوقف عن رواية قصة استشهاد فادي: «واصلتُ سحبه فإذا بأحد المسلحين يهاجمني، ألقاني أرضاً بعنف وانتزع فادي مني وقال لي: ادخلي البيت وإلا قتلتك. لكني رفضت الانصياع لأوامرهم وصرخت فيهم: اتركوني.. دعوني أنقذ أخي! لكنهم

هاجموني مجدداً. كان صالح في تلك اللحظات ممدداً على الأرض دون حراك، حيث بدا وكأنهم قد أصابوه في الرأس مباشرة، أما فادي فكان لا يزال يتحرك، وعندها بادر ثلاثة منهم (كانوا يتحدثون العربية بطلاقة) إلى مهاجمتي، وبدأوا باستجوابي عن المكان الذي يخبأ فيه السلاح. فأجبتهم بأنني لا أعرف ولا يوجد لدينا سلاح. عندها انتشرت مزيد من القوات في كل مكان حول البيت، وقد أجبروني على الاستلقاء أرضاً على وجهي، وقد وجه لي أحدهم كلامه: «يا كلبة.. يا إرهابية.. سنقتلك كما قتلناهم».. وقد صوبوا سلاحهم نحو رأسي. ثم وجه أحدهم حديثه لمجموعة أخرى من القوات الخاصة قائلاً لهم: اسحبوهم وكوموهم. عندها ثارت ثائرتي ولم أتحمل المزيد فوجهت حديثي إليهم قائلة لهم: أنتم إرهابيون كلاب.. اتركوهم! فألقوني أرضاً وسحبوهما عدة أمتار وأفرغوا في جسديهما المزيد من الرصاص.. قتلوهما بدم بارد».

لطالما حرصت هنادي تقبلها الله في الشهداء على رعاية أخيها فادي، وكأنه ابنها وليس أخاها، فلم نشهد علاقة أخوية حميمة كتلك التي نشأت بينهما، كما تقول فادية شقيقتهما، فإذا ما فرح فادي كان البِشر ينبعث من وجه هنادي، وحين يغضب تجدها غاضبة وكأن المشكلة مشكلتها، وعندما كبر قليلاً وارتسمت على وجهه علامات الشباب كانت هنادي تطلب من والديها أن يخطبا لفادي وأن يزوجاه.. وبعد تخرجها صارت تدخر راتبها البسيط لتوفر لفادي بعض مستلزمات الزواج.. وحين كانت الوالدة تطلب منها أن تدخر مالها لنفسها كانت هنادي تجيبها بمرح: فادي أولى



بالزواج.. ألا ترين أنه صار رجلاً؟ فتضحك الوالدة وتضحك الأسرة. رغم ذلك ما أن عادت إلى نفسها بعد أحداث تلك الليلة المشئومة حتى أطلقت زغرودة أودعتها كل رغبتها في التماسك، بعد أن أدركت أن العدو إنما يستهدف أرواحنا قبل أن يستهدف أجسادنا.



التغيرات التي طرأت على حياة هنادي بعد استشهاد أخيها تشهد بما اعتزمت القيام به، فقد أصبحت إلى ربها أقرب، فأعدت نفسها لقيام الليل، وصيام النهار، وصفحات المصحف الشريف التي ابتلت بدموعها تشهد أنها أعدت نفسها لمقابلة الله عز وجل مقبلةً غير مدبرة، بعد أن تروي ظمأ أمة الإسلام من نهر الكرامة.. وكانت (حيفا) شاهدة على غضب مقدس رعته عناية الله حتى أثمر!

في صبيحة الثاني من أكتوبر- تشرين ثانٍ ٢٠٠٣ (أي قبل استشهاد هنادي بيومين) استيقظت هنادي من نومها ضاحكة مستبشرة.. وراحت تبحث عن والدتها حتى وجدتها.. ثم بدأت تُسر إليها بما رأته في منامها.. لقد رأتْ بِركة ماء جميلة المنظر، وقد حضرت إليها فتاتان غاية في الحُسن، فأخذاها من يدها واقتاداها إلى بِركة الماء.. وهناك وجدت أخاها فادي الذي نظر في وجهها وضحك!

وفي صباح الرابع من أكتوبر ٢٠٠٣ استيقظت هنادي مبكراً وكأنها على موعد عزيز.. صلت الصبح حاضراً، ونوت الصيام، وبدأت بقراءة القرآن.. وبعد أن مضى بعض الوقت غادرت البيت، فلم تحدّث أحداً بما استقر في نفسها، لم تودّع أياً من أفراد أسرتها، وحين خرجت من باب البيت، وكعادة الشهداء، لم تلتفت إلى الوراء، خوفاً من أن تقع عينها على ما هو عزيز عليها فتولّد في قلبها لحظة تردد..

وصية الشهيدة هنادي قبل انطلاقها لتنفيذ عملية حيفا



قالت الاستشهادية المجاهدة رحمها الله: «بقوة الله وعزيمته، قررت أن أكون الاستشهادية السادسة التي تجعل من جسدها شظايا تتفجر لتقتل الصهاينة وتدمر كل مستوطن وصهيوني. ولأننا لسنا وحدنا من يجب أن يبقى ندفع الثمن ونحصد ثمن جرائمهم، وحتى لا تبقى أمهاتنا تدفع ثمن الإجرام الصهيوني، وحتى لا تبقى أمهاتنا تبكي وتصرخ على أطفالها وأبنائها؛ بل يجب أن نجعل أمهاتهم يبكون، فقد قررت بعد الاتكال على الله أن أجعل الموت الذي يحيطوننا به يحيط بهم وأن أجعل أمهاتهم تبكي دمعاً وندماً، ودعوتي لله أن يجعلنا نحن معمرين في الجنة ويجعلهم من الخالدين في النار».

الوصية: «بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد العالمين، سيدنا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ صدق الله العظيم.

الأهل الأعزاء الذين سوف يثيبهم الله رب العالمين كما سبق ووعدنا جميعاً في كتابه العزيز ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، ولقد وعد الله الصابرين على كل ما آتاهم به الله الجنة، وحَسُنت منزلةً، فاحتسبوني عند الله سبحانه وتعالى، فلن أكون غالية فداءً لدين الله سبحانه وتعالى، لقد آمنت بما جاء بالقرآن الكريم واشتقتُ لأنهار الجنة واشتقت لرؤية نور وجه الله الكريم، اشتقت لكل ذلك بعد أن منّ الله عليّ بالهداية.

أحبائي مَن أتمنى أن أكون من الشافعين لهم يوم الموقف العظيم...

لقد اخترت طريقي هذا بكامل إرادتي، ولقد سعيت لهذا كثيراً حتى منّ الله عليّ بالشهادة إن شاء الله.. فهي ليست لكل إنسان على الأرض بل هي للمكرّمين من عند الله، أفتحزنون لأن الله كرّمني بها؟ هل تجزون الله بما لا يُحب ولا أنا أحب أيضاً؟



والدة الشهيدة هنادي جرادات

احتسبوني لله تعالى وقولوا: لا حول ولا قوّة إلا بالله.. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.. جميعنا ميتون فلا مُخلّد على هذه الأرض، ولكن العاقل هو الذي يستجيب لنداء الله سبحانه وتعالى، فهذه بلاد جهاد فقط ونحن نعيش بها للجهاد علّنا نرفع الظلم الذي نحيا به على مدار الأعوام الماضية..

أَعلم أنني لن أُعيد فلسطين، أعلمها تمام العلم، ولكن أعلم أن هذا واجبي قد قدمته أمام الله.. لبيتُ النداء بعد إيماني بعقيدتي، وأنا الآن أُعلمكم بأنني إن شاء الله سأجد ما وعدني الله تعالى أنا وكل مَن يسيرون على هذا الطريق.. جنان وعدنا الله بها مخلدون بها إن شاء الله. بعد إيماني بهذا كيف تعتقدون أنني سأقبل بكل المغريات الدنيوية الزائلة؟ كيف سأعيش على هذه الأرض وروحي أصبحت معلقة بملك مقتدر؟ أصبح كل همّي هو رؤية نور الله الكريم.. هذه بلاده وهذا دينه وهم يريدون ليطفئوا نوره وكلنا نعلم ذلك... فواجبي نحو دين الله وحقه عليّ أن أدافع عنه.

فليس أمامي غير هذا الجسد الذي سأجعله شظايا تقتلع قلب كل مَن حاول قلعنا من بلادنا، فكل مَن يزرع الموت لنا سيناله ولو كان جزءاً بسيطاً.. ونحن حتى الآن لا زلنا ضعفاء بحسب تقدير القويّ ولكن إيماننا موجود.. عقيدتنا تجعلنا نجدد عهدنا لربنا وبلادنا.. حربنا معهم حرب عقيدة ووجود وليس حدود وأنتم تعلمون..



أبي الحبيب الغالي: احترم رغبتي واحتسبني عند الله، فَمَن ساعدني للوصول للجنة لا يُجزى سوى بشفاعتي له، فاجعلني مستريحة دائماً ومخورة بأب أنا ابنته أمام ربي وخلقه... فبعزة الله يا غالي أن تريحني في قبري ولا تفعل شيئاً سوى احتسابي عند الله، فالله أعطى والله أخذ... وإنّا لله وإنّا إليه جميعاً راجعون..

أمي الغالية: أتمنى من الله أن تصبري يا أمي، فأنا أحبك لأنك دائماً كنت العطاء الذي لا ينتهي وستبقين إن شاء الله، فاحتسبيني يا أمي فأنا سأكون مع فادي وصالح وعبدالرحيم وجميع مَن اختارهم الله لجواره، فاحتسبينا جميعاً وقولي: «اللهم فرّج لي مصيبتي وأجرني في مصيبتي واخلفني خيراً فيها».

أرجو من الجميع أن يسامحوني على ما قد بدر مني وأنا قد سامحت الجميع منذ زمن.. وأرجو منكم الآتي:

إيصال مبلغ (٥٠) دينار إلى محل جلابيب بمدينة جرش يُدعى (...) بجانب (...) عن طريق (...).

إعطاء دار (...) مبلغ (١٠٠) دينار في قباطية.

إخراج مبلغ (١٠) دنانير عن روحي لأنني قد أكون نسيت بعض القروش عليّ في الأردن ولا أذكرها.

وادعوا لي دائماً بالرحمة والمغفرة والرضا.. ارضوا عليّ دائماً يا والديّ.. وإلى لقاء في جنات النعيم، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤]».



عملية مكسيم - حيفا

انتهت وصية الاستشهادية المجاهدة/ هنادي جرادات.

وبعد أن ختمت المحامية هنادي تيسير جرادات الجزء الأخير من القرآن، انطلقت الاستشهادية المجاهدة هنادي جرادات نحو مدينة حيفا، حيث نفذت الانفجار الذي هز عرش الصهاينة فحصدت أرواح ٢٢ صهيونياً محتلاً، وأصابت أكثر من ٥٠ آخرين، يوم السبت (٢٠٠٣/١٠/٤).

رحمها الله وتقبلها في الشهداء.

الصادعون بالحق

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾

من إنتاج علمائنا الأسرى





أهوال من داخل سجن النقب الصحراوي



الشيخ الأسير حسن يوسف

فك الله أسره*

الحمد لله وحده، نصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومَن سار على سُنته واقتفى أثره بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فبداية أقدم اعتذاري الشديد للأخ مؤلف الكتاب وللأخ القارئ الكريم، لأنه لم تُتح لي فرصة الاطلاع على ما كَتب، كوني داخل السجن، وإن كان زودني بالإطار

---

* تقديم الشيخ حسن يوسف لكتاب «الحركة الأسيرة في سجون الاحتلال الصهيوني: النشأة والواقع، آليات الدعم والتحرير»، إعداد: ماهر مصطفى حجازي، الطبعة الثانية، ٢٠١٦م.



العام للكتّاب مشكورًا، ثم جزاه الله خيرًا أخي في جلال الله ماهر حجازي -مؤلف الكتاب- والذي لم ألتقِ به إلى اللحظة التي أقدم للكتاب، أقدم له الشكر الخاص على ثقته، ثم الكتابة في موضوع من أهم المواضيع التي ينبغي إعطاؤها أولوية، والتي ينبغي أن تتعدى الدائرة الفلسطينية إلى الدوائر العربية والإسلامية جميعاً، لأن قضيتنا فلسطين عامة والأسرى تحديداً هي قضية مبدئية ووطنية وأخلاقية وإنسانية، يجب تسليط الأضواء عليها، وتصبح ثقافة للجميع لابد من إشاعتها والترويج لها، وذلك عبر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، والمناهج والمنابر والميادين العامة والخاصة، حتى تبقى هذه القضية حاضرة في ذهنية وتفكير وقلب وروح وضمير العرب والمسلمين وأحرار العالم قاطبة.

كيف لا وهي تتعلق بإنسانية الإنسان وكرامته، والتي يسعى السجان جاهدًا وبكل مبتكراته ووسائله وإمكاناته لإهانة كرامة الأسير، فكأنك ترى أنه قد أحدث علماً اسمه: «فن إيذاء الأسير»، مُجنِدًا في سبيل ذلك العوامل المادية والمالية والمعنوية والنفسية والصحية والاجتماعية المجردة من كل المعاني الإنسانية. فيفهم الأسير وبشكل أعمق وأدق من غيره قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾ [البقرة: ٧٤] ولا أظن أحدًا يفهم هذا التشخيص الرباني غير الأسير نفسه.

أجل، نحن بحاجة ماسة إلى من يخاز لقضية الأسرى، والتي تستصرخ كل من عنده مسحة من ضمير ومسحة من فكر، وقد أوجب الشرع على المسلمين العمل الجاد والدؤوب لفك أسراهم، وليس الحديث عنهم فقط، وإن كنّا لا نقلل من هذا الأمر، أو أن يخلفهم المسلمون في بيوتهم. فالأمة مطلوب منها أن تجند ما تستطيع تجنيده وإعداده، وبكافة الوسائل لتخليصهم من الظلم الواقع عليهم وعلى ذويهم، ومَن هم في دائرة الهم بالنسبة لهم، حتى لو نفدت خزينة الدول، أو حتى سالت الدماء في سبيل ذلك. ولا يجوز بحال أن تكون دعاية الاحتلال لجندي لهم أُسر على أيدي المقاومة الفلسطينية وهو في ساحة المواجهة والاعتداء على شعبنا أكثر بكثير من الدعاية والإحياء لقضية الآلاف في سجون الاحتلال، ومنهم مَن قضى أكثر من ثلاثة عقود.

ما ينبغي فعله لتخليص أسرى المسلمين



وإنني في هذا المقام أذكر بعضًا من الفعل الجهادي والمادي والمالي لتخليص أسرى المسلمين. فماذا فعل المعتصم حينما أُسرت امرأة مسلمة؟ جهَّز الجيوش لفك أسرها وقد فعل. وها هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله يبادل مسلمًا أَسَره الروم بعشرة آلاف درهم، ومسلمًا آخر بمائة ألف درهم، وكتب إلى عماله: «أن فادوا بأسرى المسلمين، وإن أحاط ذلك بجميع مالهم». وبلغه

أن الروم أذلوا مسلمًا أسروه، بأن فرضوا عليه طحن الحنطة وخبزها كل يوم، فكتب عمر بن العزيز إلى ملكهم: «قد بلغني ما فعلتم بصاحبنا، وأنا أقسم بالله لئن لم ترسله لأبعثن إليك من الجنود يكون أولهم عندك وآخرهم عندي». فلما وصله الكتاب -أي ملك الروم- أطلق سراح الأسير المسلم، وغير ذلك كثير وكثير.

صور مما يعانيه الأسرى



وحينما يمر الأسير المظلوم المقهور المهان من الاحتلال على ما يقوله الشاعر حاثًا الأمة على فعل شيء للأسير، يزداد ألمًا وحرارة بعد مضي السنوات الطوال وهو في الأسر، خمسة وعشرة وعشرين وثلاثين ونيف من السنين، محاطًا بالظلم والظالمين صباحاً ومساء ثانية بثانية، أو يزداد توجعًا يوم يرى التقصير على الأقل من يعوله داخل السجن وكذلك أهله. ويدمى قلبه يوم يرى اللا مبالاة من ملايين البشر من إخوانه في العقيدة والدين والوطن والإنسانية، فلا يعرفون أن هناك أسرى أعدادهم بالآلاف بل يصل عددهم منذ اغتصاب البقية الباقية من أرض فلسطين عام (١٩٦٧م) إلى قرابة مليون إنسان.

إن الاعتقال يتعدى الأسير نفسه إلى أبيه وأمه وإخوانه وزوجته وأولاده وأرحامه وأقربائه وجيرانه ومحبيه ومحيطه كله، إذن هي مصائب عامة وشاملة، ويزداد الجُرح عندما يُمنع بل ويُحرَم الأسير من رؤية والديه أو أحدهما، أو رؤية زوجه وأولاده صغاراً وكباراً، فضلاً عمن هم في دوائر أخرى يلتصق بالخلق من خلالها، بل وتزداد الفجيعة يوم يفقد عزيزاً عليه فيُغيّبه الموت كالوالد أو الأم أو الزوجة أو الولد أو القريب



أو الجار... إلخ. أجل.. يزداد الألم وهو يقرأ المأثورات صباحاً ومساءً يمر على قوله عليه الصلاة والسلام وهو يستعيذ من قهر الرجال، وبكل ما يحمل هذا القول من معاني ومفردات هائلة، منها ما يحسب وما لا يحسب!

إي وربي! عن أي شيء يكتب الإنسان؟ عن الاعتقال، عن تعصيب الأعين وتقييد الأيدي والأرجل؟ عن الشبْح بطرق عجيبة يصاب الإنسان بسببها بعاهات قد تكون مستديمة؟ أم عن التعذيب والهز والضرب؟ أم عن الزنازين؟ أم عن استعمال وسائل حقيرة كالبول على المعتقل كما حصل معي في الاعتقال الأول سنة ثمانية وثمانين وتسعمائة وألف؟ أم نذكر بالعزل وتحديداً الانفرادي ولمدد طوال؟ أم حرمان المعتقل من الزنازين، وسحب الأجهزة الكهربائية ومصادرة التلفاز والمذياع، ومنع الصحف والمنع من الفورة (الساحة التي يتجول فيها المعتقل يومياً على الأقل ساعة)؟ أم التفتيش العاري؟ ولنتذكر صورة المعتقل صاحب الشيب والوقار يُفعل به ذلك.

أم نتذكر البوسطات ووسائل النقل التي تنقل المعتقل من سجن لآخر، أو إلى المحاكم حيث تورث الإنسان آلامًا شبه مستديمة؟ ثم المداهمات الليلية، وخلط أغراض وحاجيات الأسير، ومنعه ومصادرة حاجياته التي اشتراها من أمواله الخاصة التي اقتطعها أهله من قوتهم له، ونتذكر العيادة والدكتور والحومنيش (الممرض) يموت المريض مراراً فيعطى حبة (الأكامول) بغض النظر عن نوع مرضه،

أو يُعطى وصية من الدكتور أن يشرب الماء، وإن حصل على بعض المعالجات بعد معاناة قد تستغرق سنوات، خاصة من هو بحاجة إلى عملية جراحية كالبواسير أو الجيوب، أو العمليات الجراحية الأخرى. ونستذكر الطعام القليل من حيث الكمية والنوعية، ولولا أن المعتقل اليوم يشتري من (الكانتينا) ما يأكل ويشرب ويلبس أحياناً لأصابه جوع حقيقي.



ونتذكر الأخوات الأسيرات الحرائر، وما يصيب الإنسان من غم وهم ويقول: ألا من يغيث؟ ومن ينقذ يا عرب ويا مسلمين ويا بشر؟ وأما الأشبال وما أدراكم ما الأشبال صغيري السن، حينما ينفرد به المحتل فيسلط عليهم الإعلام الموجه المهلك لكل القيم والقناعات، ويدمر الفضيلة ويقتل الإنسانية عبر شاشات التلفاز أو الصور العارية أو الإسقاطات الأمنية... إلخ.

الاعتقال الإداري

وأما الاعتقال الإداري أو المقاتل غير الشرعي، وهو الحكم على أهلنا من غزة، إما بعد أن يُنهي حكمه يُحوّل إلى هذا الحكم أو يحكم به فور اعتقاله من غزة، وهو الاعتقال الإداري إلى مدد طويلة قد تستغرق أكثر من خمسة وستة، وقد تقترب من عشر سنوات بلا لائحة اتهام ولا محاكم، وقد يُجدد حكمه قبل انتهاء حكمه بساعة، وقد يركب الحافلة ويقال له: أنت مُفرج عنك، ثم يُقال له: لقد جددنا لك الحكم الإداري! ما هذا؟ إنه الظلم بعينه.



أم يتذكر الإنسان الابتزاز.. ابتزاز الأسير للتعامل مع الاحتلال مقابل الدواء أحياناً لحاجة الأسير الماسة إليه، أو يفرض الاحتلال على الأسير بعض الأمور: كأن يمنع عنه الخبز مدة تزيد عن الأسبوع، ويُجبر أن يأكل الأسرى من خبز خاضع لطقوس ومعتقدات يهود، أو كالحميم فاصولياء وبندورة وبيض بقشره وبطاطا. ونضرب مثلاً على وجبة إفطار كانت تُقدم لنا على مدى قرابة شهر مكثنا فيه في سجن يسمى سجن أبو كبير «ثلاث شرحات خبز، نصف بيضة منشورة بالمنشار وبقشرها، فإذا ما أزلت القشر عن نصفها قد يُنتزع ربعها حين إزالته، وأربع حبات زيتون وملعقة لبن صغيرة»: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

وزيارة الأهل.. حيث الخروج مبكرًا قبل صلاة الفجر بساعة أو أكثر، وتبدأ الزيارة الساعة الثانية أو الثالثة بعد الظهر، وقد يُحرم الأسير من الزيارة أحياناً لخطأ في الاسم أو بعض الإجراءات، وتبدأ الزيارة بمشاعر فياضة تغمس بالدموع أحيانًا، وتنتهي الزيارة بسرعة البرق، قرابة الثلاث أرباع ساعة، ثم يعود الأهل بعد تفتيش دقيق قد يشبه العري أحياناً حين القدوم والخروج من السجن، وكذلك الأسير نفسه قبل وبعد الزيارة، ويعود الأهل وقد يصل بهم الأمر للوصول إلى مكان سكناهم التاسعة أو العاشرة ليلًا أو بعد ذلك.

هذا غيض من فيض أحببت أن أسلط الضوء عليه وعلى الإطار العام الذي تفضل الأخ الحبيب بالإشارة إليه في كتابه، ولعل خير وصف للسجن أن يوصف به هو السجن بكل ما يحمل من خنق وإغلاق وأذىً وقتل وإرهاب ومعاناة وفرق وتشتت ومرض وموت... إلخ. لذلك ما صوّر نعمة الخروج من السجن إلا يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، كما حكى القرآن الكريم عن حاله ومشاعره، مع أنه قد يكون خيارًا يوم يجد الإنسان لزامًا عليه رغم ما فيه (وهذا لمن تكرر اعتقاله) أن يقبل خيار السجن له ضريبة للدين والقدس والأقصى والمقدسات والحقوق والثوابت، وأن يكون في المقدمة وفي الخندق المتقدم ينوب عن الشعب والأمة بأسرها، يؤدي بعضًا من الواجب، لعل الله يشمله في الحديث الشريف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم». أجل، يقبل بذلك العبد المؤمن الصابر المرابط رغم اللأواء لأنه يرفع شعار «أن يرضى ربي عني» وهذا هو العزاء في نهاية المطاف، ولْيَرخص كل شيء في سبيل ذلك.

ولكن أهمس أخيراً: صحيح أن البعض يردد ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأن سجني خلوة»، فهو خلوة إذاً فأرجو أن لا تطول هذه الخلوة، ولا يجوز أن يطول الزمن على إخوانكم وأخواتكم الأسرى، فقد يتسبب بفتنة عند البعض لا قدر الله، وقد يكون محنة حقيقة كذلك، فتكون الأمة بأسرها قد وقعت في المحظور لا قدر الله، نحن أصحاب هامات عالية بفضل الله لن ننكسر.. لن نحني، سنبقى على العهد.. عهد الله ونبيه، وعهد فلسطين والأقصى والمسرى وأرض الرباط.. عهد الشهداء والجرحى والأسرى.. وعهد اللاجئين، والعودة والاستقلال.. عهد الدين والإيمان لهذه الأرض المباركة، وأن تبقى الراية مرفوعة، ولن نأذن باستمرار غير ذلك بإذن الله حتى ولو كُلفنا كل شيء، ونحن عرفنا الهدف والبوصلة والغاية، سائلين الله الثبات والقبول والتمكين، وعلى الجميع التحرك لإنقاذ الأسرى.



مرة أخرى أشكر لأخي مؤلف الكتاب على إتاحته الفرصة لي لأدلي بشيء في الدلو، فيُثري ما تفضل وكتبه جزاه الله خيراً، وأن ينتفع به المسلمون، وكل إنسان غيور وفيه بقية من خير، وأن يجمعني وإياه وسائر الأسرى والخيّرين من هذه الأمة وسائر المعمورة في ساحات الحرية في الوطن الرحب السليب المغتصب وفي جنبات الأقصى، وبعد ذلك في مستقر الرحمة والرضوان، وما ذلك على الله بعزيز، وفي النهاية بارك الله في جهدك وفيما كتبت وقمت بواجبك من الثغرة التي أنت عليها أيها الأخ الكريم ماهر حجازي، لحفظك الله أنت وأمثالك من كل سوء، وأثابك الآخرة على ما قدمت، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

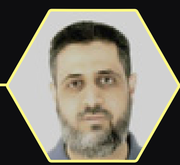
الشيخ حسن يوسف،

نائب في المجلس التشريعي الفلسطيني - كتلة التغيير والإصلاح، سجن النقب الصحراوي،

٢٠ ذو القعدة/ ١٤٣١هـ ٢٨/ تشرين أول/ ٢٠١٠م.



المؤامرة السياسية



أبو البراء محمود عيسى

فك الله أسره*

يمكن تقسيم المؤامرة من حيث البُعد الذي تستهدفه وتؤثر فيه إلى خمسة أقسام:

أولاً: المؤامرة السياسية

يُجمع خبراء السياسة على تعريف السياسة بأنها: سعي لتحقيق المصالح وأنّ الدول تدور حيث تدور مصالحها، إنْ شرقاً فشرقاً، وإن غرباً فغرباً، وأن تحرك الدول لتأمين مصالحها العاجلة والآجلة يكون بعقد اتفاقيات وتفاهمات، والدخول في أحلاف ومعاهدات، أو الإعلان عن خلافات ومنازعات، فهذا هو جوهر السياسة. ويعرف بعض الباحثين السياسة بأنَّها: «فن الممكن»، من

* محمود عيسى، نظرية المؤامرة في القرآن الكريم، ط١ (مؤسسة فلسطين للثقافة، ٢٠١٥م)، ص١٤ وما بعدها.

حيث استغلال الوسائل والإمكانيات المتاحة بالشكل الأنسب لتحقيق المصلحة، ولا يكاد يختلف اثنان بأن السياسة ومنذ زمن بعيد قد انقلبت علاقتها بالعقائد «الإيديولوجيا» رأساً على عقب، فقد جاءت السياسة لتخدم الإيديولوجيا وتعمل على نشرها والتبشير بها، والحفاظ على مبادئها، لكن الدُّول شيئاً فشيئاً قلبت هذا المفهوم، وراحت تستخدم الإيديولوجيا للترويج لسياستها والدعاية لها، وتسهيل تسويقها.



وقد تجردت السياسة على نحو شبه تام من الأخلاق ولم تعد تقيم لها أي وزن أو اعتبار، واتَّخذت من مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» شعاراً لها.. فما لا يمكن تحقيقه بالتفاهم والحوار، يجوز في السياسة تحقيقه بالخديعة والتآمر، وأصبح مستقراً في عُرف الناس اليوم أن أكثر الساسة قدرة وتميزًا ودبلوماسية، هو أقدرهم على إتقان الكذب والخداع والنفاق، فالكذب هو قلب السياسي النابض الذي إن توقف لحظةً واحدةً عن الكذب، توقفت حياته السياسية فكل دولة لها سياستان: سياسة معلنة: تُزينها الشعارات والمبادئ والعقائد والأخلاق التي ليس لها رصيد عملي في الواقع، إنما هي للاستهلاك الإعلامي ولتضليل العامة والدهماء، وقناع يستر الوجه الحقيقي القبيح للسياسة محاولاً أن يجمله، تماماً كما قال ميكافللي في كتابه (الأمير): «إذا أردت أن ترتكب جريمة فلتكن جريمتك مغلّفة بغلاف جميل». وسياسة سريّة خفيَّة: وهذه تُرسم في أضيق نطاق على أيدي دهاقنة الدولة السياسيين والعسكريين، وأجهزة الاستخبارات والخبراء الاستراتجيين وترتكز في الأساس على المكائد والخداع والمؤامرات.

إن ازدواجية السياسة والمواقف ليس بالأمر الجديد، وقد سبق وكشف القرآن الكريم للرسول ﷺ والمؤمنين عن هذه السياسة، وحذّرهم منها فقال عز وجل: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٦]. ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].



فالأمم والدول إذا ما تجردت من الأخلاق والمبادئ والقيم وتهيأت لها أسباب القوة المادية، لا يمكن لشيء أن يقف أمام أطماعها، وكل الوسائل المتاحة تصبح حينئذ مباحة لأجل تحقيق غاياتها. تأمل أنه في عام ١٨٠٠م ادعت الدول الغربية لنفسها حق ملكية ٥٥٪ من سطح الكرة الأرضية، ولكنها ملكت فعلاً ٣٥ ٪ تقريباً منها، وبحلول عام ١٨٧٨م ارتفع نصيبها إلى ٦٧%، وهي نسبة ازدياد تربو على ٨٣٠٠٠ ميل مربع في السنة، ومع حلول عام ١٩١٤م كانت النسبة المئوية للازدياد قد بلغت حداً مذهلاً: ٢٤٠.٠٠٠ ميل مربع. وقبضت أوروبا على زمام مجموع إجمالي بلغ نحو ٨٥٪ من الكرة الأرضية كمستعمرات ومحميات وتابعيات وأقطار خاضعة كوومنولثات[1].

١ سعيد إدوارد، الثقافة والإمبريالية معاً، ص٧٨-٧٩، ترجمة: كمال أبو ديب، ط٢، ١٩٩٨م، دار الآداب.



إنَّ التضارب في المصالح بين الغرب والعالم الإسلامي والعربي منه بخاصة، إضافةً لعوامل الجغرافيا، والتاريخ والتناقض الديني والحضاري والثقافي كل ذلك يفرض علينا الاعتقاد بوجود سياسة تآمرية غربية ضدنا، ويؤكد ذلك ما قاله صامويل هنتنجتون في كتابه (صراع الحضارات): «لقد زعم بعض الغربيين وبضمنهم (بِل كلينتون) بأنه ليس للغرب مشاكل مع الإسلام، ولكن مع المتطرفين الإسلاميين الميالين للعنف وحسب، وأن ألفاً وأربعمائة سنة من التاريخ تُقيم البرهان على ما هو عكس ذلك، فما انفكت العلاقات بين الإسلام والمسيحية الأرثوذكسية والغربية كلتاهما علاقات تتقاذفها العواصف، ولا زال كل منهما هو آخر الآخر، وأن صراع القرن العشرين بين الديمقراطية التحررية واللينينية الماركسية هو ظاهرة تاريخية زائلة بمقارنتها بالعلاقة ذات الصراع العميق بين الإسلام والمسيحية»[٢].

وكيف لعربي حرّ أن ينسى المؤامرة الكبرى التي دبرتها بريطانيا وفرنسا بحق الأمة العربية؟ ففي عام ١٩١٥م خلال الحرب العالمية الأولى كان موقف بريطانيا في بداية الحرب صعباً أمام تحالف الدولة العثمانية مع ألمانيا، ولما كانت بريطانيا تعلم حالة التذمر التي تسود الزعماء والوجهاء العرب من سياسة الأتراك، وظهور دعوات عربية مطالِبة بالانفصال عن دولة الخلافة، وإقامة كيان عربي مستقل، عمدت إلى إجراء مراسلات مع زعامات عربيَّة من أجل تحريضها على الثورة على دولة الخلافة

٢ هنتنجتون صامويل، صدام الحضارات، ص٣٢٨، ترجمة: طلعت الشايب.

العثمانية، بهدف إشغالها بحروب ونزاعات داخلية، وبالتالي إضعافها وتشتيت قوتها وتقطيع أوصالها، ومن ثم استعمار ما أمكن من أراضيها. ووجد البريطانيون ضالتهم في الشريف حسين، شريف مكة، الذي كان في حالة عداء مع الأتراك، خاصة وأنه قد تعرض للنفي والإقامة الجبرية مدة خمس عشرة سنة في إسطنبول قبل أن يُسمح له بالعودة إلى مكة.


الشريف الحسين بن علي

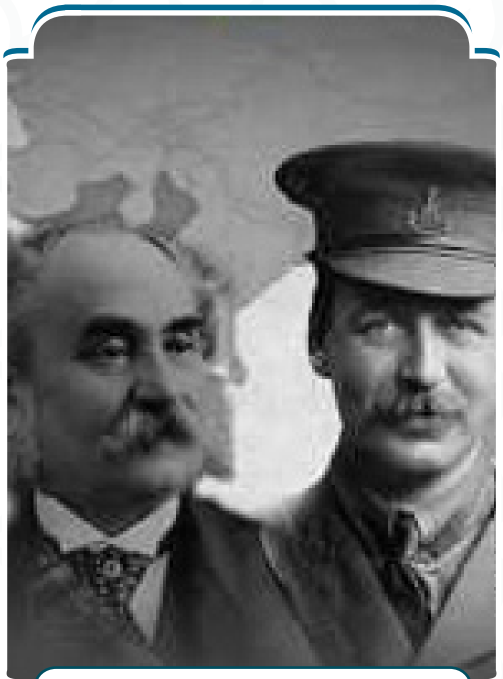
بدأت بريطانيا بمراسلته بطريقة خبيثة، حيث وجهوا له في البداية رسالة شكر على ما قدمه من مساعدات لرعاياها المسلمين الهنود أثناء أدائهم مناسك الحج، ثم توالت المراسلات التي غلبت عليها كلمات وعبارات التفخيم والتعظيم والمدح والإطراء -والعرب يغرّهم الثناء- وتذكيره بكريم أصله ونسبه العربي الهاشمي، وأنه الأحق بمنصب الخلافة، وحماية الديار المقدسة، وأنه سيلقى النصر والدعم والتأييد من الإنجليز إذا ما قرَّر الثورة على الدولة العثمانية، واستمرت المراسلات بين الحسين والإنجليز من ١٤-٧-١٩١٥م إلى ١٠-٣-١٩١٦م، فيما عرف لاحقاً بـ(مراسلات حسين – مكمهون)، ومكمهون هو: هنري مكمهون، مندوب بريطانيا السامي في مصر، وكانت هذه المراسلات تتم بسرية تامة، وقبل أن يعلن الشريف حسين ثورته أرسل ابنه فيصل إلى دمشق، حيث نزل في ضيافة آل البكري في (القابون)، ومن هناك أخذ يُجري الاتصالات بزعماء الشام سرًا، واستطاع الحصول على موافقتهم المشاركة في الثورة على الأتراك بمساعدة الإنجليز، وسلّموه مخططاً عرف بـ «ميثاق دمشق» يحدد مطالب العرب وشروطهم،

وينص على الحدود التي يطمعون أن تكون للدولة العربية التي على بريطانيا الاعتراف بها، مقابل الدخول في تحالف معها ضد الأتراك، وانطلت الخديعة على العرب، الذين ظنّوا لسذاجتهم أن بريطانيا ستفي بوعودها التي قطعتها لهم، وتقيم لهم دولة عربية موحدة!



هنري مكماهون

وأعلن الشريف حسين الثورة العربية على الأتراك، انطلاقاً من مكة المكرمة في ١٠/ ٦/ ١٩١٦م، ووضع ابنه فيصل على رأس الجيش العربي الذي تحرك من الحجاز شمالاً باتجاه العقبة، ثم دمشق، في الوقت الذي تحرك فيه الجيش البريطاني من مصر باتجاه غزة والساحل الفلسطيني، ثم القدس بقيادة الجنرال اللنبي، ومن القدس توجه شمالاً إلى دمشق لضرب جيش الأتراك، وقد انضم لجيش الأمير فيصل الكثير من عرب السبع، وكثيرون من العرب في فلسطين والأردن، كما استجاب كثير من أهل الشام والعراق لهذه الثورة، وحملوا السلاح في وجه الأتراك تأييداً لها، ودمّر الأمير فيصل سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق حتى المدينة المنورة، وذلك بإيعاز من «لورنس»، من أجل الحيلولة دون إيصال الإمدادات التركية إلى المواقع الأمامية، ووصل الأمير فيصل دمشق قبل أن يصلها الجنرال اللنبي، وبعد أن أعلن الأتراك عن هزيمتهم ووضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، تنكر البريطانيون لكل وعودهم، وتبين أنهم كانوا يُجرون في ذاته الوقت مباحثات مع كل من فرنسا وروسيا والحركة الصهيونية، تمخض عن تلك المباحثات:



مارك سايكس . فرانسوا جورج بيكو

•• اتفاقية (سايكس- بيكو) بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩١٦م تقاسمت من خلالها الدولتان استعمار البلدان العربية التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية، فطُليت حصة بريطانيا على الخارطة باللون الأحمر، وحصّة فرنسا باللون الأزرق!

•• المضائق المائية والأقاليم والولايات التركية المتاخمة للحدود الروسية من نصيب روسيا.

•• وعد بلفور بتاريخ ١٩١٧/١١/٢ الذي تضمن تعهد بريطانيا بإعطاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ولم تكتفِ بريطانيا بهذا الإعلان المشؤوم، بل سارعت باتخاذ إجراءات عملية على الأرض، تمثلت بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وتوطينهم فيها، وغض الطرف عن تسلحهم، بل وتقديم الدعم السياسي واللوجستي لهم، أما العرب فاستمرت ببيعهم الوعود والتطمينات، وطالما أنهم يشترون هذه البضاعة فستبقى تباع لهم!

ولم يتوقف مسلسل التآمر عند هذا الحدث، ولم تنتهِ «المؤامرة الكبرى» بتقسيم الوطن العربي، وقيام دولة الكيان، وإنما تعمقت وتجذرت وأخذت شكلاً آخر جديداً يتناسب مع طبيعة المرحلة والواقع والمتغيرات الدولية والعالمية الجديدة، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، تشكلت خارطة سياسية جديدة تراجعت فيها قوة بريطانيا ونفوذها، وتقدّمت الولايات المتحدة الأمريكية لتحتل مركز الصدارة، وتصبح القوة العالمية الأولى اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مهيمنة على صناعة القرارات العالمية، وتبوأت من ثمّ موقعها كممسك بخيوط «إدارة المؤامرات».

السياسة الأمريكية في المنطقة

الناظر إلى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، يجد أنها تقوم في الأساس على الهيمنة، هيمنة على صناعة القرار السياسي العالمي، وهيمنة عسكريَّة، وهيمنة اقتصادية، وهيمنة ثقافية وإعلامية، وتتبنى الولايات المتحدة ما يُعرف بالسياسة الواقعية التي تقوم على تحقيق المصالح والأهداف بكل وسيلة متاحة: إن لم يكن بالسلم فبالحرب، وإن لم يكن بالإقناع فبالخداع.

وتقيم الولايات المتحدة تحالفات استراتيجية تحكمها في الأساس المصلحة المتبادلة، مثل تحالفها مع دول الاتحاد الأوروبي، ودولة الكيان التي تفرض عليها قوى الضغط اليهودي التحالف الاستراتيجي معها، إضافة إلى ما تعتقد أنه مصلحة استراتيجية لها، وهذه القوى مجتمعة ترى أن مصلحتها الاستراتيجية في منطقة الشرق الأوسط تقضي بالحيلولة دون تشكل قوة إسلامية أو عربية وازنة، أو ظهور دولة «جوهر» تمثل الأمة العربية الإسلامية، لأنهم يرون في هذه القوة تهديداً مباشراً لأمنهم وأمن «دولة الكيان»، ومصالحهم الاقتصادية والسياسية.



كتب الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون» وهو مفكر استراتيجي كتابه (الفرصة السانحة)، وفيه حدد -بصراحة ووضوح- أن العدو هو الإسلام الذي سماه الأصولية الإسلامية التي تريد -بنص عبارته- استرجاع الحضارة العربية الإسلامية السابقة، وتطبيق الشريعة الإسلامية، والمناداة بأن الإسلام دين ودولة، واتخاذ الماضي هداية للمستقبل، كما

أعلن «نيكسون» ضرورة تحالف أمريكا وأوروبا وموسكو لمواجهة هذه الأصولية الساعية إلى هذا البعث الإسلامي الجديد، وضرورة دعم النموذج العلماني «الأتاتوركي» في العالم الإسلامي: نموذج تركيا العلمانية المنحازة نحو الغرب، والساعية إلى ربط المسلمين بالغرب سياسيًا واقتصاديًا. ففي علمنة الإسلام وعلمانيته الضمان للمحافظة على مصالح أمريكا والغرب في الشرق، وهي النفط وإسرائيل، لأن أكثر ما يهمنا في الشرق الأوسط هو النفط وإسرائيل، وإن التزامنا نحو إسرائيل عميق جداً، فنحن لسنا مجرد حلفاء، ولكنَّنا مرتبطون ببعضنا بأكثر مما يعنيه الورق، نحن مرتبطون معهم ارتباطاً أخلاقياً، ولن يستطيع أي رئيس أمريكي أو كونجرس أن يسمح بتدمير إسرائيل.

كما أفصح «نيكسون» في هذا الكتاب عن عمق كراهية «الكثيرين» من الأمريكيين «لكل» المسلمين واتخاذهم أعداء أكثر من أي شعب أو حضارة على ظهر هذه الأرض، فقال: «إن الكثير من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء، ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة ودمويون غير منطقيين، وأن سيوف محمد وأتباعه هما السبب في انتشار الدين الإسلامي في آسيا وأفريقيا وحتى أوروبا، وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة حتى بالنسبة للصين الشيوعية في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العالم الإسلامي.

ويحذر بعض المراقبين من أنَّ الإسلام والغرب متضادان، وأن الإسلام سوف يصبح قوة جيبوليتيكية متطرفة، وأنه مع التزايد السكاني والإمكانات المادية المتاحة، سوف يؤلّف المسلمون مخاطر كبيرة، وأنهم يُوحّدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي[٣].

٣ محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، ص٥٧-٥٨، ط١، ٢٠٠٥م، دار الشروق.

وللحيلولة دون ظهور دولة جوهر إسلامية، فإن هذه القوى اعتمدت سياسة تقوم على: الدعم الدائم المستمر لدولة الكيان، والمحافظة على استمرار تفوقها العسكري، باعتبارها «بطاقة ضمان» للحفاظ على مصالحهم في المنطقة، فهذا الكيان الذي يمثل جسماً غريباً في منطقة الشرق الأوسط يشكل فيها عنصر قلق دائم وتوتر، وكون الدول العربية منقسمة فيما بينها، وأنظمة الحكم فيها تاريخياً ليست على وئام، ولا يكاد يجمعها جامع غير استبدادها وتسلطها على شعوبها، فمن الطبيعي والمنطقي أن تنقسم أيضاً في نظرتها لطبيعة الصراع مع «دولة الكيان» وأن تتبنى كل دولة سياسة خاصة بها، وفي كل الأحوال سيكون الغرب مستفيداً.

مِصر.. كبرى الدُّول العربية، كانت المبادرة بإنهاء حالة الصراع، وتطبيع العلاقات، وتبادل السفراء مع الكيان، بعد توقيع رئيسها آنذاك محمد أنور السادات اتفاقية كامب ديفيد، التي أعلن من خلالها الطرفان المصري والإسرائيلي، برعاية أمريكية، إنهاء حالة الحرب والنزاع، وتطبيع العلاقات بين الدولتين الجارتين!



ولا شك في أن إخراج مصر من معادلة الصراع تدبير تآمري سعت إليه ووفرت عوامل نجاحه الولايات المتحدة الأمريكية ودولة الكيان، فدولة الكيان استفادت من ذلك: تحييد مصر وإنهاء حالة الصراع معها عملياً وعلنياً، الأمر الذي أضعف بل قصم ظهر القوى المعادية لدولة الكيان، وفي المقابل جعل دولة الكيان أكثر أمناً واستقراراً على المدى القريب والبعيد، أما أمريكا فحصلت على دولة جديدة تبعاً لها، ترعى مصالحها، وتسهل تمرير سياستها في المنطقة.

وسرعان ما لحقت منظمة التحرير الفلسطينية بمصر، وعقدت اتفاقية أوسلو المثيرة للجدل، والتي أثبتت فشلها ولا زالت، بالرغم من مرور عشرين عاماً على توقيعها تراوح مكانها!



وأقتبس في هذا المقام كلمات لإدوارد سعيد ولا أزيد يعلق فيهن على هذه الاتفاقية حيث يقول: «إن تاريخ الإمبريالية ليعلمنا أنه ليس في وسع شيء سوى فكرة حقيقية للتحرير والمساواة أن يقاوم قوة الإمبريالية ويصدّها، وإنَّها لمأساة بحق أن جهلنا للتاريخ وللقوة الاستعمارية يبدو أنه علّم مهندسي «أوسلو» الفلسطينية أنَّ الاستسلام الخانع المتذلل مصحوباً بصرخات «النصر» الكاذبة قد يحقق النتيجة ذاتها التي تحققها حملة حقيقية من الاستنهاض والاستنفار والمقاومة! بلى إنها لمأساة وإهدار وضياع، بيد أن أجيالاً مقبلة من الفلسطينيين قد تستيقظ وتعي هذا الواقع[٤].

ثم ما لبثت الأردن هي الأخرى أن وقعت اتفاقية سلام مع دولة الكيان الغاصب، وكأنما كانت تنتظر على أحر من الجمر، وقد كانت قبل تقيم علاقات سرية مع الكيان، فلما وقعت المنظمة اتفاقية أوسلو أصبحت الطريق ممهدة أمام الأردن ليجهر بعلاقاته ويخرجها إلى النور، فوقع اتفاقية «وادي عربة»، وبذلك أصبحت كلّ من مصر، والأردن، والسلطة الفلسطينية، بشكل تلقائي حلفاء لأمريكا، أو بمعنى أدق: «أتباعاً» لها، وشكلوا نواة ما عُرف فيما بعد بمحور الاعتدال، وبارتباط هذه الأنظمة

٤ الثقافة والإمبريالية، ص١٢.

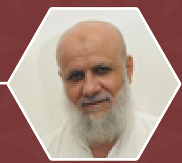
بعلاقات دبلوماسية وأمنية مع دولة الكيان، وارتباطها بشكل كامل بالإدارة الأمريكية، أصبحت تخضع بالمطلق لإملاءات تلك القيادة، وليس أدل على ذلك من أن تأتي وزيرة الخارجية الأمريكية لتجمع وتجتمع برؤساء أجهزة استخبارات تلك الدول على انفراد!

●● دول نأت بنفسها بصورة عملية عن الصراع، وأقامت بشكل أو بآخر علاقات مباشرة أو غير مباشرة مع دولة الكيان، أخذت في الغالب طابعاً اقتصادياً، ويعتقد زعماء هذه الدول أن مثل هذه العلاقات تقربهم إلى أمريكا والغرب زلفى، وأفضل وصف يمكن أن ينطبق على هذه الدول أنَّها «محميات» غربية تحظى بسلطة حكم ذاتي ليس أكثر!

●● دول معادية لدولة الكيان، وتتباين درجة المعاداة من دولة إلى أخرى، فيما يقتصر دور مُعظم هذه الدول على العداء الإعلامي، ولا يتجاوز دور بقيتها -في أحسن الأحوال- الدعم المالي واللوجستي لعدد من حركات المقاومة، والسماح لبعض قادتها بالإقامة على أراضيها، وقد انتهجت الولايات المتحدة وحلفاؤها مع هذه الدول سياسة العصا والجزرة، فتارة تعاقبها بالحصار والمقاطعة والحرمان، وتارة بالتهديد والوعيد، وأخرى بالترغيب والإغراءات، بغية استدراجها شيئاً فشيئاً لتصبح أكثر «براغماتية». وقد تستخدم معها القوة العسكرية إذا ما تبيَّن لها أنَّها تجاوزت في تمردها الحد المسموح به، وأصبحت تهدد مصالحها بشكل جدي كما حدث مع العراق، ولن يعدموا اختلاق مبررات وذرائع لشن تلك الحروب.



رسالة من أسير إلى ابنته في حفل زفافها



جمال أبو الهيجا

فك الله أسره*

إلى «ساجدة» في ربع قرن، الحمد لله الذي قبِل منّا أعمارنا نقدمها وراء القضبان، ليحيا شعبنا حراً عزيزاً في وطن لا سجن فيه ولا سجان. والصلاة والسلام على المصطفى العدنان وبعد:

إيهٍ يا ساجدة! إيهٍ يا بنت أبيك، إيهٍ يا أخت الرجال.. ها قد كبرتِ وصرتِ عروساً، وقدّر الله أن أخاطبكِ في هذا اليوم عبر الأثير، حيث تُحرمين ضمة أبيك وأنت تودعين داره، داره التي لم يحتضنك فيها إلا بضع سنين.

---

* رسالة مؤثرة من الأسير جمال أبو هيجا إلى ابنته بمناسبة حفل زفافها: موقع: مصدر الإخبارية msdrnews.com ، ٢٠٢٢/٦/١٠م.

جمال أبو الهيجا، معتقل في السجون الإسرائيلية منذ ٢١ عاما، وهو من القيادات الإسلامية في جنين، ورفضت إسرائيل فضاً قاطعاً الإفراج عنه في صفقة شاليط، لتقديرها بأنه من القيادات الخطيرة مثل عبد الله البرغوثي وحسن سلامة ومحمود عيسى وغيرهم.

تُرى.. هل كنت أحسب أني سأخاطبك في هذا اليوم المنتظر من وراء القضبان؟ بل كيف لا أحسب ذلك وأنت التي ولدتِ عام ستة وتسعين وأنا خلف قضبان الجار والقريب الذي منّوه يومها بالدولة والاستقلال مقابل أن يكون جرح جاره وأخيه هو الثمن، فلم يأتِ الوطن الموعود وبقي الجرح الغائر، وما زال..



كيف لا أتوقع هذا المشهد وقد أتت عليكِ فترة من الزمن لم يكن فيه في بيتنا إلاك، وأنت الأصغر، فكنت الأب والأم والأسرة في لحظة واحدة، وما زلت أذكر تلك الزيارة التي زرتنيها وأنا في العزل، وقد زرت قبلها بيوم سجن ريمون، وقبله بيوم كنت تزورين في مجدو، في ثلاثة أيام متواصلة قضيتها في باصات الزيارة تنتقلين من سجن إلى سجن تزورين الأسرة السجينة.. فكيف لا يكون لمثلك هذا العرس المغمس بعبق القيد والأغلال، وأنت التي تعرف جيداً معنى الأغلال..

كبرتِ يا ساجدة، كبرت يا ابنتي بأسرع مما أظن.. قالوا لي أنهت الثانوية العامة بتفوق، فقلت أدركها في تخرج الجامعة، ومرت السنوات، وكان التخرج، ثم كان الماجستير بعدها، ولا لقاء، والحمد لله أولاً وآخراً.. لكن اليوم مختلف.. اليوم يا ساجدة له طعم آخر. ومع ذلك فما زال الأمل مزروعاً في قلوبنا وحسن الظن بالله لم يغادرها أبداً. وقد حان الآن يا ساجدة أن أجيبك على سؤال عينيك الحائرتين، وأنت

تزورينني صغيرة وراء القضبان، فكانت تسألني عيناك: لمَ يا أبي كل هذا الفراق، وكل هذا الغياب؟ الآن أقول لك: هذا من أجلك يا ابنتي، ومن أجل كل الصبايا والشباب.. نرضى الأسر اليوم، كي نورثكم غداً وطناً حراً بلا أسر ولا قيود. ونرتضي الخوف والحرمان اليوم، كي تعيشوا غداً بأمان، حيث لا احتلال ولا عدوان. هذا من أجلك يا ابنتي.



فعندما ستحكين لأطفالك غداً قبل النوم حكاية التحرير ستقولين لهم: ارفعوا رؤوسكم في السحاب، فإن الوطن الحر العزيز الذي تنعمون بظلاله، دفع أجدادكم وأخوالكم أعمارهم في سبيل الله ليطردوا المحتل عن ثراه. وغداً عندما تذهبين بهم إلى المسجد الأقصى ستقولين لهم تحت قبة صخرته: بالأمس كان المحتلون يهاجمون المصلين العزل هنا، فثار عليهم أجدادكم وأخوالكم وأعمامكم حتى طردوهم منه، وخلصوه من رجسهم، فهو اليوم حر عزيز طاهر، فصلّوا الآن فيه بأمان.

أخيراً يا بنت الأسرى، ويا أخت الشهيد، بارك الله لكِ وعليكِ وجمع بينكِ وزوجكِ في خير، وإلى اللقاء القريب بإذن الله أحرار.



التجربة النازية في فلسطين

وتكرار التاريخ لنفسه

محمد سعودي

فك الله أسره*

قضى هتلر منتحراً بين أحضان عشيقته ولم ينَل من شخصه المنتصرون، بعد أن باءت خططه العِرقية الفوقية التوسعية بالفشل، بيدَ أن أفكاره لم تمُت معه، بل ازدادت انتشارًا واستثمارًا على أيدي الحركة الصهيونية بصفتها مولودًا شرعيًا للبيئة الأوروبية الاستعمارية، التي أنتجت للعالم فكرة التفوق العرقي وصولًا إلى النازية ووليدتها الصهيونية التي لا تنفك تظهر يومًا تلو الآخر مدى نهلها من الفكر النازي الذي عمل على توظيف كافة العلوم لهندسة المجتمع الألماني وتنقيته من ذوي الإعاقة

* محمد سعودي، التجربة النازية في فلسطين وتكرار التاريخ لنفسه، موقع: مكتب إعلام الأسرى، مايو ٢٠٢٣م.

والغرباء؛ لتكوين أمة ألمانية خالصة، كالأمة اليهودية المزعومة التي لا زالت الحركة الصهيونية تعمل على تكوينها، فكلا الأيديولوجيتان تسعيان إلى إقامة كيان «نقي عرقيًا»، بما يمهد لممارسة الإبادة الجماعية والتطهير العرقي بحق «الغرباء» في كلا الكيانين.

يُظهر قانون العودة الصهيوني مدى التقارب لدعوة هتلر إلى «ألمانيا نقية»، حيث يعطي القانون كل يهودي حقًا حصريًا بالهجرة إلى فلسطين والحصول على جنسية الكيان «اليهودي النقي»، وفي هذا الكيان السادي تظهر ذات السمات التي اتسم بها جنود النازية أثناء ملاحقتهم للدخلاء والغرباء عن المجتمع الجرماني النقي، من اليهود وغيرهم، فلا حرمة للبيوت، ولا رحمة للعزّل، ولا إنسانية مع غير الجرماني، كما هو الحال مع مَن هو غير صهيوني، فتشييء الإنسان خطوة قد سبقت بناء معسكرات الإبادة، التي قضى فيها الملايين من الناس حرقًا، وما خطاب وزير مالية المستعمرة سموتريتش الذي أعلن فيه عن رغبته بحرق قرية حوارة الفلسطينية، إلا كشف عن أنياب الصهيونازية التي تحكم هذا الكيان، فالحرق مستساغ ومرغوب لدى المستعمرين الذين استمتعوا مسبقًا بحرق الطفل محمد أبو خضير وعائلة دوابشة.


اعتداء المستوطنين على قرية الحوارة

وترقيم البشر فن تتقنه أجهزة أمن المستعمِر تمهيدًا للقتل الجماعي المنظم في أزقة شوارع المدن الفلسطينية، إضافة إلى إسقاط التكتيكات التي استخدمها النازيون ضد المقاومة اليهودية في جيتو وارسو، على جيتوات

اللاجئين الفلسطينيين، عدا عن إحاطة الفلسطينيين «بالكوراسيلّا» المعروفة «بالمعّاطة»، وتوجد بكثرة على الحواجز كما في السجون، بعد أن جيء بها من المعسكرات النازية إلى المعسكرات الصهيونية.



المعّاطة

واقتداء بالأم النازية، لجأ المستعمر الصهيوني إلى صناعة جماعة وظيفية لجماعة الكابو اليهودية التي تماهت مع النازيين داخل معسكرات الإبادة، حتى أضحت جلادًا ثانيًا يجلد ابن جلدته؛ ليفرَّ بنفسه وعائلته وامتيازاته، بيد أن كابو الصهيونية قد أصبح دويلة على ورق، ومعسكر إبادتها قد أصبح وطنًا كاملًا يمتد على مساحة سبعة وعشرين ألف كم^2، فيه ما فيه من الغرباء (الغوييم)، المستباحة أجسادهم، والرخيصة دمائهم، حتى أصبحوا وجهة للتجارب العسكرية بشتى أنواعها.

إذًا فليس مستغربًا على مجتمع المستعمرة عدم اكتراثه بما يمارسه أبناؤه من سادية وإجرام يتجسّد بالحرق والتنكيل والتمثيل بالآخَر، فالشعب الألماني كان يغض الطرف عن ممارسات أبنائه طالما يتعلق الأمر بالآخر، كما هو الحال في مجتمع الكيان الصهيوني الذي يحارب مظاهر التعدي على ديمقراطية كيانه الإثنوقراطي، بينما يتجاهل تلك الدماء التي تسيل مُذ أن قام كيانه على الإبادة والتطهير العرقي؛ لذلك فلا داعي لأن تحصر كلمة «نازي» للإشارة إلى النازيين الألمان، وإنما يصلح استخدامها للإشارة إلى كل من يفكر بطريقة نازية ويسلك سلوكًا نازيًا، سواءًا أكان ألمانيًا أم صهيونياً.

السنة الثانية
العدد ١٩

ديسمبر ٢٠٢٣
جمادى الأولى ١٤٤٥

أنصار النبي صلى الله عليه وسلم

رئيس الهيئة: د. محمد الصغير
رئيس التحرير: محمد إلهامي





الشهيد عبد الله عزام

تاريخ الاستشهاد:

٢٤ نوفمبر ١٩٨٩م

الشهيد عز الدين القسام

تاريخ الاستشهاد:

٢٠ نوفمبر ١٩٣٥م